٢١٤١

ش ٥ ت شرح حديث النزول، تأليف أحمد بن عبد الحليم بن تيميه ٧٢٨ هـ.
بخط عبد العزيز بن عبد الله النفيسة ١٢٧٧ هـ
٧٢ ق ٢٤ س ٢٣×١٦,٥ سم
نسخة جيدة، خطها نسخ معتاد

٢١١ الأعلام ١ : ١٤٠ ، هدية العارفين ١ : ١٠٥
١- الالهيات، أصول الدين أ- ابن تيميه، أحمد بن عبد الحليم - ٧٢٨ هـ ب- الناسخ ج- تاريخ النسخ.

كتاب شرح حديث النزول لشيخ الاسلام وقدوة الانام تقي الدين ابي العباس احمد ابن عبد الحليم ابن عبد السلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه امين

ملكه من فضل ربه الكريم بالشرا الشرعي منه بركة علي ابن عبد الله ابن داود صالح ابن عبد العزيز ابن عبد الرحمن ابن الشيخ غفر الله له ولوالديه ولمن نظر فيه ودعا لهم امين ثم امين وصلى الله على محمد واله وسلم

شعرا

اصغت لما قال الوشاة وما درت ۞ ان الزمان عن العواذل كافي ۞

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي وعليه توكلي

ما يقول شيخنا وشيخ الاسلام وقدوة الانام ايده الله تعالى ورضي عنه في
رجلين تنازعا في حديث النزول احدهما مثبت والاخر ناف فقال
المثبت ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر فقال
النافي كيف فقال المثبت بلا كيف فقال النافي يخلو منه العرش ام لا يخلو فقال
المثبت هذا قول مبتدع وراي مخترع فقال النافي ليس هذا جوابي بل هو
حيدة عن الجواب فقال له المثبت هذا جوابك فقال النافي انما ينزل امره و
رحمته فقال المثبت امره ورحمته ينزلان كل ساعة والنزول قد وقت
له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث الليل فقال النافي الليل يستوي وقته في ساعات
البلاد فقد يكون الليل في بعض البلاد خمسة عشر ساعة ونهارها تسع ساعات
ويكون في بعض البلاد ست عشرة والنهار ثمان وبالعكس فوقع الاختلاف
في طول الليل وقصره بحسب الاقاليم والبلاد حتى يستوعب الاربع والعشرين
ساعة ويبقى النهار عندهم وقت يسير فيلزم على هذا ان يكون ثلث الليل
دائما ويكون الرب دائما نازلا الى السماء والمسؤول ازالة الشبه والاشكال
وبيان الهدى من الضلال **فاجاب** الحمد لله اما القائل الاول الذي ذكر نص
النبي صلى الله عليه وسلم فقد اصاب فيما قال فان هذا القول الذي قاله قد استفاضت
به السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم واتفق سلف الامة وائمتها واهل العلم بالسنة
والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول ومن قال ما قاله الرسول صلى الله عليه
وسلم فقوله حق وصدق وان كان لا يعرف حقيقة ما اشتمل عليه من المعاني
كمن قرا القران ولم يفهم ما فيه من المعاني فاصدق الكلام كلام الله وخير الهدي
هدي محمد صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم قال هذا الكلام وامثاله
علانية وبلغه الامة تبليغا عاما لم يخص به احد دون احد ولا كتمه عن احد
وكانت الصحابة والتابعون تذكره وتأثره وتبلغه وترويه في المجالس الخاصة

والعامة

والعامة واشتملت عليه كتب الاسلام التي تقرا في المجالس الخاصة والعامة كصحيح
البخاري ومسلم وموطا مالك ومسند الامام احمد وسنن ابي داود والنسائي
وامثال ذلك من كتب المسلمين لكن من فهم من هذا الحديث ما يجب تنزيه الله عنه
كتمثيله بصفات المخلوقات ووصفه بالنقص المنافي لكماله الذي يستحقه فقد اخطا
في ذلك وان اظهر ذلك منع منه وان زعم ان الحديث يدل على ذلك ويقتضيه فقد اخطا
ايضا في ذلك فان وصفه سبحانه وتعالى في هذا الحديث بالنزول هو كوصفه بسائر
الصفات كوصفه بالاستواء الى السماء وهي دخان ووصفه بانه خلق السموات والارض
في ستة ايام ثم استوى على العرش ووصفه بالاتيان والمجيء في مثل قوله هل ينظرون الا
ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقوله هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة
او ياتي ربك او ياتي بعض ايات ربك وقوله وجاء ربك والملك صفا صفا وكذلك قوله خلق
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش وقوله والسماء بنيناها
بايد وقوله الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم الاية وقوله يدبر الامر من السماء
الى الارض ثم يعرج اليه وامثال ذلك من الافعال التي وصف الله بها نفسه التي
تسميها النحاة افعال تعدية وهي غالب ما ذكر في القران ويسمونها لازمة لكونها لا
تنصب المفعول به لا تتعدى اليه الا بحرف الجر كالاستواء الى السماء وعلى العرش و
النزول الى السماء الدنيا ونحو ذلك فان الله وصف نفسه بهذه الافعال اللازمة والمتعدية
في مثل قوله واذ قال ربك للملائكة وقوله وكلم الله موسى تكليما وقوله وناداهما ربهما
وقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين وقوله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وقوله
الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة ومن اصدق من الله حديثا وقوله الله نزل
احسن الحديث وقوله وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقوله
وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا وقوله ولقد صدقكم وعده وكذلك وصف نفسه
بالعلم والقوة والرحمة ونحو ذلك كما في قوله ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء
وقوله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين وقوله ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وقوله

ورحمتي وسعت كل شيء ونحو ذلك مما وصف به نفسه في كتابه وما صح عن رسوله
صلى الله عليه وسلم فان القول في جميع ذلك من جنس واحد ومذهب سلف الامة و
ائمتها انهم يصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم في النفي و
الاثبات والله سبحانه قد نفى عن نفسه مماثلة المخلوقين فقال تعالى قل هو الله احد
الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فبين انه لم يكن احد كفوا له
وقال تعالى هل تعلم له سميا فانكر ان يكون له سمي وقال تعالى فلا تجعلوا لله اندادا
وقال فلا تضربوا لله الامثال وقال تعالى ليس كمثله شيء ففيما اخبر به عن نفسه من
تنزيهه عن الكفو والسمي والمثل والند والامثال له بيان ان لا مثل له في صفاته
ولا افعاله فان التماثل في الصفات والافعال يتضمن التماثل في الذات
فان الذاتين المختلفتين يمتنع تماثل صفاتهما وافعالهما اذ تماثل الصفات
والافعال يستلزم تماثل الذوات فان الصفة تابعة للموصوف بها والفعل
ايضا تابع لفاعله بل هو مما يوصف به الفاعل فاذا كانت الصفتان متماثلتين
كان الموصوفان متماثلين حتى انه يكون بين الصفات من التشابه والاختلاف
بحسب ما بين الموصوفين كالانسانين لما كانا من نوع واحد فتختلف مقاديرهما
وصفاتهما بحسب اختلاف ذاتيهما وتشابه ذلك بحسب تشابه ذلك وكذلك اذا قيل
بين الانسان والفرس تشابه من جهة ان هذا حيوان وهذا حيوان واختلاف
من جهة ان هذا ناطق وهذا صاهل وغير ذلك من الامور كان بين الصفتين
من التشابه والاختلاف بحسب ما بين الذاتين وذلك ان الذات المجردة عن الصفة
لا توجد الا في الذهن والذهن يقدر ذاتا مجردة عن الصفة ويقدر وجودا
مطلقا لا يتعين واما الموجودات في انفسها فلا يمكن فيها وجود ذات مجردة عن
كل صفة ولا وجود مطلق لا يتعين ويتخصص واذا قال من قال من اهل الا
ثبات للصفات انا نثبت صفات الله زائدة على ذاته فحقيقة ذلك انا نثبتها زائدة على
ما اثبتها النفاة من الذات فان النفاة اعتقدوا ثبوت ذات مجردة عن الصفات

فقال

فقال اهل الاثبات نحن نقول باثبات صفات زائدة على ما اثبته هؤلاء واما الذات
نفسها الموجودة فتلك لا يتصور ان تتحقق بلا صفة اصلا بل هذا بمنزلة
من قال اثبت انسانا لا حيوانا ولا ناطقا ولا قائما بنفسه ولا بغيره ولا له قدرة
ولا حياة ولا حركة ولا سكون ونحو ذلك او قال اثبت نخلة ليس لها ساق و
لا جذع ولا ليف ولا غير ذلك فان هذا اثبت ما لا حقيقة له في الخارج ولا يعقل
ولهذا كان السلف والائمة يسمون نفاة الصفات معطلة لان حقيقة قولهم تعطيل
ذات الله وان كانوا قد لا يعلمون ان قولهم مستلزم التعطيل بل يصفونه
بالوصفين المتناقضين فيقولون هو موجود قديم واجب ثم ينفون لوازم
وجوده فيكون حقيقة قولهم موجود ليس بموجود حق ليس بحق خالق ليس
بخالق فينفون عنه النقيضين اما تصريحا بنفيهما واما امساكا عن الاخبار
٢ وهم ص
بواحد منهما ولهذا كان محققوهم القرامطة ينفون عنه النقيضين فلا يقولون
موجود ولا لا موجود ولا حي ولا لا حي ولا عالم ولا لا عالم قالوا لان وصفه با
لاثبات تشبيه له بالموجودات ووصفه بالنفي تشبيه له بالمعدومات فآل بهم اغرا
قهم
في نفي التشبيه الى ان وصفوه بغاية التعطيل ثم انهم لم يخلصوا مما فروا منه بل
يلزمهم على قياس قولهم ان يكونوا قد شبهوه بالممتنع الذي هو اخس من
الموجود والمعدوم الممكن ففروا في زعمهم من التشبيه بالموجودات والمعدومات
ووصفوه بصفات الممتنعات التي لا تقبل الوجود بخلاف المعدومات الممكنات
وتشبيهه بالممتنعات شر من تشبيهه بالموجودات والممكنات وما فر منه هؤلاء
الملاحدة ليس بمحذور فانه اذا سمي حقا موجودا قائما بنفسه حيا عليما رؤفا رحيما
وسمي المخلوق بذلك لا يستلزم من ذلك ان يكون مماثلا للمخلوقات اصلا و
لو كان هذا حقا لكان كل موجود مماثلا لكل موجود ولكان كل معدوم مماثلا
لكل معدوم ولكان كل ما ينفى عنه شيء من الصفات مماثلا لكل ما ينفى عنه ذلك
الوصف فاذا قيل السواد موجود لكان على قول هؤلاء قد جعلنا كل موجود

مماثلا للسواد واذا قلنا البياض معدوم كنا قد جعلنا لكل معدوم مماثلا للبياض
ومعلوم ان هذا في غاية الفساد ويكفي هذا خزيا لاهل الالحاد واذا لم يلزم مثل
ذلك في السواد الذي له امثال بلا ريب فاذا قيل في خالق العالم انه موجود لا
معدوم حي لا يموت قيوم لا تاخذه سنة ولا نوم فمن اين ان يكون مماثلا لكل
موجود ومعدوم وحي وقائم وكل ما ينفي عنه العدم وينفي عنه صفة العدم
وما ينفي عنه النوم والموت كاهل الجنة الذين لا ينامون ولا يموتون وذلك
ان هذه الاسماء العامة المتواطئة التي تسميها النحاة اسماء الاجناس
سواء اتفقت معانيها في محالها او تفاضلت كالسواد ونحوه وسواء سميت
مشككة او قيل المشككة نوع من المتواطئة اما ان تستعمل مطلقة عامة كما اذا قيل
الموجود ينقسم الى واجب وممكن وقديم ومحدث وخالق ومخلوق والعلم ينقسم الى
قديم ومحدث واما ان تستعمل خاصة معينة كما اذا قيل وجود زيد وعمرو وعلم
زيد وعمرو وذات زيد وعمرو فاذا استعملت خاصة معينة دلت على ما يختص به
المسمى لم تدل على ما يشركه فيه غيره في الخارج فان ما يختص به المسمى لا شركة
فيه بينه وبين غيره فاذا قيل علم زيد ونزول زيد واستواء زيد ونحو ذلك
لم تدل الا على ما يختص به زيد من علم ونزول واستواء ونحو ذلك لم تدل على ما
يشركه فيه غيره لكن لما علمنا ان زيدا نظير عمرو وعلمنا ان علمه نظير علمه ونزوله
نظير نزوله واستواءه نظير استواءه فهذا علمناه من جهة القياس والمعقول و
الاعتبار لا من جهة دلالة اللفظ فاذا كان هذا في صفات المخلوق فذلك في الخالق
اولى فاذا قيل علم الله وكلام الله ونزوله واستواءه وحياته ووجوده ونحو ذلك
لم يدل على ما يشركه فيه واحد من المخلوقين بطريق الاولى ولم يدل ذلك على
مماثلة الغير له في ذلك كما دل في زيد وعمرو وهناك علمنا التماثل من جهة الاعتبار
والقياس لكون زيد مثل عمرو وهنا نعلم ان الله لا مثل له ولا كفو ولا ند فلا يجوز

ان نفهم

ان نفهم من ذلك ان علمه مثل علم غيره ولا نزوله مثل نزول غيره ولا حياته مثل حياة غيره
ولهذا كان مذهب السلف والائمة اثبات الصفات ونفي مماثلتها لصفات المخلوقات فالله
تعالى يوصف بصفات الكمال الذي لا نقص فيه منزه عن صفات النقص مطلقا ومنزه
ان يماثله غيره في صفات كماله فهذان المعنيان جماع التنزيه وقد دل عليهما قول
الله تعالى قل هو الله احد الله الصمد فالاسم الصمد يتضمن صفات الكمال والاسم الاحد
يتضمن نفي المثل كما قد بسط الكلام على ذلك في تفسير هذه السورة فالقول
في صفاته كالقول في ذاته والله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله
لكن نفهم من ذلك ان نسبة هذه الصفة الى موصوفها كنسبة هذه الصفة الى موصوفها
فعلم الله وكلامه ونزوله واستواءه هو كما يناسب ذاته ويليق بها كما ان صفة
العبد هي كما يناسب ذاته ويليق بها ونسبة صفاته الى ذاته كنسبة صفات العبد
الى ذاته كما قال بعضهم اذا قال لك السائل كيف ينزل او كيف استوى او كيف يعلم
او كيف يتكلم ويقدر ويخلق فقل له كيف هو في نفسه فاذا قال انا لا اعلم كيفية ذاته ف
قل له وانا لا اعلم كيفية صفاته فان العلم بكيفية الصفة يتبع العلم بكيفية الموصوف
فهنا اذا استعملت هذه الاسماء والصفات على وجه التخصيص والتعيين
وهذا هو الوارد في الكتاب والسنة واما اذا قيلت مطلقة وعامة كما يوجد في
كلام النظار والموجود ينقسم الى محدث والعالم ينقسم الى قديم ومحدث ونحو ذلك
فهذا مسمى اللفظ المطلق والعلم معنى مطلق وعام والمعاني لا تكون مطلقة
وعامة الا في الاذهان لا في الاعيان فلا يكون موجود وجودا مطلقا او عاما
الا في الذهن ولا يكون عام مطلق او عام الا في الذهن ولا يكون انسان او
حيوان مطلق وعام الا في الذهن والا فلا تكون الموجودات في انفسها
الا معينة مخصوصة متميزة عن غيرها فليتدبر العاقل هذا المقام الفارق في
فانه زل فيه خلق من اولي النظر الخائضين في الحقائق حتى ظنوا ان هذه المعاني
العامة المطلقة الكلية تكون موجودة في الخارج كذلك وظنوا انا اذا قلنا

ان الله عز وجل قديم موجود حي عليم والعبد موجود حي عليم ان يلزم وجود موجود
في الخارج يشترك فيه الرب والعبد وان يكون ذلك الموجود بعينه في الرب
والعبد بل في كل موجود ولا بد ان يكون للرب ما يميزه عن المخلوقات فيكون فيه
جزءان احدهما لكل مخلوق وهو القدر المشترك بينه وبين الموجودات
والثاني يختص به وهو المميز عن سائر الموجودات لا بد ان يكون فيما يختص
به الا ما يلزم فيه مثل ذلك فاذا قالوا يمتاز بذاته وبحقيقته او ماهيته
او نحو ذلك كان ذلك بمنزلة قولهم يمتاز بوجوده فان الذات والحقيقة والماهية
تستعمل مطلقا ومعينا كلفظ الوجود سواء وهذا المقام حار فيه طوائف
من ائمة النظار حتى قال طائفة ان لفظ الوجود وغيره مقول بالاشتراك اللفظي
فقط وحكوا ذلك عن كل من قال بنفي الاحوال وهم عامة اهل الاثبات فصار مضمون
نقلهم ان مذهب عامة اهل الاسلام ومتكلمي الاثبات كابن سلام والاشعري
وابن كرام وغيرهم بل ومحققي المعتزلة كابي الحسين وغيره ان لفظ الوجود
وغيره مما يسمى الله به ويسمى المخلوق انما يقال بالاشتراك اللفظي فقط من غير
ان يكون بين المسميين معنى عام كلفظ المشتري اذا سمي به المبتاع والكوكب
ولفظ سهيل المقول على الكوكب والجبل وهذا النقل غلط عمن نقلوه عنه فان
هؤلاء متفقون على ان هذه الاسماء عامة متواطئة التواطؤ العام الذي يدخل
فيه المشكك يقبل التنويع والتقسيم وذلك لا يكون الا في الاسماء المتواطئة كما
نقول الموجود ينقسم الى قديم ومحدث وواجب وممكن بل هؤلاء الناقلون
باعيانهم كابي عبد الله الرازي وامثاله من المتاخرين يجمعون في كلامهم بين
دعوى الاشتراك اللفظي فقط وبين هذا التقسيم في هذه الاسماء مع قولهم ان هذا
التقسيم لا يكون الا في الالفاظ المتواطئة المشتركة لفظا ومعنى لا يكون في المشترك
اشتراكا لفظيا وبين جملتها التي يسمونها المشككة لا يكون التقسيم في الاسما

التي

التي ليس بينها معنى مشترك عام فهذا تناقض هؤلاء الذين من اشهر المتاخرين
بالنظر والتحقيق للفلسفة والكلام قد ضلوا في النقل وهذا البحث في هذا
الاصل ضلالا لا يقع فيه اضعف العوام وذلك لما تلقوه عن بعض اهل المنطق
من القواعد الفاسدة التي هي عن الهدى والرشد حائدة حيث ظنوا ان الكليات
المطلقة الثابتة في الخارج جزء من المعينات وذلك يقتضي تركيب المعين
من ذلك الكلي المشترك وما يختص به فلزمهم على هذا القول ان يكون الرب
تعالى الواجب الوجود مركبا من الوجود وما يختص به من الوجود والماهية مع
انه من المشهور من اهل المنطق ان الكليات انما تكون كليات في الاذهان لا في الاعيان
ومن هداه الله يعلم ان الموجودات لا اشتراك في شيء موجود فيها اصلا بل كل موجود
متميز بنفسه وبما له من الصفات والافعال واذا قلنا ان هذا الانسان حي
متكلم او حيوان ناطق ونحو ذلك لم يكن بما له من الحيوانية والناطقية والنطق
والحياة مشتركا بينه وبين غيره بل له ما يخصه ولغيره ما يخصه ولكن
تشابها وتماثلا بحسب تشابه حيوانيتهما ونطقهما وغير ذلك من صفاتهما
ومن قال ان الانسان مركب مما به الاشتراك وهو الحيوانية وما به من الا
متياز وهو النطق فان اراد بذلك ان هذا تركيب ذهني فانا اذا تصورنا
في اذهاننا حيوانا ناطقا كان الحيوان جزء هذا المعنى الذهني والنطق
جزؤه الاخر وكان الحيوان جزءه الذي اشباهه اكثر من اشباه الناطق واذا
صورنا مسمى الحيوان ومسمى ناطق كان مسمى الحيوان يعم الانسان
وغيره وكان مسمى الناطق يخصه فدعوى التركيب في هذه المعاني الذهنية
صحيح لكن ليس لها ضابط بل هو بحسب ما يتصوره الانسان سواء كان تصوره
حقا او باطلا ومتى اريد بجزء الماهية الداخل فيها ما يدخل في هذا التصور

وبجزئها الخارج عنها اللازم لوجودها ما يدل عليه هذا اللفظ بالتضمن والالتزام
وان اراد بتمام الماهية ما يدل عليه بالمطابقة فهذا صحيح لكن هذا لا يقتضي ان تكون
الحقائق الموجودة في الخارج مركبة من الصفات الخاصة والعامة ولا
ان تكون بعض صفاتها اللازمة داخلة في الحقيقة في اثباتها وبعضها خارجا
عن الحقيقة عارضا لها كما يزعمه اهل المنطق اليوناني وهذا الموضع ضلوا
فيه وضل بسبب ضلالهم فيه الطوائف الذين اتبعوهم من النظار وقلدهم في ذلك
من لم يفهم حقيقة قولهم ولوازمه ولم يتصوره تصورا تاما وان اراد بالتركيب
انه موصوف بالحياة والنطق واحدى الصفتين يوجد نظيرها في سائر الحيوان
والاخرى مختصة بالانسان فهذا معنى صحيح وان اراد به ان حيوانيته مشتركة
بينه وبين غيره فقد غلط فان حيوانية كل حيوان كناطقية كل ناطق وذلك
مختص بمحله وكذلك ان اراد بالتركيب ان هنا موجودا موصوفا بانه حيوان
غير الموجود الموصوف بانه ناطق وصاهل وان الانسان مركب من هذا الوجه
وهذا الموجود فقد غلط بل لا موجود الا هذا الانسان الموصوف بانه حيوان
ناطق وهذا الفرس بانه حيوان صاهل وكذلك سائر الحيوانات والموجودات
فقول القائل الانسان مركب يحتمل هذا وهذا فاذا اريد به ان هنا شيئا مركبا
وان له جزئين متباينين تركب منهما كان جاهلا بل هو شيء واحد موصوف
بصفتين لا يوجد الا بصفتيه ولا توجد صفاته الا به وهذا المعنى صحيح ان الا
نسان موصوف بانه حيوان وانه ناطق حقيقة ان له ذاتا مستلزمة لصفاتها
لا يوجد الموصوف بدون صفته اللازمة له لكن هذا ليس في الخارج تركيبا وليس

في الخارج

في الخارج صفة لازمة ذاتية واخرى عرضية لازمة للماهية واخرى لازمة
لوجوده بل ليس في الخارج الا الموجود المعين وصفاته تنقسم الى لازمة
له وعارضة وهو لا يوجد بدون شيء من صفاته اللازمة فليس فيها ما هو
لازم الذات الموجودة في الخارج كما يظن ذلك من يظنه من المنطقيين واصل
خطائهم انه اشتبه عليهم ما يتصور في الاذهان بما يوجد في الاعيان فان الذهن
يتصور المثلث قبل وجوده في الخارج وظنوا ان الماهية مغايرة للوجود وهو
صحيح اذا فسرت الماهية بما يتصوره الذهن واما ان يكون في الخارج مثلث له ماهية
ثابتة في الخارج غير الشيء الموجود في الخارج فهذا غلط بين فاذا فهم هذا
في صفة المخلوق فالخالق ابعد عما سماه هؤلاء تركيبا فاذا قيل ان الله
سبحانه حي عليم قدير فهو موصوف بانه الحي العليم القدير واذا قيل هو موجود
بنفسه فهو سبحانه موصوف بالوجود والموجود فلا مشاركة بينه وبين غيره
في شيء موجود ولا هو مركب من جزئين ولا صفات مقومة تكون اجزاء
لوجوده ولا يجوز ذلك مما يدعى من التركيب الذي هو ممتنع في المخلوق فهو
في الخالق اشد امتناعا ولفظ التركيب مجمل يدخل فيه هؤلاء اتصاف الموصوف بصفاته
اللازمة وليس هو المعقول من لفظ التركيب ولكن هؤلاء يقولون هذا اشتراك
والاشتراك تشبيه ويقولون اجزاء وهذا التركيب من هذه الاجزاء ثم انهم
لا يقدرون على نفي هذا الذي سموه اشتراكا وتشبيها ولا على نفي هذه الامور
التي سموها اجزاء وتركيبا وتقسيما واجزاء فانهم يقولون عاقل ومعقول
وعقل ولذيذ ولذة وملتذ وعاشق ومعشوق وعشق وقد يكون هو
عالما قادرا مريدا ثم يقولون العلم هو القدرة والقدرة هي الارادة فيجعلون
كل صفة هي الاخرى ويقولون العلم هو العالم وقد يقولون هو المعلوم

فيجعلون الصفة هو الموصوف وهي المخلوقات وهذه اقوال رؤسائهم وهي
في غاية الفساد في صريح المعقول فهم مضطرون الى ما يسمونه تشبيها و
تركيبا ويزعمون انهم ينفون التشبيه والتركيب والتقسيم فليتامل اللبيب
كذبهم وتناقضهم وحيرتهم وضلالهم ولهذا يؤول بهم الامر الى الجمع بين النقيضين
او الخلو عن النقيضين ثم انهم مع هذا ينفون عن الله ما وصف به نفسه وما
وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لزعمهم ان ذلك تشبيه وتركيب ويصفون
اهل الاثبات بهذه الاسماء وهم الذين الزموها بمقتضى اصولهم والحيلة لهم
في دفعها عنهم كما قال القائل رمتني بدائها وانسلت وهم لم يقصدوا
هذا التناقض لكن اوقعهم فيه قواعدهم الفاسدة المنطقية التي زعموا
فيها تركيب الموصوفات من صفاتها ووجود الكليات المشتركة في اعيانها
فتلك القواعد المنطقية الفاسدة التي جعلوها قوانين تمنع مراعاتها
الذهن ان يضل في فكره اوقعتهم في هذا التناقض والضلال ثم هذه القوانين
فيها ما هو صحيح لا ريب فيه وذلك يبين تناقضهم وجهلهم فانهم قد قرروا
في القوانين المنطقية ان الكلي هو الذي لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه
بخلاف الجزئي وقرروا ايضا ان الكليات لا تكون كلية الا في الاذهان دون
الاعيان وان المطلق بشرط الاطلاق لا يكون الا في الذهن وهذه قوانين صحيحة
ثم يدعون ما ادعاه افضل متاخريهم ان الواجب الوجود هو الوجود المطلق
بشرط الاطلاق عن كل امر ثبوتي او كما يقوله طائفة منهم انه الوجود المطلق
بشرط الاطلاق عن كل امر ثبوتي وسلبي كما يقول ذلك من يقوله من الملاحدة
الباطنية المنتسبين الى التشيع والمنتسبين الى التصوف او يقوله طائفة انه
الوجود المطلق لا بشرط كما يقوله طائفة منهم وهم متفقون على ان المطلق

بشرط

بشرط الاطلاق عن الامور الوجودية والعدمية لا يكون في الخارج موجودا
فالمطلق بشرط الاطلاق عن كل امر ثبوتي اولى ان لا يكون موجودا فا
ن القيد بسلب الوجود والعدم نسبته اليهما سواء والقيد بسلب الوجود
يختص بالعدم دون الوجود المطلق لا بشرط انما يوجد مطلقا في الاذهان
واذا قيل هو موصوف في الخارج بذلك بمعنى انه يوجد في الخارج مقيدا لا
انه يوجد في الخارج مطلقا فان هذا باطل وان كانت طائفة تدعيه فمن تصور
هذا تصورا تاما علم بطلان قولهم وهذا حق معلوم بالضرورة فهذا القانون
الصحيح لم ينتفعوا به في اثبات وجود الرب بل جعلوه مطلقا بشرط الاطلا
ق عن النقيضين او عن الامور الوجودية او لا بشرط وذلك لا يتصور الا
في الاذهان والقوانين الفاسدة اوقعتهم في ذلك التناقض والهذيان
وهم يعترفون بوجه من الوجوه ثم يقولون الموجود ينقسم الى واجب وممكن
فهما مشتركان في مسمى الوجود وكذلك لفظ الماهية والحقيقة والذات وهما
كما قيل هو ينقسم الى واجب وممكن ومورد التقسيم مشترك بين الاقسام فقد
اشتركت الاقسام في المعنى العام الكلي الشامل لما تشابهت فيه فهذا تشبيه
يقولون به وهم يزعمون انهم ينفون كلما يسمى تشبيها حتى نفوا الاسما
فكان الغلاة من الجهمية والباطنية لا يسمونه شيئا فرارا من ذلك واي
شيء اثبتوه لزمهم فيه مثل ذلك والالزام ان يكون وجوده واجب الوجود
وممكن وقديم ومحدث وان المحدث الممكن لا بد له من قديم واجب بنفسه
فثبوت النوعين ضروري لا بد منه وحقيقة الامر ان لفظ المطلق قد يعني
به ما هو كلي لا يمنع تصور معناه من وقوع الشركة فيه ويمتنع ان يكون شيء
موجود في الخارج قائم بنفسه او صفة لغيره بهذا الاعتبار فضلا عن ان يكون

رب العالمين الاحد الصمد كذلك وقد يراد بالمطلق المجرد عن الصفات الثبوتية
والسلبية جميعا والمطلق لا بشرط الاطلاق وهذا قد جعل معينا خاصا
لا كليا فانه يمتنع وجوده في الخارج اعظم من امتناع الكليات المطلقة بشرط
لكونها كلية فان تلك الكليات لها جزئيات موجودة في الخارج والكليات
مطابقة لها واما وجود شيء مجرد عن ان يوصف بصفة ثبوتية وسلبية
فهذا يمتنع تحققه في الخارج كليا او جزئيا وكذلك المجرد عن ان يوصف بصفة
ثبوتية بل هذا اولى بالامتناع منه واذا كان هذا قد شارك سائر الموجودات
في مسمى الوجود ولم يتميز عنها بالقيود السلبية وهي قد امتازت عنه بالقيود الو
جودية كان كل ممكن في الوجود اكمل من هذا الذي زعموا انه واجب الوجود
فان الوجود الكلي مشترك بينه وبينها ولم يتميز عنها الا بعدم وامتازت عنه
بوجود فكان ما امتازت به عنه اكمل مما امتاز به هو عنها اذ الوجود اكمل من العدم
واما اذا قيل هو الموجود لا بشرط فهذا هو الوجود الكلي الطبيعي المطابق لكل
موجود وهذا لا يكون كليا الا في الذهن واما في الخارج فلا يوجد الا معينا
ومن الناس من قال ان هذا الكلي جزء من المعينات فان كان الاول هو
الصواب لزم ان يكون الواجب الموجود معدوما في الخارج وان يكون عين الواجب
عين الممكن كما يقوله من يقوله من القائلين بوحدة الوجود وان كان الثاني
هو الصواب لزم ان يكون وجوده جزءا من كل موجود فيكون الواجب الوجود
جزءا من وجود الممكنات ومن المعلوم بصريح العقل ان جزء الشيء لا يكون
هو الخالق له بل يمتنع ان يكون خالقا لنفسه فضلا عن ان يكون خالقا لما
هو بعضه والكل اعظم من الجزء فاذا امتنع ان يكون خالقا للجزء فامتناع
كونه خالقا للكل اظهر واظهر فصحيح المنطق لم ينتفعوا به في معرفة الله

وباطل

وباطل المنطق اوقعهم في غاية الكذب والجهل بالله ومن لم يجعل الله له نورا فما له
من نور والله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اوليا [margin: ؤهم]
الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات وهو القائل لقد ارسلنا رسلنا
بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد
فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان
الله قوي عزيز وهو القائل كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين
مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما
اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات
بغيا بينهم فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا قام من
الليل ما رواه مسلم في صحيحه اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر
السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون
اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم

فصل

وتمام الكلام في هذا الباب انك تعلم انا لا نعلم ما غاب عنا
الا بمعرفة ما شاهدناه فنحن نعرف اشياء بحسب الظاهر والباطن وتلك
معرفة معينة مخصوصة ثم انا بعقولنا نعتبر الغائب بالشاهد فيبقى في
اذهاننا قضايا عامة كلية ثم اذا خوطبنا بوصف ما غاب عنا لم نفهم ما قيل
لنا الا بمعرفة المشهود لنا فلولا انا نشهد من انفسنا جوعا وعطشا وشبعا
وريا وحبا وبغضا ولذة والما ورضى وسخطا لم نعرف حقيقة ما نخاطب به
اذا وصف لنا ذلك واخبرنا به عن غيرنا وكذلك لو لم نعلم ما في الشاهد حياة
وقدرة وعلما وكلاما لم نفهم ما نخاطب به اذا وصف الغائب عنا بذلك وكذلك
لو لم نشهد موجودا لم نعرف وجود الغائب عنا فلا بد فيما شهدناه وغاب عنا
قدر مشترك هو مسمى اللفظ المتواطئ فبهذه الموافقة والمشاركة والمشابهة

والمواطأة

نفهم الغائب ونثبته وهذا خاصة العقل ولولا ذلك لم نعلم الا ما نحسه ولم نعلم
امورا عامة ولا امورا غائبة عن احساسنا الظاهر والباطن ولهذا من لم
يحس الشيء ولا نظيره لم يعرف حقيقته ثم ان الله سبحانه وتعالى اخبرنا بما وعدنا به
في الدار الاخرة من النعيم والعذاب واخبرنا بما يؤكل ويشرب وينكح ويفرش
وغير ذلك فلولا معرفتنا بما يشبه ذلك في الدنيا لم نفهم ما وعدنا به ونحن نعلم
مع ذلك ان تلك الحقائق ليست مثل هذه حتى قال ابن عباس رضي الله عنهما
ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسما وهذا تفسير قوله واتوا به متشابها على
احد الاقوال فبين هذه الموجودات في الدنيا وتلك الموجودات في الاخرة
مشابهة وموافقة واشتراك من بعض الوجوه ولها فهمنا المراد واحببناه
ورغبنا فيه وبينهما مباينة ومفاضلة لا يقدر قدرها في الدنيا وهذا من التاويل
الذي لا نعلمه نحن بل يعلمه الله تعالى ولهذا كان قول من قال ان المتشابه لا يعلم
تاويله الا الله حقا وقول من قال ان الراسخون كذا يعلمون تاويله حقا وكلا القولين
ماثور عن السلف من الصحابة والتابعين لهم باحسان فالذين قالوا انهم يعلمون
تاويله مرادهم بذلك انهم يعلمون تفسيره ومعناه والا فهل يحل لمسلم ان
يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يعرف معنى ما يقوله ويبلغه من الايات و
الاحاديث بل كان يتكلم بالفاظ لا يعرف معانيها ومن قال انهم لا يعرفون
تاويله اراد به الكيفية الثابتة التي اختص الله بعلمها ولهذا كان السلف
كربيعة ومالك بن انس وغيرهما يقولون الاستوا معلوم والكيف مجهول
وهذا قول سائر السلف كابن الماجشون والامام احمد ابن حنبل وغيرهما في غير
ذلك من الصفات فمعنى الاستوا معلوم هو التفسير والتاويل الذي يعلمه
الراسخون والكيفية هي التاويل المجهول لبني ادم وغيرهم الذي لا يعلمه الا الله
وكذلك ما وعد به في الجنة يعلم العباد تفسير ما اخبر الله به واما الكيفية فقد قال
تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم

في الحديث

في الحديث الصحيح يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فما اخبرنا الله به فمن صفات المخلوقين نعلم
تفسيره ومعناه ونفهم الكلام الذي خوطبنا به ونعلم معنى العسل واللحم واللبن
والحرير والذهب والفضة ونفرق بين مسميات هذه الاسما واما حقائقها على
ما هي عليه فلا يمكن ان نعلمها نحن ولا نعلم متى تقوم الساعة فتفصيل ما اعد الله
عز وجل لعباده لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل بل هذا من التاويل الذي
لا يعلمه الا الله تبارك وتعالى فاذا كان هذا في هذين المخلوقين فالامر في الخا[لق]
والمخلوق اعظم فان مباينة الله لخلقه وعظمته وكبريائه وفضله اعظم واكثر
مما بين مخلوق ومخلوق فاذا كانت صفات المخلوق مع مشابهتها لصفات
هذا المخلوق بينهما من التفاضل والتباين ما لا نعلمه في الدنيا ولا يمكن ان
نعلمه بل هو من التاويل الذي لا يعلمه الا الله تبارك وتعالى فصفات الخالق
عز وجل اولى ان يكون بينها وبين صفات المخلوقين من التباين والتفاضل
ما لا يعلمه الا الله تبارك وتعالى وان يكون هذا من التاويل الذي لا يعلمه احد
بل منه ما يعلمه الراسخون ومنه ما يعلمه الانبيا والملائكة ومنه ما لا يعلمه الا
الله كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان التفسير على اربعة اوجه تفسير
تعلمه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر احد بجهالته وتفسير تعلمه العلما
وتفسير لا يعلمه الا الله من ادعى علمه فهو كاذب ولفظ التاويل في كلام
السلف لا يراد به الا التفسير او الحقيقة الموجودة في الخارج التي يؤول اليها
كما في قوله هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله الاية وقوله تعالى بل كذبوا بما
لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله واما استعمال التاويل بمعنى انصراف اللفظ
عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به فهذا اصطلاح
بعض المتاخرين ولم يكن في لفظ احد من السلف ما يراد منه بالتاويل هذا
المعنى ثم لما شاع هذا بين المتاخرين صاروا يظنون ان هذا هو التاويل في

ذلك هم

قوله تعالى وما يعلم تأويله إلا الله ثم طائفة تقول لا يعلمه إلا الله وقالت طائفة
بل يعلمه الراسخون وكلتا الطائفتين غالطة فإن هذا لا حقيقة له بل هو
باطل والله يعلم انتفاءه وإن لم يرده وهذا مثل تأويلات القرامطة الباطنية
والجهمية وغيرهم من أهل الإلحاد والبدع وتلك التأويلات باطلة والله لم
يردها بكلامه ومن لم يرده لا نقول إنه يعلم أنه مراده فإن هذا كذب على الله عز
وجل والراسخون في العلم لا يقولون على الله تبارك وتعالى الكذب وإن كنا مع ذلك
قد علمنا بطريق خبر الله عز وجل عن نفسه بل وبطريق الاعتبار أن لله المثل الأعلى
أن الله موصوف بصفات الكمال موصوف بالحياة والعلم والقدرة وهذه صفات
كمال والخالق أحق بها من المخلوق فيمتنع أن يتصف المخلوق بصفات الكمال
دون الخالق ولولا أن هذه الأسما والصفات تدل على معنى مشترك كلي يقتضي
من المواطاة والموافقة والمشابهة ما به نفهم ونثبت هذه المعاني لم نكن قد
عرفنا من الله شيئا ولا صار في قلوبنا إيمان به ولا علم ولا معرفة ولا محبة ولا إرادة
لعبادته ودعائه وسؤاله ومحبته وتعظيمه فإن جميع هذه الأمور لا تكون
إلا مع العلم ولا يمكن العلم إلا بإثبات تلك المعاني التي فيها من الموافقة والمواطاة
ما به حصل لنا ما حصل من العلم لما غاب عن شهودنا ومن فهم هذه الحقائق
الشريفة والقواعد الجليلة النافعة حصل له من العلم والمعرفة والتحقيق
والتوحيد والإيمان وانجاب عنه من الشبه والضلال والحيرة ما يصير به في
هذا الباب من أفضل الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ومن
سادات أهل العلم والإيمان وتبين له أن القول في بعض صفات الله كالقول
في سائرها وأن القول في صفاته كالقول في ذاته وأن من أثبت صفة دون صفة
فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم مع مشاركة أحدهما الأخرى فيما به
نفاها كان متناقضا فمن نفى النزول أو الاستوى أو الرضى أو الغضب
أو العلم أو القدرة أو اسم العليم أو القدير أو اسم الموجود فرارا بزعمه من تشبيه وتركيب

مقتضاه

وتجسيم

وتجسيم فإنه يلزمه فيما أثبته نظير ما يلزمه لغيره فيما نفاه هو وأثبته المثبت
فكل ما استدل به على نفي النزول والاستوى والرضى والغضب يمكن منازعه
أن يستدل بنظيره على نفي الإرادة والسمع والبصر والقدرة والعلم وكلما استدل
به على نفي القدرة والعلم والسمع والبصر يمكن منازعه أن يستدل بنظيره على
نفي القدير والعليم والسميع والبصير وكلما يستدل به على نفي هذه الأسما يمكن
منازعه أن يستدل به على نفي الموجود والواجب ومن المعلوم بالضرورة
أنه لا بد من موجود قديم واجب بنفسه يمتنع عليه العدم فإن الوجود إما ممكن
وإما واجب وقديم والممكن المحدث لا يوجد إلا بواجب وقديم فإذا كان ما
يستدل به على نفي الصفات يستلزم نفي الوجود القديم ونفي ذلك يستلزم نفي
الوجود مطلقا علم أن من عطل شيئا من الصفات الثابتة بمثل هذا الدليل
كان قوله مستلزما تعطيل الموجود المشهود ومثال ذلك أنه إذا قال النزول
والاستوى ونحو ذلك من صفات الأجسام فإنه لا يعقل النزول والاستوى
إلا لجسم مركب والله سبحانه منزه عن هذا اللازم فيلزم تنزيهه عن الملزوم أو
قال هذه حادثة والحادث لا يقوم إلا بجسم مركب وكذلك إذا قال الرضا والغضب
والفرح والمحبة ونحو ذلك هو من صفات الأجسام فإنه يقال له وكذلك الإرادة
والسمع والبصر والعلم والقدرة من صفات الأجسام فإنا كما لا نعقل ما ينزل
ويستوي ويغضب ويرضى إلا جسما لم نعقل ما يسمع ويبصر ويريد ويعلم
ويقدر إلا جسما فإذا قيل سمعه ليس كسمعنا وبصره ليس كبصرنا وإرادته
ليس كإرادتنا وكذلك علمه وقدرته قيل له وكذلك رضاه ليس كرضانا
وغضبه ليس كغضبنا وفرحه كفرحنا ونزوله واستواه ليس كنزولنا واستوانا
فإذا قيل لا يعقل في الشاهد غضب إلا غليان دم القلب لطلب الانتقام ولا
يعقل نزول إلا الانتقال والانتقال يقتضي تفريغ حيز وشغل آخر فلو كان
ينزل لم يبق فوق العرش رب قيل ولا يعقل في الشاهد الإرادة إلا ميل القلب

الى جلب ما يحتاج اليه وينفعه ويفتقر فيه الى ما سواه ودفع ما يضره والله سبحانه
وتعالى كما اخبر عن نفسه المقدسة في حديث الالهي يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري
فتضروني فهو منزه عن الارادة التي لا يعقل في الشاهد الا هي وكذلك السمع لا يعقل
في الشاهد الا دخول صوت في الصماخ وذلك لا يكون الا في اجوف والله سبحانه احد
صمد منزه عن مثل ذلك بل وكذلك البصر والكلام لا يعقل في الشاهد الا في محل
اجوف والله سبحانه احد صمد منزه عن مثل ذلك قال ابن عباس والحسن وسعيد
ابن جبير وخلق من السلف الصمد الذي لا جوف له وقال اخرون هو السيد الذي
كمل سودده وكلا القولين حق فان لفظ الصمد في اللغة يتناول هذا وهذا او
الصمد في اللغة السيد والصمد ايضا المصمد والمصمد المصمت وكلاهما معروف
في اللغة ولهذا قال يحيى ابن ابي كثير الملائكة صمد والادميون جوف وهذا ايضا
دليل اخر فانه اذا كانت الملائكة وهم مخلوقون من النور كما ثبت في صحيح مسلم عن
عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خلقت الملائكة من نور وخلق
وخلق الجان من مارج من نار وخلق ادم مما وصف لكم فاذا كانوا مخلوقين من
نور وهم لا ياكلون ولا يشربون بل صمد ليسوا جوفا كالانسان وهم يتكلمون
ويسمعون ويبصرون ويصعدون وينزلون كما ثبت ذلك بالنصوص الصحيحة وهم
مع ذلك لا تماثل صفاتهم وافعالهم صفات الانسان وفعله فالخالق تعالى اعظم مباينة
لمخلوقات من المخلوق الى الخالق سبحانه وتعالى وكذلك روح ابن ادم تسمع وتبصر وتتكلم
وتنزل كما ثبت ذلك بالنصوص الصحيحة والمعقولات الصريحة ومع ذلك فليست
صفاتها وافعالها كصفات البدن وافعاله فاذا لم يجز ان يقال ان صفات الروح و
افعالها مثل صفات الجسم الذي هو الجسد وهي مقرونة به وهما جميعا الانسان
فاذا لم يكن روح الانسان مماثلا للجسم الذي هو بدنه فكيف يجوز ان يجعل الرب تبارك
وتعالى وصفاته وافعاله مثل الجسم وصفاته وافعاله فاذا اراد النافي الزام اهل
وقال انا اقول ليس له كلام يقوم به بل كلامه مخلوق قيل له فيلزمك في السمع والبصر
فان البصريين من المعتزلة يثبتون الادراك فان قال انا اقول بقول البغداديين

من [illegible] بين الملائكة والادمي فان كلاهما
مخلوق والمخلوق [illegible] المخلوق

منهم

منهم فلا اثبت له سمعا ولا بصرا ولا كلاما يقوم به بل اقول كلامه مخلوق من مخلوقاته
لان اثبات ذلك تجسيم وتشبيه بل ولا اثبت له ارادة كما لا يثبتها البغداديون بل
اجعلها سلبا او اضافة فاقول معنى كونه مريدا انه غير مغلوب ولا مكروه او
معنى كونه خالقا وامرا قيل له فيلزمك نفي كونه حيا عالما قادرا فان المعتزلة
مطبقون على اثبات حي عالم قادر وقيل له انت لا تعرف حيا عالما قادرا الا
جسما فاذا جعلته حيا عالما قادرا لزمك التجسيم والتشبيه فان زاد في التعطيل
وقال انا لا اقول بقول المعتزلة بل بقول الجهمية المحضة والباطنية من
الفلاسفة والقرامطة فانفي الاسماء مع الصفات ولا اسميه حيا ولا قادرا ولا متكلما
الا مجازا اعني السلب والاضافة اي هو ليس بجاهل ولا عاجز واجعل غيره قادرا
عالما قيل له فيلزمك ذلك في كونه موجودا واجبا بنفسه قديما فاعلا فان جهما
قيل كان يثبت كونه فاعلا قادرا لان الانسان عنده ليس بقادر ولا فاعل فلا تشبيه عنده
في ذلك واذا وصل الى هذا المقام فلا بد له ان يقول بقول طائفة منهم فيقول انا لا اصفه
بصفة وجود ولا عدم فلا اقول موجود ولا معدوم او لا اقول موجود ولا غير
موجود بل امسك عن النقيضين فلا اتكلم بنفي ولا اثبات واما ان يقول انا لا اصفه
قط بامر ثبوتي بل بالسلبي فلا اقول موجود بل اقول ليس بمعدوم واما ان يقول بل
هو معدوم فالقسمة حاصرة فانه اما ان يصفه بامر ثبوتي فيلزمه ما الزمه
لغيره من التشبيه والتجسيم واما ان يقول لا اصفه بالثبوت بل بسلب العدم
فلا اقول موجود بل ليس بمعدوم واما ان يلتزم التعطيل المحض فيقول ولا
العدم قيل هب انك تتكلم بذلك بلسانك ولا تعتقد بقلبك واحدا من
الامرين بل تلتزم الاعراض عن معرفة الله وعبادته وذكره فلا تذكره
قط ولا تعبده ولا تدعوه ولا ترجوه ولا تخافه فيكون جحدك له اعظم من جحد
ابليس الذي اعترف به من اثبات احد النقيضين لا يلتزم رفع النقيضين
في نفس الامر فان النقيضين لا يمكن رفعهما بل في نفس الامر لا بد ان يكون الشيء اي

شيء كان اما موجودا واما معدوما واما ان لا يكون وليس بين النفي والاثبات
واسطة اصلا ونحن نذكر ما في نفس الامر سوا احدثت انت او اعترفت
وسوا ذكرته او اعرضت عنه فاعراض الانسان عن روية الشمس والقمر والكواكب
والسما لا يدفع وجودها ولا يرفع ثبوت احد النقيضين بل بالضرورة
الشمس اما موجودة واما معدومة فاعراض قلبك ولسانك عن ذكر الله
كيف يدفع وجوده ويوجب رفع احد النقيضين فلا بد ان يكون اما موجودا
واما معدوما في نفس الامر ولكن لكجواب من قال انا لا اقول موجود بل اقول
ليس بمعدوم فانه يقال سلب احد النقيضين اثبات للاخر وانت غيرت
العبارة اذ قول القائل ليس بمعدوم يستلزم ان يكون موجودا والا فاذا لم
يكن معدوما اما ان لا يكون موجودا ولا معدوما وهذا الثالث يوجب
رفع النقيضين وهو مما يعلم فساده بالضرورة فوجب انه اذا لم يكن معدوما
ان يكون موجودا وان يقال بل التزم انه معدوم قيل له من المعلوم بالمشاهدة
والعقل وجود موجودات ومن المعلوم ايضا ان منها ما هو حادث بعد ان
لم يكن كما نعلم نحن انا حادثون بعد عدمنا وان السحاب حادث والمطر و
النبات حادث والدواب حادثة وامثال ذلك من الايات التي نبه عليها بقوله
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات
والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض
بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء و
الارض لايات لقوم يعقلون وهذه الحوادث المشهودة يمتنع ان تكون واجبة
الوجود بذاتها فان ما وجب وجوده بنفسه امتنع عدمه ووجب قدمه وهذه
كانت معدومة ثم وجدت فدل وجودها بعد عدمها على انها يمكن وجودها
ويمكن عدمها فان كلاهما قد تحقق فيها فنعلم بالضرورة اشتمال الوجود على موجود
محدث ممكن فنقول حينئذ الموجود المحدث الممكن لا بد له من موجد قديم واجب

لعله وان تغيرت
غيرت م

بنفسه

بنفسه فانه يمتنع وجود المحدث بنفسه كما يمتنع ان يخلق الانسان نفسه وهذا من
اظهر المعارف الضرورية فان الانسان بعد قوته ووجوده لا يقدر ان يزيد في
ذاته عضوا ولا قدرا فلا يقصر الطويل ويطول القصير ولا يجعل راسه اكبر مما
هو ولا اصغر وكذلك ابواه لا يقدران على شيء من ذلك ومن المعلوم بالضرورة ان
الحادث بعد عدمه لا بد له من محدث وهذه قضية ضرورية معلومة بالفطرة
حتى للصبيان فان الصبي لو ضربه ضارب وهو غافل لا يبصره لقال من ضربني من
ضربني فلو قيل له لم يضربك احد لم يقبل عقله ان تكون الضربة حدثت من غير محدث
بل يعلم انه لا بد للحادث من محدث فاذا قيل له فلان ضربك بكى حتى يضرب ضاربه
وكان في فطرته الاقرار بالصانع وبالشرع الذي مبناه على العدل ولهذا قال تعالى
ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم انه لما قدم
في اسارى بدر قال وجدت النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في المغرب بالطور قال فلما
سمعت هذه ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون احسست بفؤادي قد انصدع
وذلك ان هذا تقسيم حاصر ذكره الله بصيغة استفهام الانكار ليبين ان
هذه المقدمات معلومة بالضرورة لا يمكن جحدها يقول ام خلقوا من غير
شيء اي من غير خالق خلقهم ام هم خلقوا انفسهم وهم يعلمون ان كلا النقيضين
باطلة فتعين ان لهم خالقا خلقهم سبحانه وتعالى وهنا طرق كثيرة يقال الوجود
اما قديم واما محدث والمحدث لا بد له من قديم والموجود اما واجب واما ممكن
والممكن لا بد له من واجب ونحو ذلك وعلى كل تقدير فقد لزم ان في الوجود
فيه موجود قديم واجب بنفسه وموجود ممكن محدث كائن بعد ان لم يكن
وهذان قد اشتركا في مسمى الوجود وهو لا يعقل موجودا في الشاهد الا جسما
فلزمه ما الزمه لغيره من التشبيه والتجسيم الذي ادعاه فنعلم ان من نفى شيئا
من صفات الله بمثل هذه الطريقة فان نفيه باطل ولم يرد الشرع باثبات ذلك
ولا دل ايضا عليه العقل فكيف ينفي بمثل ذلك ما دل عليه الشرع والعقل فتبين
ان كل من نفى شيئا من الصفات لان ذلك يستلزم التشبيه والتجسيم لزمه ما الزمه

لعله النقيضين

به عنه وحينئذ فيكون الجواب مشتركا وايضا فاذا كان هذا لازما على كل تقدير
علم ان الاستدلال به على نفي الملزوم باطل فان الملزوم لا يمكن نفيه بحال ولهذا
لا يوجد الاستدلال بمثل هذا في كلام احد من سلف الامة وائمتها وانما هو مما
اخذته الجهمية والمعتزلة وتلقاه عنهم كثير من الناس ينفي عن الرب ما يجب
نفيه عن الرب مثل ان ينفي عنه النقائص التي يجب تنزيه الرب عنها كالجهل والعجز
والحاجة وغير ذلك وهذا تنزيه صحيح لكن يستدل عليها بان ذلك يستلزم التجسيم
والتشبيه فيعارض بما اثبته فيلزم التناقض ومن هذا دخلت الملاحدة الباطنية
على المسلمين حتى ردوا عن الاسلام خلقا عظيما صاروا يقولون لمن نفى
شيئا عن الرب مثل من نفى بعض الصفات او جميعها او الاسماء انما نفيت هذا لانه
يلزم التشبيه والتجسيم فيقول بلى فيقول وهذا لازم لك فيما اثبته
فيحتاج ان يوافقهم على النفي شيئا بعد شيء حتى ينتهي امره الى ان لا يعرف الله بقلبه
ولا يذكره بلسانه ولا يدعوه وان كان لا يجزم بعدمه بل يعطل نفسه عن الايمان
به وقد عرفت تناقض هؤلاء وان التزم التعطيل فجحده موافقة لفرعون كان
اعظم فانه يقال له فهذا العالم الموجود اذا لم يكن صانع كان قديما ازليا واجبا بنفسه
ومن المعلوم ان فيه حوادث كثيرة كما تقدم وحينئذ ففي الوجود قديم ومحدث
وواجب وممكن وحينئذ فيلزمك ان يكون ثم موجودان احدهما قديم واجب
والاخر محدث ممكن فيلزمك ما فررت منه من التشبيه والتجسيم بل هذا يلزمك
بصحيح قولك فان العالم المشهود جسم تقوم به الحركات فان الفلك جسم وكذلك
الشمس والقمر والكواكب اجسام تقوم بها الحركات والصفات فجحدت رب العالمين
لئلا تجعل القديم الواجب جسما تقوم به الصفات والحركات ثم في اخر امرك جعلت
القديم الازلي الواجب الوجود بنفسه اجساما متعددة تشبه غيرها من وجوه
كثيرة تقوم بها الصفات والحركات مع ما فيها من الافتقار والحاجة فان الشمس والقمر
والكواكب محتاجة الى محالها التي هي فيها ومواضعها التي تحملها وتدورها

والافلاك

والافلاك كل منها يحتاج الى ما سواه الى غير ذلك من دلائل نقصها وحاجتها
والمقصود هنا ان هذا الذي فر من ان يجعل القديم الواجب موجودا
وموصوفا بصفات الكمال لئلا يلزم ما ذكره من التشبيه والتجسيم وجعل نفي
هذا الالتزام دليلا على نفي ما جعله ملزوما لزمه في اخر الامر ما فر منه من جعله
الموجود الواجب جسما يشبه غيره معان ووصفه بصفات النقص التي يجب تنزيه
الرب عنها ومع انه جحد الخالق جل جلاله فلزمه مع الكفر الذي هو اعظم من كفر
عامة المشركين فانهم كانوا يقرون بالصانع مع عبادتهم لما سواه ولزمه
مع هذا انه من اجهل بني ادم وافسدهم عقلا ونظرا واشدهم تناقضا
وهكذا يفعل الله بالذين يلحدون في اسمائه واياته مع دعوى النظر والعقول
والبرهان والقياس كفرعون واتباعه قال تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان
مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا
قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال
وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في
الارض الفساد وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب
وقال رجل مؤمن من ال فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد
جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض
الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب الى قوله الذين يجادلون في
ايات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا
كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي
ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا وكذلك زين
لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب وقال تعالى انا
لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع
الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ولقد اتينا موسى الهدى واورثنا
بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر

لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير وسبب ذلك ان لفظ الجسم والتشبيه فيه اجمال واشتباه كما سنبينه ان شاء الله تعالى فان هؤلاء النفاة لا يريدون بالجسم الذي نفوه ما هو المراد بالجسم الذي في اللغة كما نقله اهل اللغة باتفاق العقلاء وسنا بين ذلك وانما يريدون بالجسم ما اعتقدوه هم انه مركب من اجزا واعتقدوا ان كلما تقوم به الصفات فهو مركب من اجزا وهذا الاعتقاد باطل بل الرب موصوف بالصفات وليس جسما مركبا لا من الجواهر المفردة ولا من المادة والصورة كما يدعون كما سنبينه ان شاء الله تعالى فلا يلزم من ثبوت الصفات لزوم ما ادعوه من المحال بل غلطوا في هذا التلازم واما ما هو لازم لا ريب فيه فذلك يجب اثباته لا يجوز نفيه عن الله فكان غلطهم باستعمال لفظ مجمل واحدى المقدمتين باطلة اما الاولى واما الثانية كما سيأتي ان شاء الله تعالى **وهذه قواعد** مختصرة جامعة وهي مبسوطة في مواضع اخر واذا تبين هذا فقول السائل كيف ينزل بمنزلة قوله كيف استوى وقوله كيف يسمع وكيف يبصر وكيف يعلم ويقدر وكيف يخلق ويرزق وقد تقدم الجواب عن مثل هذا السؤال من ائمة الاسلام مثل مالك ابن انس وشيخه ربيعة ابن ابي عبد الرحمن فانه قد روي من غير وجه ان سائلا سأل مالكا ثم قال الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما اراك الا رجل سوء ثم امر به فاخرج ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك وقد روي هذا الجواب عن ام سلمة رضي الله عنها موقوفا ومرفوعا لكن ليس اسناده مما يعتمد عليه وهكذا سائر الائمة قولهم يوافق قول مالك في انا لا نعلم كيفية استوائه كما لا نعلم كيفية ذاته ولكن نعلم المعنى الذي دل عليه الخطاب فنعلم معنى الاستواء ولا نعلم كيفيته وكذلك نعلم معنى النزول ولا نعلم كيفيته ونعلم معنى السمع والبصر

والعلم

والعلم والقدرة ولا نعلم كيفية ذلك ونعلم معنى الرحمة والغضب والرضى والفرح والضحك ولا نعلم كيفية ذلك **واما سؤال السائل** هل يخلو منه العرش ام لا يخلو منه وامساك المجيب عن هذا لعدم علمه بما يجيب به والامساك عما لا يعلم حقيقته وسؤال السائل له عن هذا ان كان نفيا لما اثبته الرسول صلى الله عليه وسلم فخطأ منه وان كان استرشادا فحسن فان كان تجهيلا للمسؤول فهذا فيه تفصيل فان المثبت الذي لم يثبت الا ما اثبته الرسول صلى الله عليه وسلم ونفى علمه بالكيفية فقوله سديد لا يرد عليه سؤال فالمعترض الذي يعترض عليه بهذا السؤال اعتراضه باطل فان ذلك لا يقدح في جواب المجيب **وقول المسؤول** هذا قول مبتدع ورأي مخترع حيدة عن الجواب يدل على جهله بالجواب السديد ومما يبين ذلك ان هذا المعترض اما ان يقر بان الله فوق العرش واما ان لا يكون مقرا بذلك فان لم يكن مقرا بذلك كان قوله هل يخلو العرش منه ام لا يخلو كلاما باطلا لان هذا التقسيم فرع ثبوت كونه على العرش واذا قال المعترض انا ذكرت هذا التقسيم لاقدح في نزوله وانفي العلو لانه ان قال لا يخلو منه العرش لزم ان لا يخلو من استوائه على العرش وعلوه عليه وان لا يكون وقت النزول هو العلي الاعلى بل يكون في جوف العالم والعالم محيط به وان قال ان العرش لا يخلو منه قيل له فان لم يخل العرش منه لم يكن قد نزل فان نزوله بدون خلو العرش منه لا يعقل قيل لهذا المعترض هذا الاعتراض باطل لا ينفعك لان الخالق سبحانه موجود بالضرورة والشرع والعقل والاتفاق فهو اما ان يكون مباينا للعالم فوقه واما ان يكون مداخلا للعالم محايثا له واما ان يكون لا هذا ولا هذا فان قلت انه محايث للعالم بطل قولك فانك اذا جوزت نزوله وهو بذاته في كل مكان لم يمتنع عندك خلو ما فوق العرش بل هو دائما خال منه العرش لانه ليس هناك شيء ثم تعالى الله عن ذلك فهل يعقل مع هذا انه في كل مكان وانه مع هذا ينزل الى سماء الدنيا فان قلت نعم قيل لك فاذا نزل هل يخلو منه بعض الامكنة او لا يخلو فان قلت يخلو منه بعض الامكنة كان هذا نظير خلو العرش منه وان قلت لا يخلو منه مكان كان هذا نظير كون العرش لا يخلو فان جوز

هذا كان هذا الخصمك ان يجوز هذا فقد لزمك على قولك ما لزم منازعك بل
قولك ابعد عن المعقول لان نزول من هو فوق العالم اقرب الى المعقول من نزول
من هو خال في جميع العالم فان نزول هذا لا يعقل بحال وما قررت من الحلول
وقعت في نظيره بل منازعك الذي يجوز ان يكون فوق العالم وهو اعظم عنده من
العالم وينزل الى العالم اشد تعظيما منك ويقال له هل يعقل موجودان قائمان
بانفسهما احدهما محايث للاخر فان قال لا ابطل قوله وان قال نعم قيل له فتعقل
انه فوق العرش وانه ينزل الى السماء الدنيا ولا يخلو منه العرش فان هذا اقرب
الى العقل من اذا قلت انه حال في العالم وان قلت انه لا مباين للعالم ولا مداخل له قيل
له فهل يعقل موجودان قائمان بانفسهما ليس احدهما مباينا للاخر ولا محايثا
له فان جمهور العقلا يقولون ان فساد هذا معلوم بالضرورة فيقال له فان جاز
وجود موجود قائم بنفسه ليس هو مباينا للعالم ولا محايثا فوجود موجود
مباين للعالم ينزل الى العالم ولا يخلو منه ما فوق العالم اقرب الى المعقول
فانك ان كنت لا تثبت من الوجود الا ما تعقل له حقيقة في الخارج فانت
لا تعقل في الخارج موجودين قائمين بانفسهما ليس احدهما داخلا في الاخر
ولا محايثا له وان كنت تثبت ما لا تعقل له حقيقة في الخارج فوجود مو
جودين احدهما مباين للاخر اقرب الى المعقول من كونه لا فوق العالم ولا
داخل العالم فان حكمت بالقياس فالقياس عليك لا لك وان لم تحكم به لم يصح
استدلالك على منازعك به **واما قول** السائل ليس هذا جوابي
بل هو حيدة عن الجواب فيقال له الجواب على وجهين جواب معترض وجواب
مستفت وانت لم تسال سؤال مستفت بل سالت سؤال معترض وقد تبين
لك ان هذا الاعتراض ساقط لا ينفعك فانه سوا قيل فيه انه يخلو منه العرش
او قيل لا يخلو منه العرش ليس في ذلك ما يصحح قولك انه لا داخل العالم ولا خا
رجه ولا قولك انه ذات في كل مكان واذا بطل هذان القولان تعين الثالث

وهو

وهو انه سبحانه وتعالى فوق سمواته على عرشه باين من خلقه واذا كان كذلك
بطل قول المعترض من هذا ان كان غير مقر بانه فوق العرش وقد سئل
بعض ائمة نفاة العلو عن النزول فقال ينزل امره فقال له السائل فممن ينزل
الامر من العدم المحض فبهت وان كان المعترض من المثبتة للعلو ويقول ان
الله فوق العرش لكن لا يقر بنزوله بل يقول ينزل ملك او يقول امره الذي هو مامور
به وهو مخلوق من مخلوقاته فيجعل النزول مفعولا محدثا يحدثه الله في السما
فيقال له هذا التقسيم يلزمك بانك اذا قلت اذا نزل يخلو منه العرش لزم المحذور
الاول وان قلت لا يخلو منه العرش اثبت نزولا مع عدم خلو العرش
منه وهذا لا يعقل وان قال انما يثبت ذلك في بعض مخلوقاته قيل لاي شي
اثبته كان غير معقول من هذا الخطاب لا يمكن ان يراد به اصلا مع تحريف الكلم
عن مواضعه فجمعت بين شيئين بين ان ما اثبته لا يمكن ان يعقل من
خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وبين انك حرفت كلام الرسول فان قلت
الذي ينزل ملك قيل هذا باطل من وجوه منها ان الملائكة لا تزال تنزل
بالليل والنهار الى الارض وفي الصحيحين عن ابي هريرة وابي سعيد رضي
الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله ملائكة سياحين فضلا يتبعون
مجالس الذكر فاذا مروا على قوم يذكرون الله تنادوا هلموا الى حاجتكم
فيحفونهم باجنحتهم الى السماء الدنيا قال فيسالهم ربهم وهو اعلم ما يقول عبادي
فيقولون يسبحونك ويحمدونك وفي رواية لمسلم ان لله ملائكة سيارة فضلا
عن كتاب الناس يتبعون مجالس الذكر فاذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا
معهم وحف بعضهم بعضا حتى يملؤوا ما بينهم وبين سماء الدنيا فاذا تفرقوا
عرجوا وصعدوا الى السماء قال فيسالهم الله عز وجل وهو اعلم من اين جئتم
فيقولون جئنا من عند عباد لك في الارض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك
ويحمدونك ويسالونك الحديث بطوله الوجه الثاني انه قال فيه من
يسالني فاعطيه من يدعوني فاستجيب له من يستغفرني فاغفر له وهذه العبارة لا يجوز

ان يقولها ملك غير الله بل الذي يقوله الملك ما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا احب الله العبد نادى جبرائيل اني احب فلانا فاحبه فيحبه جبرائيل
ثم ينادي جبرائيل في السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول
في الارض وذكر في البغض مثل ذلك فالملك اذا نادى عن الله لا يتكلم بصيغة
المخاطب بل يقول ان الله امر بكذا وقال كذا وكذا وهكذا اذا امر السلطان مناديا
فانه يقال يا معشر الناس امر السلطان بكذا ونهى عن كذا ورسم بكذا لا يقول امرت
بكذا ونهيت عن كذا بل لو قال ذلك يودي الى عقوبته وهذا التاويل من التاويلات
القديمة للجهمية فانهم تاولوا تكليم الله لموسى عليه السلام بانه امر ملكا فكلمه فقال
اهل السنة لو كلمه ملك لم يقل انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني بل كان يقول
كما قال المسيح عليه السلام ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم فالملا
ئكة رسل الله الى الانبيا تقول كما كان جبرائيل عليه السلام يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم
وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك ويقول ان الله
يامرك بكذا لم يقول كذا لا يمكن ان يقول ملك من الملائكة انني انا الله لا اله الا انا
ويقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له
ولا يقول لا اسال عن عبادي غيري كما رواه النسائي وابن ماجه وسنده صحيح
ويقول لا اسال عن عبادي غيري وهذا ايضا مما يبطل حجة بعض الناس فانه
احتج بما رواه النسائي على بعض طرق الحديث انه يامر مناديا فينادي فان هذا
ان كان ثابتا عن النبي صلى الله عليه وسلم فان الرب يقول ذلك ويامر مناديا بذلك
لا ان المنادي يقول من يدعوني فاستجيب له ومن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان المنادي يقول ذلك فقد علمنا انه يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه
مع انه خلاف اللفظ المستفيض المتواتر الذي نقلته الامة خلفا عن سلف
فاسد في المعقول يعلم انه من كذب بعض المبتدعين كما روى بعضهم ينزل
بالضم وكما قرا بعضهم وكلم اللهَ موسى تكليما ونحو ذلك من تحريفهم اللفظ والمعنى

لوم

فم

وان

وان تاول ذلك بنزول رحمته قيل له الرحمة التي تثبتها اما ان تكون عينا قائمة بنفسها
واما ان تكون صفة قائمة في غيرها فان كانت عينا وقد نزلت الى السماء الدنيا
لم يمكن ان تقول من يدعوني فاستجيب له كما لا يمكن الملك ان يقول ذلك وان
كانت صفة من الصفات فهي لا تقوم بنفسها بل لا بد لها من محل ثم لا يمكن الصفة
تقول هذا الكلام او محلها ثم نزلت الرحمة الى السماء الدنيا ولم تنزل الينا
فاي منفعة لنا في ذلك وان قال بل الرحمة ما ينزل على قلوب قوام الليل في تلك
الساعة من حلاوة المناجاة والعبادة وطيب الدعا والمعرفة وما يحصل
في القلوب من مزيد المعرفة بالله والايمان به وذكره وتجليه لقلوب اوليائه
فان هذا امر معروف يعرفه قوام الليل قيل له حصول هذا في القلوب حق
لكن هذا ينزل الى الارض الى قلوب عباده لا ينزل الى السماء الدنيا ويصعد بعد
نزوله وهذا الذي يوجد في القلوب يبقى بعد طلوع الفجر لكن هذا النور
والبركة والرحمة التي في القلوب هي من اثار ما وصف به نفسه من نزوله بذاته
سبحانه وتعالى كما وصف نفسه بالنزول عشية عرفة في عدة احاديث صحيحة
وبعضها في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ما من يوم اكثر من ان يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وانه عز وجل
ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما اراد هؤلاء وعن جابر ابن عبد الله رضي
الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم عرفة ان الله ينزل الى سماء
الدنيا يباهي باهل عرفة الملائكة ويقول انظروا الى عبادي اتوني شعثا غبرا
ضاحين من كل فج عميق وعن ام سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله ينزل الى سماء الدنيا يباهي باهل عرفة الملائكة ويقول انظروا
الى عبادي اتوني شعثا غبرا فانه من المعلوم ان الحجيج عشية عرفة ينزل
على قلوبهم من الايمان والرحمة والنور والبركة ما لا يمكن التعبير عنه ولكن ليس
هذا الذي في قلوبهم هو الذي يدنو الى السماء الدنيا ويباهي الملائكة بالحجيج والجهمية
ونحوهم من المعطلة انما يثبتون مخلوقا بلا خالق واثرا بلا مؤثر ومفعولا

اذا

بلا فاعل

وهذا معروف من اصولهم وهذا من فروع اقوال الجهمية ايضا فيقال وصف نفسه
بالنزول كوصفه في القران بانه خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على
العرش وبانه استوى الى السماء وهي دخان وبانه ناجى موسى وناداه في البقعة
المباركة من الشجرة وبالمجي والاتيان في قوله وجاء ربك والملك صفا صفا
وقوله هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك او ياتي بعض ايات ربك
والاحاديث المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم في اتيان الرب يوم القيمة كثيرة و
كذلك اتيانه لاهل الجنة يوم الجمعة وهذا ما احتج به السلف على من ينكر الحديث
فيثبتون ان القران يصدق معنى الحديث كما احتج به اسحق ابن راهويه على
بعض الجهمية بحضرة الامير عبد الله ابن طاهر امير خراسان قال ابو عبد الله
الرباطي حضرت مجلس الامير عبد الله ابن طاهر ذات يوم وحضر اسحق ابن راهويه
فسئل عن حديث النزول اصحيح هو فقال نعم فقال له بعض قواد عبد الله يا ابا
يعقوب اتزعم ان الله ينزل كل ليلة قال نعم قال كيف ينزل قال اثبته فوق حتى
اصف لك النزول فقال له الرجل اثبته فوق فقال له اسحق قال الله سبحانه وتعالى وجاء
ربك والملك صفا صفا فقال الامير عبد الله ابن طاهر هذا يوم القيمة فقال اسحق اعز
الله الامير ومن يجي يوم القيمة من يمنعه اليوم ثم بعد هذا اذا
نزل هل يخلو منه العرش او لا يخلو منه هذه مسئلة اخرى تكلم فيها اهل
الاثبات فمنهم من قال لا يخلو منه العرش ونقل ذلك عن الامام احمد ابن حنبل في
رسالته الى مسدد وعن اسحق ابن راهويه وحماد ابن زيد وغيرهما ومنهم من انكر
ذلك وطعن في هذه الرسالة وقال راويها عن احمد ابن حنبل مجهول لا يعرف
والقول بذلك معروف عند الائمة كحماد ابن زيد واسحق ابن راهويه قال
الخلال في كتاب السنة ثنا جعفر ابن محمد الفريابي ثنا احمد ابن محمد المقدمي
ثنا سليمان ابن حرب قال سئل بشر ابن السري حماد ابن زيد فقال يا ابا اسمعيل
الحديث الذي جا ينزل الله الى السماء الدنيا يتحول من مكان الى مكان فسكت حماد ابن زيد
ثم قال هو في مكانه يقرب من خلقه كيف شاء ورواه ابن بطة في كتاب الابانة فقال

حدثني

حدثني ابو بكر ابو القسم حفص ابن عمر الاردملي ثنا ابو حاتم الرازي
ثنا سليمان ابن حرب قال سال بشر ابن السري حماد ابن زيد فقال يا ابا اسما عيل
الحديث الذي جاء ينزل الله الى السماء الدنيا يتحول من مكان الى مكان فسكت
حماد ابن زيد ثم قال هو في مكانه يقرب من خلقه كيف شاء وقال ابن بطة
وثنا ابو بكر النجاد ثنا احمد ابن علي الابار ثنا علي ابن خشرم قال قال اسحق
ابن راهويه دخلت على عبد الله ابن طاهر فقال ما هذه الاحاديث التي تروونها
قلت اي شي اصلح الله الامير قال تروون ان الله ينزل الى السماء الدنيا قلت
نعم رواها الثقات الذين يروون الاحكام قال ينزل ويدع عرشه قال فقلت
يقدر ان ينزل من غير ان يخلو العرش منه قال نعم قلت ولم تتكلم في هذا وقد
رواها اللالكائي ايضا باسناد منقطع والفاظ مخالف لهذا وهذا اسناد صحيح
وهذه والتي قبلها حكايتان صحيحتان رواتهما ائمة ثقات فحماد ابن زيد يقول
هو في مكانه يقرب من خلقه كيف شاء فاثبت قربه الى خلقه مع كونه فوق عرشه
وعبد الله ابن طاهر وهو من خيار من ولي الامر بخراسان كان يعرف ان الله فوق
العرش واشكل عليه انه ينزل لتوهمه ان ذلك يقتضي انه يخلو منه العرش فاقره
الامام اسحق على انه فوق العرش وقال له يقدر ان ينزل من غير ان يخلو منه
العرش وقال الامير نعم فقال له اسحق لم تتكلم في مثل هذا يقول فاذا كان قادرا على
ذلك لم يلزم من نزوله خلو العرش فلا يجوز ان يعترض على النزول بانه يلزم منه خلو
العرش وكان هذا اهون من اعتراض من يقول ليس فوق العرش شي فينكر هذا
وهذا ونظيره ما رواه ابو بكر الاثرم في السنة قال ثنا ابراهيم ابن الحارث يعني العبا دي
قال حدثني الليث ابن يحيى قال سمعت ابراهيم ابن الاشعث يقول سمعت الفضيل
ابن عياض يقول اذا قال لك الجهمي انا اكفر برب يزول عن مكانه فقل انا اومن برب
يفعل ما يشاء اراد الفضيل ابن عياض رحمه الله مخالفة الجهمي الذي يقول
انه لا تقوم به الافعال الاختيارية فلا يتصور منه اتيان ولا مجي ولا استوى ولا
غير ذلك من الافعال الاختيارية القائمة به فقال الفضيل اذا قال لك الجهمي

انا اكفر به فقل انا اومن برب يفعل ما يشاء فامره ان يؤمن بالرب الذي يفعل ما يشاء
من الافعال القائمة بذاته التي يشاها لم يرد من المفعولات المنفصلة عنه ومثل
ذلك ما يروى عن الاوزاعي وغيره من السلف انهم قالوا في حديث النزول قال
اللالكائي ثنا المسير ابن عثمان ثنا احمد ابن الحسين ثنا احمد ابن علي الاباري
قال سمعت يحيى ابن معين يقول اذا سمعت الجهمي يقول انا اكفر برب ينزل فقل
انا اومن برب يفعل ما يريد فان بعض من ينفي قيام الافعال الاختيارية به كا
لقاضي ابي يعلى ومن اتبعه وابن عقيل والقاضي عياض وغيرهم يحمل كلامهم على
ان مرادهم بقولهم يفعل ما يشاء ان يحدث شيئا منفصلا عنه من دون ان يقوم به هو
فعل اصلا وهذا اوجبه اصلان لهم احدهما ان الفعل عندهم هو المفعول
والخلق هو المخلوق فهم يفسرون افعاله المتعدية مثل قوله تعالى خلق الله السموات
والارض وامثاله بان ذلك وجد فقدر من غير ان يكون منه فعل قام بذاته بل حاله قبل
ان يخلق وبعد ما خلق سواء لم يتجدد عندهم الا اضافة ونسبة وهي امر عدمي
لا وجودي كما يقولون مثل ذلك في كونه يسمع اصوات العباد ويرى اعمالهم وفي
كونه كلم موسى وغيره وكونه انزل القران او نسخ منه ما نسخ وغير ذلك فانه لم
يتجدد عندهم الا مجرد نسبة واضافة بين الخالق والمخلوق وهو امر عدمي لا
وجودي وهكذا يقولون في استوائه على العرش اذا قالوا انه فوق العرش وهذا
قول ابن عقيل وغيره وهو اول قول القاضي ابي يعلى ويسمي ابن عقيل هذه
النسب والاحوال ولعله يشبهها بالاحوال التي يثبتها من يثبتها من النظار
ويقولون هي لا موجودة ولا معدومة كما يقول ذلك ابو هاشم والقاضيان ابو بكر
وابو يعلى وابو المعالي الجويني في اول قوليه واكثر الناس خالفوهم في هذا
الاصل واثبتوا له تعالى فعلا قائما بذاته وخلقا غير المخلوق ويسمى التكوين وهو
الذي يقول به قدماء الكلابية كما ذكره الثقفي والضبعي وغيرهما من اصحاب
ابي بكر محمد ابن خزيمة في العقيدة التي كتبوها وقرؤوها على ابي بكر محمد ابن اسحق
ابن خزيمة لما وقع بينهم النزاع في مسئلة القران وهو اخر قول القاضي ابي يعلى

بكرم

وجمهور

17

وجمهور الحنفية والحنبلية وائمة المالكية والشافعية وهو الذي ذكره البغوي
في شرح السنة عن اهل السنة وذكره البخاري اجماع العلماء كما قد بسط ذلك
في مواضع اخر والاصل الثاني نفيهم ان يقوم به امور تتعلق
به بقدرته ومشيئته ويسمون ذلك حلول الحوادث فلما كانوا اتفاقهم لهذا امتنع
عندهم ان يقوم به فعل اختياري يحصل بقدرته ومشيئته لا لازم ولا متعد
لا نزول ولا مجيء ولا اتيان ولا خلق ولا احياء ولا اماتة ولا غير ذلك فلهذا فسروا
اقوال السلف بالنزول بانه يفعل ما يشاء على ان مرادهم حصول مخلوق منفصل
ولكن كلام السلف صريح في انهم لم يريدوا ذلك وانما ارادوا الفعل الاختياري الذي
يقوم به والفضيل ابن عياض رحمه الله لم يرد انه يخلو منه العرش بل اراد مخالفة
الجهمية فان قوله يفعل ما يشاء لا يتضمن انه لا بد ان يكون تحت العرش بل
كلامه من جنس كلام السلف كالاوزاعي وحماد ابن زيد وغيرهما ومنهم من
انكر ما روي عن احمد في رسالته الى مسدد وقال راويها عن احمد مجهول
لا يعرف في اصحاب احمد من اسمه احمد ابن محمد البرذعي واهل الحديث في هذا
على ثلاثة اقوال منهم من ينكر ان يقال يخلو ولا يخلو كما يقول ذلك
الحافظ عبد الغني المقدسي وغيره ومنهم من يقول بل يخلو منه العرش وقد
صنف ابو القسم عبد الرحمن ابن ابي عبد الله ابن محمد ابن منده مصنفا في الانكار
على من قال لا يخلو منه العرش وسماه الرد على من زعم ان الله في كل مكان
وعلى من زعم ان الله ليس له مكان وعلى من تاول النزول على غير النزول
وذكر انه سئل عن حديث اخرجه ابو سعيد النقاش في اقوال اهل السنة
عن ابي الحسين محمد ابن علي المروزي عن محمد ابن ابراهيم الدينوري عن
علي ابن احمد ابن محمد ابن موسى عن احمد ابن محمد البرذعي التميمي قال لما
اشكل على مسدد ابن مسرهد امر السنة وما وقع في الناس من القدر و
الرفض والاعتزال والارجاء وخلق القران كتب الى احمد ابن حنبل

مسدد ابن مسرهد

بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد

ان اثبت لي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه
ثم ذكر فيها وينزل الله الى السماء الدنيا ولا يخلو منه العرش وعن حديث روى لمن اسحق
ابن راهويه في هذا المعنى زعم عبد الرحمن ان هذا اللفظ لفظ منكر في الحديث عنهما
وعن غيرهما وحكمه عند اهل الاثر حكم حديث منكر قال واحمد ابن محمد البردعي
مجهول لا يعرف في من اسمه احمد ابن محمد في زمن روى عن احمد ابن محمد بن محمد ابن حنبل
كاحمد ابن محمد ابن هاني وابو بكر الاثرم واحمد ابن محمد ابن الحجاج وابو بكر المروذي
واحمد ابن محمد ابن عيسى البرالي القاضي واحمد ابن محمد الصايغ واحمد ابن محمد ابن
غالب القاضي غلام خليل واحمد ابن محمد ابن يزيد الوراق زاد ابن الجوزي احمد ابن
محمد ابن خالد ابو بكر القاضي واحمد ابن محمد ابن خالد ابو العباس البراثي واحمد ابن محمد
ابن عبد الله ابن صدقة واحمد ابن محمد ابن عبد الله ابن صالح الاسدي واحمد ابن محمد ابن
عبد الحميد الكوفي واحمد ابن محمد ابن نصر اللباب واحمد ابن محمد ابن واصل المقرى
واحمد ابن محمد ابن يحيى الكحال واحمد ابن محمد البخاري واحمد ابن محمد ابن بطي
وذكر احمد ابن الحسن ابو الحسن الترمذي واحمد ابن سعيد قيل ابي شعبة
الترمذي والحمال وذكر في المحمدين محمد ابن اسمعيل الترمذي قال ولم يعد
هذا فيمن روى عن مسدد ايضا وقال هذا الحديث رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم
جماعة من الصحابة على لفظ واحد منهم ابو بكر الصديق وعلي ابن ابي طالب
وعبد الله ابن مسعود وعبد الله ابن عباس وعبد الله ابن عمر وعثمان ابن ابي العاص
ومعاذ ابن جبل وابو امامة وعقبة ابن عامر وابو ثعلبة الخشني ورفاعة
ابن عرابة الجهني وعبادة ابن الصامت وعمرو ابن عبسة وابو هريرة وابو
الدردا وابو موسى الاشعري وابو جابر ابن عبد الله وجبير ابن مطعم وانس
ابن مالك وعايشة وام سلمة وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين ولم يقل احد
منهم هذا اللفظ ولا من رواه من الصحابة والتابعين والائمة بعدهم
ثم ساق الاحاديث بالفاظها وذكر ان احدا منهم لم ينقل هذا اللفظ فهو لفظ
موافق لمن زعم انه لا يخلو من مكان ورأي من زعم انه ليس له مكان قال

وتاويل

وتاويل من تاول النزول على غير النزول مخالف لقول من قال ينزل ربنا الى السما
الدنيا كل ليلة وقوله فلا يزال كذلك الى الفجر قلت القائلون بذلك لم يقولوا ان
هذا اللفظ في الحديث وليس في الحديث ايضا انه يخلو منه العرش كما يدعيه
المدعون لذلك فليس في الحديث لا لفظ المثبتين لذلك ولا لفظ النفاة له و
هؤلاء يقولون انهم يتاولون النزول على غير النزول بل قد يكون من هؤلاء من ينفي
نزولا يقوم به ويجعل النزول والخلو منفصلا عنه وعامة رد ابن منده المستقيم
انما يتناول هؤلاء لكنه زادت بادات تنسب لاجلها الى البدع ولهذا كانوا
يفضلون اباه ابا عبد الله عليه وكان اسمعيل ابن الفضل التيمي وغيره يتكلمون
فيه في ذلك كما هو معروف عنهم قال عبد الرحمن قال ابي في الرد على من تاول
النزول على غير النزول واحتج في ابطال الاخبار الصحاح باحاديث موضوعة
وادعى المدبر انه يقول بحديث النزول فحرفه على من حضر مجلسه وانكر
في خطبته ما انزل الله في كتابه من حجته وما بين الرسول صلى الله عليه وسلم
من انه ينزل بذاته وتاول النزول على معنى الامر والنهي لا حقيقة
النزول وزعم ان ائمتهم العارفين بالاصول وتنزيه الله عن التنقلات
فابطل جميع ما اخرج في هذا الباب وكان مذهبه غير ظاهر الحديث
واعتماده على التاويل الباطل والمعقول الفاسد

وقوله ليس كمثله شيء

نفي التشبيه من جميع الجهات وكل المعاني ولكن لم يجد الناس الطريق الى
ثلب الائمة الا بهذا الطريق الذي هو الى به ثم قصد تعليل حديث النزول
بما لا يعد علة ولا اختلافا من قول الراوي ينزل يقول اذا مضى نصف الليل
وقال بعضهم ثلث الليل ونصف الليل قال وليس هذا اختلافا ولكنه جهل
واحتج معها بحديث محمد ابن يزيد ابن سنان عن ابيه عن زيد ابن ابي انيسة
عن طارق عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
انه يامر مناديه ينادي كل ليلة قال وهذا حديث موضوع موافق لمذهب

زعم ان يحيى القطان وابن مهدي والبخاري ومسلم اخرجوا في كتبهم مثل
هؤلاء الضعفا المتروكين بريئا منه وجهل واعاد حديث ابي هاشم
الرفاعي عن بعض رواة محاضر وغير واحد قال ان الله ينزل كل ليلة و
كذلك حديث طارق رواه عبد الله ابن عمر عن زيد ابن ابي انيسة عن طارق
عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قوله ان الله ينزل كل ليلة واما حديث
الحسن عن عثمان ابن ابي العاص فقد تقدم علته فيما ذكرنا وليس في هذه
الاحاديث ولا رواتها ما يصح ولو سكت عن معرفة الحديث كان اجمل به واحسن
اذ قد سلبه الله معرفته ونسخ في قلبه بتعطيل الاخبار الصحاح واعتماده
معقوله الفاسد فهذا نقل عبد الرحمن لكلام ابيه وابوه اعلم منه وافقه
واسد قولا ثم ابو القسم عبد الرحمن ابن ابي عبد الله ابن منده هذا قال ثنا محمد
ابن محمد ابن الحسن ثنا عبد الله ابن محمد الوراق ثنا زكريا ابن يحيى الساجي ثم قال
عبد الرحمن حدثني احمد ابن نصر قال كنت عند سليمان ابن حرب فجاءه كلامي لمن اصحاب
الكلام فقال له تقولون ان الله على عرشه لا يزال ثم تروون ان الله ينزل الى
السماء فقال [illegible] زيد ان الله على عرشه ولكنه يقرب من خلقه كيف شاء
قال عبد الرحمن ومن زعم ان حماد ابن زيد وسليمان ابن حرب اراد بقوله يقرب
من خلقه كيف شاء اراد انه لا يزول عن مكانه فقد نسبهما الى خلاف ما ورد
من الكتاب والسنة قال وثنا عبد الصمد ابن محمد العاصمي ببلخ ثنا ابراهيم
ابن محمد قال حدثنا عبد الله ابن احمد ابن حراش قال ثنا احمد ابن الحسن ابن زياد
ثنا ابراهيم ابن الاشعث قال سمعت الفضيل ابن عياض يقول اذا قال لك
الجهمي انا لا اومن برب يزول عن مكانه فقل له انا اومن برب يفعل ما يشا قال
رواه جماعة عن فضيل ابن عياض قال ولم يرد به احد ان الله يفعل ما ذهب اليه
الزنادقة فلا يبقى خلاف بين من يقول انا اكفر برب ينزل ويصعد وبين
من يقول انا اومن برب لا يخلو منه العرش في ابطال ما نطق به الكتاب والسنة
ثم روى باسناده عن الفضيل ابن عياض اذا قال الجهمي انا اكفر برب ينزل ويصعد

لعله ولا رسخ

فقل

١٩

فقل امنت برب يفعل ما يشا قلت زكريا ابن يحيى الساجي اخذ عنه ابو الحسن
الاشعري ما اخذه من اصول اهل السنة والحديث وكثير مما نقله في كتاب
مقالات الاسلاميين من مذاهب اهل السنة والحديث وذكر عنهم ما ذكره
حماد ابن زيد من انه فوق العرش وانه يقرب من خلقه كيف شاء ومعنى
ذلك عنده وعند من ينفي قيام الافعال الاختيارية بذاته يخلق اعراضا
في بعض المخلوقات يسميها نزولا كما قال انه يخلق في العرش معنى يسميه استوا
وهو عند الاشعري يقرب العرش الى ذاته من غير ان يقوم به فعل بل يجعل
افعاله اللازمة كالنزول والاستوى كافعاله المتعدية كالخلق والاحسان
وكل ذلك عنده هو المفعول المنفصل عنه والاشعري وائمة اصحابه كالقاضي
ابي بكر وغيره يقولون ان الله فوق العرش بذاته لكن يقولون في النزول
ونحوه من الافعال هذا القول بناء على اصلهم في نفي قيام الحوادث به والسلف
الذين قالوا يفعل ما يشاء وينزل كيف شاء وكما شاء والفضيل ابن عياض
قال اذا قال لك الجهمي انا اكفر برب يزول عن مكانه فقل انا اومن برب يفعل
ما يشا مراده نقيض هذا القول بينا ولهؤلاء وعلى هذا لا يبقى خلاف
بين من يقول ينزل ويصعد وبين من ينفي ذلك وذلك لان الافعال المنفصلة
لم ينازع فيها احد من المسلمين فعلم ان مراد هؤلاء اثبات الفعل الاختيا
ري القائم به ولكن هم مع هذا ليس في كلامهم انهم كانوا يعتقدون خلو
العرش منه وانه لا يبقى فوق العرش كما ذكره عبد الرحمن وزعم انه معنى
الحديث وروى باسناده من كتاب السنة لعبد الله ابن احمد ابن حنبل قال
اخبرنا محمد ابن الحسن حدثني ابي ثنا احمد ابن محمد ابن عمر اللبناني ثنا عبد الله
ابن احمد ابن حنبل ثنا ابي ثنا موسى ابن داود ابو معمر ثنا عباد ابن العوام قال
قدم علينا شريك فسالناه عن الحديث ان الله ينزل ليلة النصف من شعبان قلنا
ان قوما ينكرون هذه الاحاديث قال فما يقولون قلنا يطعنون فيها فقال ان
الذين جاؤا بهذه الاحاديث هم الذين جاؤا بالقران وبالصلاة وبالصوم

صح

فما يعرف الله الا بهذه الاحاديث قال واما حديث اسحق ابن راهويه فرواه ابو اسماعيل
الترمذي وذكر ابن ابي حاتم انهم تكلموا فيه قال والحديث حدثنا به احمد ابن موسى
ابن بريدة عن احمد ابن عبد الله عن عبد الله ابن محمد ابن بشر عن الترمذي سمعت
اسحق ابن راهويه يقول اجتمعت الجهمية الى عبد الله ابن طاهر يوما فقالوا
ايها الامير انه يقدم اسحق وتكرمه وتعظمه وهو كافر يزعم ان الله عز وجل
ينزل الى السماء الدنيا كل ليلة ويخلو منه العرش قال فغضب عبد الله و
بعث الي فدخلت وسلمت فلم يرد علي السلام ولم يستجلسني ثم رفع راسه
وقال لي ويلك يا اسحق ما يقول هؤلاء قال قلت قال تزعم ان الله سبحانه وتعالى
ينزل الى السماء الدنيا كل ليلة ويخلو منه العرش فقلت ايها الامير لست
انا قلته قاله النبي صلى الله عليه وسلم ثنا ابو بكر ابن عياش عن اسحق عن الاغر ابي
مسلم انه قال اشهد على ابي هريرة وابي سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال ينزل الله الى سماء الدنيا كل ليلة فيقول من ذا الذي يدعوني فاستجيب
له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له ولكن مرهم يناظروني
قال فلما ذكرت له النبي صلى الله عليه وسلم سكن غضبه قال لي اجلس فجلست
فقلت مرهم ايها الامير يناظروني قال ناظروه قال فقلت لهم يستطيع ان
ينزل ولا يخلو منه العرش ام لا قال فايش هذا قلت ان زعموا انه لا يستطيع
ان ينزل الا ان يخلو منه العرش فقد زعموا ان الله عاجز مثلي ومثلهم وقد
كفروا وان زعموا انه يستطيع ان ينزل ولا يخلو منه العرش فهو ينزل الى السماء
الدنيا كيف شاء ولا يخلو منه المكان قال عبد الرحمن والصحيح مما جرى
بين اسحق وعبد الله ابن طاهر ما اخبرنا ابي ثنا ابو عثمان ابن عمر عبد الله البحري
ثنا محمد ابن حاتم سمعت اسحق ابن ابراهيم بن خالد يقول قال لي عبد الله بن طاهر
يا ابا يعقوب هذه الاحاديث التي تروونها في النزول يعني وغير ذلك ما هي قلت
ايها الامير هذه الاحاديث جاءت مجيء الاحكام والحلال والحرام ونقلها العلماء

فلا يجوز

فلا يجوز ان ترد هي كما جاءت بلا كيف فقال عبد الله ما كنت اعرف وجوهها
الى الآن قال هي كما جاءت قال عبد الرحمن ولا يخلو من المكان كيفية لهذه النزول
ويبطل قول من يقول هي كما جاءت بلا كيف فيقال بل مخاطبة لعبد الله ابن
طاهر فيها زيادة على هذه الرواية كما ثبت ذلك في غير هذه ولكن هذه الحكا
يات والمناظرات ينقل منها هذا ما لا ينقل غيره كما نقلوا في مناظرة احمد ابن حنبل
وغيره وهذا ينقل ما لا ينقله هذا كما نقل صالح وعبد الله والمروذي وغيرهم
وكلهم ثقاة واسحق بسط الكلام مع ابن طاهر قال الشيخ ابو عثمان النيسا
بوري الصابوني الملقب بشيخ الاسلام في رسالته في السنة قال ويعتقد
اهل الحديث ويشهدون ان الله فوق سبع سمواته على عرشه كما نطق به كتابه
في قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش
وذكر عنه ايات من ذلك فان هذا ذكره الله في سبعة مواضع من القرآن قال
واهل الحديث يثبتون في ذلك ما اثبته الله تعالى ويؤمنون ويصدقون الرب
جل جلاله في خبره ويقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولو الالباب
وروى باسناده من طريقين ان مالك ابن انس سئل عن قوله الرحمن على العرش
استوى فقال الاستوى غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب
والسؤال عنه بدعة وما اراك الا ضالا وامر به ان يخرج من المجلس وروى
باسناده الثابت عن عبد الله ابن المبارك انه قال نعرف ربنا بانه فوق سمواته
بائن من خلقه ولا نقول كما قالت الجهمية بانه ههنا واشار بيده الى الارض
وقال اخبرنا ابو عبد الله يعني الحافظ يعني الحاكم في كتاب التاريخ الذي جمعه
لاهل نيسابور وفي كتاب معرفة اصول الحديث الذي جمعهما ولم يسبق
الى مثلهما قال سمعت ابا جعفر محمد ابن صالح ابن هاني الامام ابا بكر محمد ابن اسحق
بن خزيمة يقول من لم يقر بان الله على عرشه قد استوى فوق سبع سمواته فهو
كافر حلال الدم يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه والقي على بعض المزابل
قال الشيخ ابو عثمان ويثبت اصحاب الحديث نزول الرب كل ليلة الى السماء الدنيا

سبع ٢

من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكييف بل يثبتون ما أثبته
رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتهون فيه ويمرون الخبر الصحيح الوارد على ظاهره
ويكلون علمه إلى الله سبحانه وتعالى وكذلك يثبتون ما أنزله الله في كتابه من ذكر
المجيء والإتيان المذكورين في قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من
الغمام وقوله عز وجل وجاء ربك والملك صفا صفا وقال أخبرنا أبو بكر ابن زكريا
سمعت أبا حامد ابن الشرقي سمعت أحمد ابن السلمي وأبا داود الخفاف قالا سمعنا
إسحق ابن إبراهيم الحنظلي يقول قال لي الأمير عبد الله ابن طاهر يا أبا يعقوب
هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا كل ليلة إلى
السماء الدنيا كيف ينزل قال قلت أعز الله الأمير لا يقال لأمر الرب كيف إنما ينزل بلا
كيف قال وسمعت أبا عبد الله الحافظ يقول سمعت أبا زكريا يحيى ابن محمد العنبري
سمعت إبراهيم ابن أبي طالب سمعت أحمد ابن سعيد ابن إبراهيم الرباطي يقول
حضرت مجلس الأمير عبد الله ابن طاهر ذات يوم وحضر إسحق ابن إبراهيم
رحمه الله تعالى فسئل عن حديث النزول أصحيح هو قال نعم فقال له سائل بعض
قواد عبد الله يا أبا عبد الله أتزعم أن الله ينزل كل ليلة قال نعم قال كيف ينزل
فقال إسحق أثبته فوق ثم فقال إسحق قال الله عز وجل وجاء ربك والملك
صفا صفا فقال الأمير عبد الله هذا يوم القيمة فقال إسحق أعز الله الأمير من
يجيء يوم القيمة من يمنعه اليوم وقال أبو عثمان قرأت في رسالة أبي بكر الإسماعيلي
إلى أهل جيلان أن الله ينزل إلى السماء الدنيا على ما صح به الخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد قال الله عز وجل هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من
الغمام والملائكة وقال وجاء ربك والملك صفا صفا نؤمن بذلك كله على ما
جاء بلا كيف فلو شاء سبحانه أن يبين كيف ذلك فعل فانتهينا إلى ما أحكمه و
كففنا عن الذي يتشابه إذ كنا قد أمرنا به في قوله هو الذي أنزل عليك الكتاب
منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم
زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله

ظلل م

إلا الله

إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا
الألباب وروى ابن منده بإسناده عن حرب ابن إسمعيل قال سألت إسحق ابن إبراهيم
قلت حديث النبي صلى الله عليه وسلم ينزل الله إلى السماء الدنيا قال نعم ينزل الله كل
ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء وقال عن حرب لا يجوز الخوض في أمر الله
تعالى كما يجوز الخوض في أمر المخلوقين ينزل الله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
وروى أيضا عن حرب قال هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة
المعروفين بها وهو مذهب أحمد ابن حنبل وإسحق ابن راهويه والحميدي وغير
وكان قولهم أن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء وكما شاء ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير وروى أيضا عن حرب قال قال إسحق ابن إبراهيم لا يجوز لأحد
أن يتوهم على الخالق بصفاته وأفعاله بتوهم ما يجوز التفكر والنظر في أمر المخلوقين
وذلك عن أن يكون موصوفا بالنزول كل ليلة إذا مضى ثلثها إلى السماء الدنيا
كما شاء ولا يسأل كيف نزوله لأن الخالق يصنع كيف شاء وروى أيضا عن محمد
ابن سلام قال سأل فضالة عبد الله ابن المبارك عن النزول ليلة النصف من
شعبان قال عبد الله ينزل كيف شاء وروي عن ابن المبارك قال من قال لك يا مشبه
فاعلم أنه جهمي وقال عبد الرحمن ابن منده إياك أن تكون فيمن يقول أنا أومن برب
يفعل ما يشاء ثم ينفي ما في الكتاب والسنة مما شاء الله وأوجب على خلقه الإيمان
أن عليه كل ليلة أن ينزل بذاته من العرش إلى السماء الدنيا والزنادقة ينكرون
يزعمهم أن الله لا يخلو منه مكان وروي حديث مرفوع من طريق نعيم ابن حماد
عن جرير عن ليث عن بشر ابن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا أراد الله
أن ينزل عن عرشه نزل بذاته قلت ضعف أبو القسم إسمعيل التيمي وغيره
من الحفاظ هذا اللفظ مرفوعا ورواه ابن الجوزي في الموضوعات وقال أبو
القسم التيمي ينزل معناه صحيح أنا أقر به لكن لم يثبت مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم
وقد يكون المعنى صحيحا وإن كان اللفظ نفسه ليس بمأثور كما لو قيل إن الله بنفسه
أو ذاته خلق السموات والأرض وهو بنفسه وذاته كلم موسى تكليما وهو بنفسه وذاته

٢ كما شاء وكما

هم

٢ هو صح

استوى على العرش ونحو ذلك من افعاله التي فعلها هو بنفسه فعلها فالمعنى صحيح
وليس كلما يتبين به معنى القران والحديث من اللفظ يكون من القران فهذا تلخيص
ما ذكره عبد الرحمن ابن منده مع انه استوعب طرق هذا الحديث وذكر الفاظه مثل
قوله ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا اذا مضى ثلث الليل الاول فيقول انا الملك من
ذا الذي يسألني فاعطيه من ذا الذي يدعوني فاستجيب له من ذا الذي يستغفرني
فاغفر له فلا يزال كذلك الى الفجر وفي لفظ اذا بقي من الليل ثلثاه يهبط الرب الى السماء
الدنيا وفي رواية يقول لا اسال عن عبادي غيري من ذا الذي يسالني فاعطيه وفي رواية
عمرو ابن عبسة ان الرب يتدلى في جوف الليل الى السماء الدنيا وفي لفظ حتى ينشق
الفجر ثم يرتفع وذكر نزوله عشية عرفة من عدة طرق وكذلك نزوله ليلة النصف
من شعبان وذكر نزوله يوم القيمة في ظلل من الغمام وحديث يوم المزيد يوم الجمعة
من ايام الاخرة وما فيه من ذكر نزوله وارتفاعه وامثال ذلك من الاحاديث وهو
ينكر على من يقول لا يخلو منه العرش ويجعل هذا مثل قول من يقول انه في
كل مكان وكلامه من جنس كلام طائفة تظن انه لا يمكن الا احد القولين قول من
يقول انه ينزل نزولا يخلو منه العرش وقول من يقول ما ثم نزول اصلا كقول
من يقول ليس له فعل يقوم بذاته باختياره وهاتان الطائفتان ليس عندهما نزول
الا النزول الذي يوصف به اجساد العباد الذي يقتضي تفريغ مكان وشغل
آخر ثم منهم من ينفي النزول عنه ينزه عن مثل ذلك ومنهم من اثبت له نزولا من
هذا الجنس يقتضي تفريغ مكان وشغل آخر فاولئك يقولون هذا القول
باطل فتعين الاول كما يقول من يقابله ذلك القول باطل فتعين الثاني و
هو يحمل كلام السلف يفعل ما يشاء على انه نزول يخلو منه العرش من يقابله
يحمله على ان المراد مفعول منفصل عن الله وبالجملة فالقائلون بانه يخلو منه
العرش طائفة قليلة من اهل الحديث وجمهورهم على انه لا يخلو منه العرش
وهو المأثور عن الائمة المعروفين بالسنة ولم ينقل عن احد منهم باسناد صحيح

ولا

ولا ضعيف ان العرش يخلو منه وما ذكره عبد الرحمن من تضعيف الرواية عن
اسحق فقد ذكرنا الرواية الاخرى الثابتة التي رواها ابن بطة وغيره وذكرنا ايضا
اللفظ الثابت عن سليمان ابن حرب عن حماد ابن زيد رواه الخلال وغيره واما رسالة
احمد ابن حنبل الى مسدد ابن مسرهد مشهورة عند اهل الحديث والسنة من اصحاب
احمد وغيرهم تلقوها بالقبول وقد ذكرها ابو عبد الله ابن بطة في اخر كتاب الابانة
واعتمدها غير واحد كالقاضي ابي يعلى وكتبها بخطه وكثير من اهل الحديث
يتوقف عن ان يقول يخلو او لا يخلو وجمهورهم على انه لا يخلو منه العرش وكثير
منهم يتوقف عن ان يقال يخلو او لا يخلو لشكهم في ذلك وانهم لم يتبين لهم جواب
احد الامرين واما مع كون الواحد منهم قد ترجح عنده احد الامرين لكن يمسك
في ذلك لكونه ليس في الحديث ولما يخاف من الانكار عليه واما الجزم بخلو العرش
فلم يبلغنا الا عن طائفة قليلة منهم **والقول الثالث** وهو الصواب
وهو المأثور عن سلف الامة وائمتها انه لا يزال فوق العرش ولا يخلو العرش
منه مع دنوه ونزوله الى السماء الدنيا ولا يكون العرش فوقه وكذلك يوم القيمة
كما جاء به الكتاب والسنة وليس نزوله كنزول اجسام بني ادم من السطح الى
الارض بحيث يبقى السقف فوقهم بل الله منزه عن ذلك وسنتكلم عليه ان شاء
الله تعالى وهذه المسئلة تحتاج الى بسط **واما قول الثاني** انما ينزل
امره ورحمته فهذا غلط لوجوه وقد تقدم التنبيه على ذلك على تقدير كون
النفاة من المثبتة للعلو واما اذا كان من النفاة للعلو والنزول جميعا
فيجاب ايضا بوجوه **احدها** ان الامر والرحمة اما ان يراد بها اعيان قائمة بنفسها
كالملائكة واما ان يراد بها صفات واعراض فان اريد الاول فالملائكة تنزل الى الارض
في كل وقت وهذا خص النزول بجوف الليل وجعل منتهاه سماء الدنيا والملا
ئكة لا تختص نزولهم لهذا الزمان ولا لهذا المكان وان اريد صفات واعراض مثل
ما يحصل في قلوب العابدين وقت السحر من الرقة والتضرع وحلاوة العبادة
ونحو ذلك فهذا حاصل في الارض ليس منتهاه السماء الدنيا **الثاني** ان في الحديث

الصحيح انه ينزل الى السماء الدنيا ثم يقول لا اسال عن عبادي غيري ومعلوم ان
هذا كلام الله الذي لا يقوله غيره **الثالث** انه قال ينزل الى السماء الدنيا فيقول
من ذا الذي يدعوني فاستجيب له من ذا الذي يسالني فاعطيه من ذا الذي يستغفرني
فاغفر له حتى يطلع الفجر ومعلوم انه لا يجيب الدعا ويغفر الذنوب ويعطي كل
سائل سؤاله الا الله وامره ورحمته لا تفعل شيا من ذلك **الرابع** ان نزول
امره ورحمته لا يكون الا منه وحينئذ فهذا يقتضي ان يكون هو فوق العالم
فنفس تاويله يبطل مذهبه ولهذا قال بعض النفاة لبعض المثبتين ينزل
امره ورحمته فقال له المثبت فممن ينزل ما عندكم فوق شيء فلا ينزل منه لا
امره ولا رحمة ولا غير ذلك فبهت النافي وكان كبيرا منهم **الخامس** انه قد
روي في عدة احاديث ثم يعرج ثم يصعد **السادس** انه اذا قدر ان النازل
بعض الملائكة وانه ينادي عن الله كما حرف بعضهم لفظ الحديث فرواه ينزل
من الفعل الرباعي المتعدي انه يامر مناديا ينادي لكان الواجب ان يقول من
يدعو الله فيستجيب له من يسالني فيعطيه من يستغفره فيغفر له كما ثبت في
الصحيحين وموطا مالك ومسند احمد ابن حنبل وغير ذلك عن ابي هريرة رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله العبد نادى في السما يا جبرائيل
اني احب فلانا فاحبه فيحبه جبرئيل ثم ينادي جبرئيل ان الله يحب فلانا فاحبوه
فيحبه اهل السما ثم يوضع له القبول في الارض وقال في البغض مثل ذلك
فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم الفرق بين نداء الله ونداء جبرائيل فقال في
نداء الله يا جبرائيل اني احب فلانا فاحبه وقال في نداء جبرائيل ان الله يحب فلانا
فاحبوه وهذا موجب اللغة التي بها خوطبنا وموجب جميع اللغات فان
ضمير المتكلم لا يقوله الا المتكلم فاما من اخبر عن غيره فانما ياتي باسم الظاهر
وضماير الغيبة وهم يمثلون نداء الله بنداء السلطان ويقولون قد ينادي السلطان
اذا امر غيره بالندا وهذا كما قالت الجهمية المحضة في تكليم الله لموسى انه امر
غيره فكلمه لم يكن هو المتكلم فيقال لهم السلطان اذا امر غيره ان ينادي او يكلم غيره

او يخاطبه

او يخاطبه فان المنادي ينادي معاشر الناس امر السلطان بكذا او رسم بكذا
لا يقول اني امركم بكذا ولو تكلم بذلك لاهانه الناس ولقالوا من انت حتى
تامرنا والمنادي كل ليلة يقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه
من يستغفرني فاغفر له كما في ندائه لموسى عليه السلام انني انا الله لا اله الا انا
فاعبدني واقم الصلاة لذكري وقال انني انا الله رب العالمين وان الله لو امر
ملكا ان ينادي كل ليلة او ينادي موسى لم يقل الملك من يدعوني فاستجيب
له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له ولا يقول لا اسال عن عبادي
غيري **واما قول المعترض** ان الليل يختلف باختلاف البلدان والفصول
في التقدم والتاخر فيقال الجواب عن هذا كالجواب عن قولكم هل يخلو منه العرش
او لا يخلو وذلك انه اذا جاز انه ينزل ولا يخلو منه العرش فتقدم النزول و
تاخره وطوله وقصره كذلك بناء على ان هذا نزول لا يقاس بنزول الخلق و
جماع الامر ان الجواب لمثل هذا السؤال يكون بانواع احدها ان يبين ان المنازع
النافي يلزمه من اللوازم ما هو ابعد عن المعقول الذي يعرف به مما يلزم المثبت فان
كان ما يحتج به من المعقول حجة صحيحة لزم بطلان النفي فيلزم الاثبات والحق
لا يخلو عن النقيضين وان كان باطلا لم يبطل به الاثبات فلا يعارض ما ثبت
بالفطرة العقلية والشرعة النبوية وهذا كما اذا قال لو كان فوق العرش لكان
جسما وذلك ممتنع فيقال له الناس ثلاثة اقوال منهم من يقول هو
فوق العرش وهو جسم ومنهم من يقول هو فوق العرش ولا اقول هو جسم
ولا ليس بجسم ثم من هؤلاء من يسكت عن هذا النفي والاثبات لان كلا منهما
بدعة في الشرع ومنهم من يستفصل عن مسمى الجسم فان فسر بما يجب تنزيه
الرب عنه نفاه وبين ان علوه على العرش لا يستلزم ذلك وان فسر بما يتصف
الرب به لم ينف عنه ذلك المعنى فالجسم في اللغة هو البدن والله منزه عن
ذلك واهل الكلام قد يريدون بالجسم ما هو مركب من الجواهر المفردة
او من المادة والصورة وكثير منهم ينازع في كون الاجسام المخلوقة مركبة من هذا وهذا

فمن ن

٢ وفي لفظ صح

بل اكثر العقلاء من بني ادم عندهم ان السموات ليست مركبة لا من الجواهر المفردة
ولا من المادة والصورة فكيف يكون رب العالمين مركبا من هذا وهذا فمن قال
ان الله جسم واراد به انه جسم هذا المركب فهو مخطئ في ذلك ومن قصد نفي هذا التركيب
عن الله فقد اصاب في نفيه عن الله لكن ينبغي ان تذكر عبارة تبين مقصوده ولفظ
التركيب قد يراد انه ركبه مركب او انه كانت اجزاء متفرقة فاجتمع او انه يقبل
التفريق والله منزه عن ذلك كله وقد يراد بالجسم والتحيز ما يشار اليه بمعنى
ان الايدي ترفع اليه في الدعاء وانه يقال هو هاهنا وهناك ويراد به القائم بنفسه و
يراد به الموجود ولا ريب ان الله قائم بنفسه وهو عند السلف واهل السنة ترفع
الايدي اليه في الدعاء وهو فوق العرش فاذا سمى المسمي ما يتصف بهذه المعاني
جسما كان كتسمية الاخر ما يتصف بانه حي عالم قادر جسما وتسمية الاخر ما له حياة
وعلم وقدرة جسما ومعلوم ان هؤلاء كلهم يتنازعون في ثلاث مقامات احدها
ان تسمية ما يتصف بهذه الصفات بالجسم بدعة في الشرع واللغة فلا اهل اللغة
يسمون هذا جسما بل الجسم عندهم هو البدن كما نقله غير واحد من ائمة اللغة
وهو مشهور في كتب اللغة قال الجوهري في صحاحه المشهورة قال ابو زيد
الجسم الجسد وكذلك الجسمان وقال الاصمعي الجسم والجسمان والجثمان و
الشخص قال والاجسم الضخم البدن وقال ابن السكيت تجسمت الامر اي ركبت
اجسمه وجسيمه اي معظمه قال وكذلك تجسمت الرجل والجبل اي ركبت جسيمه
وقد ذكر الله لفظ الجسم في موضعين من القران في قوله وزاده بسطة في
العلم والجسم وفي قوله واذا رايتهم تعجبك اجسامهم والجسم قد يفسر بالصفة
القائمة بالمحل وهو القدر والغلظ كما يقال هذا الثوب له جسم وهذا ليس
ليس له جسم اي غلظ وضخامة بخلاف هذا وقد يراد بالجسم نفس الغلظ
والضخم وقد ادعى طوائف من اهل الكلام النفاة ان الجسم في اللغة هو المؤلف
المركب وان استعمالهم لفظ الجسم في كل ما يشار اليه خلاف اللغة قالوا لان كل
ما يشار اليه فانه يتميز منه شيء عن شيء وكلما كان كذلك فهو مركب من الجواهر

المفردة التي كل واحد منها جزء ولا يتجزى ولا يتميز منه جانب عن جانب او من المادة
والصورة اللذين هما جوهران عقليان كما يقول ذلك بعض الفلاسفة قالوا
واذا كان هذا مركبا مؤلفا فالجسم في لغة العرب هو المؤلف المركب بدليل انهم
يقولون رجل جسيم وزيد اجسم من عمرو اذا كثر ذهابه في الجهات ليس يقصدون با
لمبالغة في قولهم اجسم وجسيم الا من كثرة الاجزاء المنضمة والتاليف لانهم لا
[يقولون] اجسم فيمن كثرت علومه وقدره وسائر تصرفاته وصفاته غير الاجتماع حتى
اذا كثر الاجتماع فيه تزايد اجزاؤه قيل اجسم ورجل جسيم فدل ذلك على ان
قولهم جسم يفيد التاليف فهذا اصل قول هؤلاء النفاة وهو مبني على اصلين سمعي
لغوي ونظري عقلي فطري اما السمعي اللغوي فقولهم ان اهل اللغة يطلقون
لفظ الجسم على المركب وهم استدلوا عليه بقولهم هو جسيم اذا كان اغلظ واكثر ذهابا
في الجهات وان هذا يقتضي انهم اعتبروا كثرة الاجزا **فيقال اما المقدمة الاولى**
وهو ان اهل اللغة يسمون كل ما كان له مقدار بحيث يكون اكبر من غيره او اصغر
جسما فهذا لا يوجد في لغة العرب البتة ولا يمكن احدا ان ينقل عنهم انهم يسمون
الهوى الذي بين السماء والارض جسما ولا يسمون روح الانسان جسما بل من ا
لمشهور انهم يفرقون بين الجسم والروح ولهذا قال تعالى واذا رايتهم تعجبك اجسا[مهم]
يعني ابدانهم دون ارواحهم الباطنة وقد ذكر نقلة اللغة ان الجسم عندهم هو
الجسد ومن المعروف في اللغة ان هذا اللفظ يتضمن الغلظ والكثافة فلا يسمون
الاشياء القائمة بانفسها اذا كانت لطيفة كالهوى وروح الانسان وان كان لذلك
مقدار يكون بعضه اكبر من بعض لكن لا يسمى في اللغة ذلك جسما ولا يقولون
في زيادة احدهما على الاخر هذا اجسم من هذا ولا يقولون هذا المكان الواسع
اجسم من هذا المكان الضيق وان كان اكبر منه وان كانت اجزاؤه زائدة على
اجزائه عند من يقول بانه مركب من الاجزا ليس كل ما هو مركب عندهم من
الاجزا يسمى جسما فلا يوجد في الكلام قبض جسمه ولا صعد بجسمه الى السما
ولا ان الله يقبض اجسامنا حين يشاء وانما يسمون ذلك روحا ويفرق بين مسمى

مهم

الروح ويسمى الجسم كما يفرق بين البدن والروح وكما يفرق بين الجسد والروح
فلا يطلقون لفظ الجسد على الهوى فلفظ الجسم عندهم يشبه لفظ الجسد قال
الجوهري الجسد البدن تقول فيه تجسد كما تقول الجسم تجسم كما تقدم نقله عن
ائمة اللغة ان الجسم هو الجسد فعلم ان هذين اللفظين مترادفان او قريبان
من الترادف ولهذا يقولون لهذا الثوب جسد كما يقولون اجسم اذا كان غليظا
ثخينا صفيقا ويقول العلماء ان النجاسة قد تكون مستجسدة كالدم والميتة وقد
لا تكون مستجسدة كالرطبة ويسمون الدم جسدا كما قال النابغة. الا المعرو الذي يلزمه جسدا
دما ارس الانصاب من جسد. كما يقولون له جسم فبطل ما ذكروه عن اللغة ان
كل ما يتميز منه شيء عن شيء يسمونه جسما **المقدمة الثانية** انه لو سلم ذلك
فقولهم ان هذا يطلقون عليه اسم الاجزا هو مبني على ان الاجسام مركبة من
الجواهر المفردة وهذا لو قدر انه صحيح فاهل اللغة لم يعتبروه ولا قال احد منهم
ذلك فعلم انهم انما لحظوا غلظه وكثافته اما كثرة الاجزا وقلتها فهذا
لا يتصوره اكثر عقلا بني ادم فضلا عن ان ينقل عن اهل اللغة قاطبة انهم
ارادوا ذلك بقولهم جسيم واجسم والمعنى المشهور في اللغة لا يكون مسماه ما
لا يفهمه الا بعض الناس واثبات الجواهر المفردة امر خص به بعض الناس فلا يكون
مسمى الجسم في اللغة ما لا يعرفه الا بعض الناس وهو المركب من ذلك **واما الاصل
الثاني** العقلي فقولهم ان ما يشار اليه بانه هنا وهناك فانه مركب من الجواهر
المنفردة او من المادة والصورة وهذا بحث عقلي واكثر عقلا بني ادم من اهل
الكلام وغير اهل الكلام ينكرون ان يكون ذلك مركبا من الجواهر المنفردة او من المادة
والصورة وانكار ذلك قول ابن كلاب واتباعه من الكلابية وهو امام الاشعري
في مسائل الصفات وهو قول الهشامية والنجارية وبعض الكرامية وهولاء
الذين اثبتوا الجوهر المفرد زعموا انا لم نعلم لا بالحس ولا بالضرورة ان الله ابدع شيا
قائما بنفسه وان جميع ما نشهده مخلوقا من السحاب والمطر والحيوان والنبات
والمعدن وبني ادم وغير بني ادم فانما فيه انه احدث اكوانا في الجواهر المنفردة كالجمع

والتفريق

٢ كونهم اعتبروا ص

والتفريق والحركة والسكون وانكر هولاء ان يكون الله لما خلقنا احدث ابداننا
قائمة بانفسنا او شجرا او ثمرا او شيئا قائما بنفسه وانما احدث عندهم اعراضا
واما الجواهر المنفردة فلم تزل موجودة ثم من هولاء من يقول انها محدثة ومنهم من يقول
انهم علموا حدوثها بانها لم تخل من الحوادث وما لم يخل من الحوادث فهو حادث
فبهذا الدليل العقلي وامثاله علمنا انه ابدع شيئا قائما بنفسه لانا نشهده من حلول
الحوادث المشهودة كالسحاب والمطر وهولاء في معاد الابدان يختلفون
فبنوا على هذا الاصل فمنهم من يقول يفرق الاجزا ثم يجمعها ومنهم من يقول يعدمها
ثم يعيدها واضطربوا ههنا فيما اذا اكل حيوانا فكيف يعادوا ادعى بعضهم
ان الله يعدم اجزا العالم ومنهم من يقول هذا لا يمكن ان يعلم بثبوته ولا انتفاه
والمعاد عندهم يفتقر الى ان يبتدي هذه الجواهر والجهم ابن صفوان يقول
بعدمها بعد ذلك ويقول بفناء الجنة والنار لامتناع دوام الحوادث عنده في
المستقبل كامتناع دوامها في الماضي وابو الهذيل العلاف يقول بعدم الحركات
وهولاء ينكرون استحالة الاجسام بعضها الى بعض وانقلاب جنس الى جنس
بل الجواهر عندهم متماثلة والاجسام مركبة منها وما ثم الا تغير التركيب فقط
لا انقلاب ولا استحالة ولا ريب ان جمهور العقلا من المسلمين وغيرهم على انكار
هذا والاطبا بعينه والفقها ممن يقول باستحالة الاجسام بعضها الى بعض كما
هو موجود في كتبهم الاجسام عندهم ليست متماثلة بل الماء يخالف الهوى
والهوى يخالف التراب وابدان الناس تخالف النبات ولهذا صارت النفاة اذا
اثبت احد شيا من الصفات كان ذلك مستلزما لان يكون الموصوف عندهم
جسما وعندهم الاجسام متماثلة فصاروا يسمونه مشبها لهذه المقدمات التي
يلزمهم مثل ما الزموه وهي متناقضة لا يتصور ان ينتظم منها قول صحيح
وكلها مقدمات ممنوعة عند جماهير العقلا وفيها من تغيير اللغة والعقول
ما دخل بسببه هذه الاغاليط والشبهات حتى يبقى الرجل حايرا لهوى عليه بطلان
عقله ودينه والخروج عن الايمان والقران فان ذلك كله منطبق على اثبات الصفات

ولا يهون عليه التزام ما يلزمونه من كون الرب مركبا من الاجزا ومماثلا للمخلوقات
فانه يعلم ايضا بطلان هذا وان الرب عز وجل يجب تنزيهه عن هذا فانه سبحانه
احد صمد والاحد ينفي التمثيل والصمد ينفي ان يكون قابلا للتفريق و
التقسيم والتبعيض سبحانه وتعالى فضلا عن كونه مؤلفا مركبا والفه من الاجزا
فيفهمون من يخاطبون ان ما وصف به الرب نفسه لا يعقل الا في بدن مثل بدن الا
نسان بل وقد يصرحون بذلك ويقولون لهم والكلام لا يكون الا من صورة وصورة
مركبة مثل فم الانسان ونحو ذلك مما يدعونه واذا قال النفاة لهم متى قلتم انه يرى لزم
ان يكون مركبا مؤلفا لان المرئي لا يكون الا بجهة من الرائي وما يكون بجهة من
الرائي لا يكون الا جسما والجسم مركب مؤلف من الاجزا وقالوا اذا تكلم بالقرآن
او غيره من الكلام لزم ذلك واذا كان فوق العرش لزم ذلك صار المسلم العارف
بما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم انه يرى في الاخرة لما تواتر عنده من الاخبار
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما يدل على ذلك مع ما يوافق ذلك من القضايا
الفطرية التي خلق الله عليها عباده واذا قالوا له هذا يستلزم ان يكون الله مركبا
من الاجزا المنفردة والمركب لا بد له من مركب فيلزم ان يكون الله محدثا اذ المركب
يفتقر الى اجزائه واجزاؤه تكون غيره وما افتقر الى غيره لم يكن غنيا واجب الوجود
بنفسه حيروه وشككوه ان لم يجعلوه مكذبا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم مرتدا
عن بعض ما كان عليه من الايمان مع ان تشككه وحيرته تقدح في ايمانه ودينه و
علمه وعقله فيقال اما كون الرب سبحانه وتعالى مركبا ركبه غيره فهذا من اظهر
الامور فسادا وهذا معلوم فساده بضرورة العقل ومن قال هذا فهو من
اكفر الناس واجهلهم واشدهم محاربة لله وليس في الطوائف المشهورين من
من يقول هذا وكذلك اذا قيل هو مؤلف او مركب بمعنى انه كانت اجزاؤه متفرقة
فجمع بينها كما يجمع بين اجزا المركبات من الاطعمة والادوية والثياب والابنية
فهذا التركيب من اعتقده في الله فهو من اكفر الناس واضلهم ولم يعتقده احد
من الطوائف المشهورة في الامة بل اكثر العقلا عندهم ان مخلوقات الرب ليست مركبة

هذا التركيب

هذا التركيب وانما يقول بهذا من يثبت الجواهر المنفردة وكذلك من زعم
ان الرب مركب مؤلف بمعنى انه يقبل التفريق والانقسام والتجزية فهذا
من اكفر الناس واجهلهم وقوله شر من قول الذين يقولون ان الله ولد بمعنى انه انفصل
منه فصار ولدا له وقد بسطنا الكلام على هذا في تفسير قل هو الله احد وفي غير
ذلك وكذلك اذا قيل هو جسم بمعنى انه مركب من الجواهر المنفردة والمادة
والصورة فهذا باطل بل هو ايضا باطل في المخلوقات فكيف في الخالق سبحانه
وتعالى وهذا مما يمكن ان يكون قد قاله بعض المجسمة الهشامية والكرامية وغيرهم
ممن يحكى عنهم التجسيم فان من هؤلاء من يقول ان كل جسم فهو مركب من
الجواهر المنفردة ويقولون مع ذلك ان الرب جسم واظن هذا قول بعض الكرامية
فانهم يختلفون في اثبات الجوهر الفرد وهم متفقون على ان الله سبحانه جسم لكن
يحكى عنهم نزاع في المراد بالجسم هل المراد به انه موجود قائم بنفسه والمراد به
انه مركب فالمشهور عن ابي الهيصم وغيره من نظارهم انه يفسر مراده بانه موجود
قائم بنفسه مشار اليه لا بمعنى انه مؤلف مركب وهؤلاء ممن اعترف نفاة الجسم
بانهم لا يكفرون فانهم لم يثبتوا معنى فاسدا في الله تعالى لكن قالوا اخطؤا في تسمية
كل ما هو قائم بنفسه او ما هو موجود جسما من جهة اللغة قالوا فان اهل
اللغة لا يطلقون لفظ الجسم الا على المركب والتحقيق ان كلا الطائفتين مخطئة
على اللغة اولئك الذين يسمون كلما يشار اليه وترفع الايدي اليه جسما وادعوا
ان ما كان كذلك فهو مركب وان اهل اللغة يطلقون لفظ الجسم على ما كان مركبا
فالخطا في اللغة والابتداع في الشرع مشترك بين الطائفتين واما المعاني فمن
اثبت من الطائفتين ما نفاه الله ورسوله او نفا ما اثبته الله ورسوله فهو
مخطئ عقلا كما هو مخطئ شرعا بل اولئك يقولون لهم نحن وانتم اتفقنا على ان
القائم بنفسه يسمى جسما في غير محل النزاع ثم ادعيتم ان المخلوق القائم بنفسه
يختص بما يمنع هذه التسمية التي اتفقنا نحن وانتم عليها فبينا ان الحق
لان ذلك مبني على ان الاجسام مركبة ونحن لا نمنع ذلك ونقول ليست مركبة

[illegible] قائم بنفسه جسما [illegible]

برغوث

من الجواهر المنفردة ولهذا كره السلف والائمة كالامام احمد وغيره ان ترد البدعة
بالبدعة فكان احمد في مناظرة الجهمية لما ناظروه على ان القران مخلوق والزمه
ابو عيسى محمد ابن عيسى ابن برغوث انه ان كان غير مخلوق لزم ان يكون الله جسما و
هذا منتف فلم يوافقه احمد لا على نفي ذلك ولا على اثباته بل قال قل هو الله احد
الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ونبه احمد على ان هذا اللفظ لا يدرى
ما يريدون به واذا لم يعرف مراد المتكلم به لم يوافقه لا على اثباته ولا على نفيه فان
ذكر معنى اثبته الله ورسوله اثبتناه وان ذكر معنى نفاه الله ورسوله نفيناه
باللسان العربي المبين ولم نحتج الى الفاظ مبتدعة في الشرع محرفة في اللغة و
معانيها متناقضة في العقل فيفسد الشرع واللغة والعقل كما فعل اهل البدع
من اهل الكلام الباطل المخالف للكتاب والسنة وكذلك ايضا عن لفظ الجبر ايضا كره
السلف ان يقال جبر وان يقال ما جبر فروى الخلال في كتاب السنة عن ابي اسحق
الفزاري الامام قال قال الاوزاعي اتاني رجلان فسالاني عن القدر فاحببت ان
اتيك بهما تسمع كلامهما وتجيبهما قلت رحمك الله انت اولى بالجواب الي قال ان
الله قد جبرنا على ما نهانا عنه وحال بيننا وبين ما امرنا به ورزقنا ما حرم علينا
فقال اجبهما يا ابا اسحق قلت رحمك الله انت اولى بالجواب فقال اجبهما فكرهت
ان اخالفه فقلت يا هؤلاء ان الذين اتوكم بما اتوكم به قد ابتدعوا بدعة واحدثوا
حدثا واني اراكم قد خرجتم من البدع الى مثل ما خرجوا اليه فقال احسنت واحسنت
يا ابا اسحاق وروى ايضا عن بقية ابن الوليد قال سالت الزبيدي والاوزاعي عن
الجبر فقال الزبيدي امر الله عظيم وقدرته اعظم من ان يجبر او يعضل ولكن يقضي
ويقدر ويخلق ويجبل عبده على ما احب وقال الاوزاعي ما اعرف للجبر اصلا من
القران والسنة فاهاب ان اقول ذلك ولكن القضا والقدر والخلق والجبل فهذا
يعرف في القران والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما وضعت هذا مخافة
ان يرتاب رجل من اهل الجماعة والتصديق وروي عن ابي بكر المروذي قال قلت
لابي عبد الله يقول انه الله جبر العباد فقال هكذا لا نقول وينكر هذا وقال يضل الله

من يشاء

خلف

من يشاء ويهدي من يشاء وقال المروذي كتب الي عبد الوهاب في امر حسين ابن
العكبري وقال انه تنزه عن ميراث ابيه فقال رجل قدري انه لم يجبر العباد
على المعاصي فرد عليه احمد ابن رجا فقال ان الله جبر العباد واراد بذلك اثبات
القدر فوضع احمد ابن علي كتابا يحتج فيه فادخلته على ابي عبد الله واخبرته بالقصة
قال ويضع كتابا وانكر عليهما جميعا على ابن رجا حين قال جبر العباد وعلى القدري
الذي قال لم يجبر وانكر على احمد ابن علي وضعه الكتاب واحتجاجه وامر بهجرانه
لوضعه الكتاب وقال لي يجب على ابن رجا ان يستغفر ربه لما قال جبر العباد فقلت
لابي عبد الله فما الجواب في هذه المسئلة فقال يضل الله من يشاء ويهدي من يشا
قال الخلال واخبرنا المروذي في هذه المسئلة انه سمع ابا عبد الله لما انكر على
الذي قال لم يجبر وعلى من رد عليه جبر فقال ابو عبد الله كلما ابتدع رجل
بدعة اتسعوا في جوابها وقال يستغفر ربه الذي رد عليهم بمحدثة وانكر
على من رد شيئا من جنس الكلام اذا لم يكن له فيه امام تقدم قال المروذي فما
كان باسرع من ان قدم احمد ابن علي على ابي عبد الله فقال يا ابا عبد الله هذا الكتاب
ادفعه الى ابي بكر حتى يقطعه وانا اقوم على منبر عكبرا واستغفر الله فقال لي ابو
عبد الله ينبغي ان يقبلوا منه وارجعوا اليه قال المروذي سمعت بعض المشيخة
يقول سمعت عبد الرحمن ابن مهدي يقول انكر سفيان الثوري جبر وقال الله جبل
العباد قال المروذي اظنه اراد قول النبي صلى الله عليه وسلم لاشج عبد القيس قلت
هذه الامور مبسوطة في غير هذا الموضع وانما المقصود التنبيه على ان السلف
كانوا يراعون لفظ القران والحديث فيما يثبتونه وينفونه في الله من صفاته
وافعاله فلا ياتون بلفظ محدث مبتدع في النفي والاثبات بل كل معنى صحيح فانه
داخل فيما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم والالفاظ المبتدعة ليس لها ضابط
بل كل قوم يريدون بها معنى غير المعنى الذي اراده اولئك كلفظ الجسم و
الجهة والحيز والجبر ونحو ذلك بخلاف الفاظ الرسول فان مراده بها يعلم
كما يعلم مراده بسائر الفاظه ولو لم يعلم الرجل مراده لوجب عليه الايمان بما

قاله مجملا ولو قدر معنى صحيح والرسول صلى الله عليه وسلم لم يخبر به لم يحل لاحد
ان يدخل في دين المسلمين بخلاف ما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فان هذا
التصديق به واجب والاقوال المبتدعة تتضمن تكذيب كثير مما جاء به الرسول
صلى الله عليه وسلم وذلك يعرفه من عرف مراد الرسول صلى الله عليه وسلم ومراد اصحاب
تلك الاقوال المبتدعة ولما انتشر الكلام المحدث ودخل فيه ما يناقض الكتاب
والسنة وصاروا يعارضون به نصوص الكتاب والسنة صار بيان مرادهم بتلك
الالفاظ وما احتجوا به لذلك من لغة او عقل يبين للمؤمن ما يمنعه ان يقع
في البدعة والضلال ويتخلص منها ان كان قد وقع ويدفع عن نفسه في الباطن
والظاهر ما يعارض ايمانه بالرسول من ذلك وهذا مبسوط في موضعه
والمقصود هنا ان ما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم لا يدفع بالالفاظ كلفظ
التجسيم وغيره مما قد يتضمن معنى باطلا والنافي له ينفي الحق والباطل فاذا
ذكرت المعاني الباطلة نفرت القلوب واذا الزمه ما يلزمونه من التجسيم
الذي يدعونه نفروا واذا قالوا له هذا يستلزم التجسيم لان هذا لا يعقل الا في جسم
لم يحسن نقض ما قالوه ولم يحسن حله وهم متناقضون وحقيقة كلامهم ان
ما وصف به الرب نفسه لا يعقل منه الا ما يعقل في قليل من المخلوقات التي نشهدها
كابدان بني ادم وهذا في غاية الجهل فان من المخلوقات مخلوقات لم نشهدها
كالملائكة والجن حتى ارواحهم ولا يلزم ان يكون ما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم
مماثلا لها فكيف يكون مماثلا لما شاهدوه وهذا الكلام في لفظ الجسم من حيث اللغة
واما الشرع فمعلوم انه لم ينقل عن احد من الانبياء ولا الصحابة ولا التابعين ولا
سلف الامة ان الله جسم ولا ان الله ليس بجسم بل النفي والاثبات بدعة في الشرع
واما من جهة العقل فبينهم نزاع فيما اتفقوا على تسميته جسما كالسماء والارض
والريح والماء ونحو ذلك مما يشار اليه ويختص بجهة وهو متحيز وقد تنازعوا
هل هو مركب من جواهر لا تقبل القسمة او من مادة وصورة او لا من هذا ولا
من هذا فاكثر العقلاء على القول الثالث وكل من القولين قاله طائفة من النظار

والاول

والاول كثير في اهل الكلام والثاني كثير في الفلاسفة لكن قول الطائفتين باطل
معلوم بالعقل بطلانه عند اهل القول الثالث واذا كان كذلك فاذا قال القائل
انا اقول انه فوق العرش وانه ترفع الايدي اليه ونحو ذلك ليس كلما كان كذلك
كان مركبا من اجزاء مفردة ولا من المادة والصورة العقليتين كان الكلام
معه هنا في اللازم فاذا قال النافي بل كل ما كان فوق غيره وكل ما كان يشار اليه بالايدي
فلا يكون الا مركبا اما من هذا واما من هذا بمنزلة قول الاخر كلما كان حيا قادرا
عالما فلا يكون الا مركبا هذا التركيب او كل ما كان له حياة وعلم وقدرة فلا يكون الا مركبا
هذا التركيب او كل ما كان سميعا بصيرا متكلما فلا يكون الا مركبا هذا التركيب
بناء على ان كل موجود قائم بنفسه هو جسم وكل جسم فهو مركب هذا التركيب
ومعلوم ان هذا باطل عند جماهير العقلاء والعلماء باتفاقهم فاني لا اعلم طائفة
من العقلاء المعتبرين انهم قالوا هو جسم وهو مركب هذا التركيب بل الذين
عرف انهم قالوا هو جسم كالهشامية والكرامية لا يفسرون كلهم الجسم بما
هو مركب هذا التركيب بل انما نقل هذا عن بعضهم وقد ينقل عن بعضهم
مقالات ينكرها بعضهم كما نقل عن مقاتل ابن سليمان وهشام ابن الحكم
مقالات رديئة ومن الناس من رد هذا النقل عن مقاتل سليمان ان فرده كثير
من الناس واما النقل عن هشام فرده كثير من اتباعه ومن قدر انه قال ذلك
من الناس فقوله باطل كسائر من قال على الله الباطل كما حكي عن بعض اليهود
والرافضة والمجسمة انهم يصفونه بالنقائص التي تعالى الله عنها كوصفه بانه
اجوف وانه بكى حتى رمد وعادته الملائكة وعض اصابعه حتى خرج منها
الدم وانه ينزل عشية عرفة على جمل اورق وامثال هذه الاقوال التي فيها
الافترا على الله تعالى ووصفه بالنقائص ما يعلم بطلانه بصريح المعقول
وصحيح المنقول وهكذا اذا قال القائل انه لو نزل الى السماء الدنيا لزم
الحركة والانتقال والحركة والانتقال من خصائص الاجسام او قال لزم ان
يخلو منه العرش وذلك محال فان الناس في ذلك ثلاثة اقوال احدها

قول من يقول انه ينزل وليس بجسم وقول من يقول ينزل وهو جسم وقول من لا
ينفي الجسم ولا يثبته اما امساكا عنها لكون ذلك بدعة كما تقدم واما مع تفصيل
المراد واقرار الحق وبطلان الباطل وبيان الصواب من المعاني العقلية التي
اشتبهت في هذا الباب مثل انه يقال النزول والصعود والمجيء والاتيان و
نحو ذلك مما هو انواع جنس الحركة لا نسلم انه مخصوص بالجسم الصناعي الذي
يتكلم المتكلمون في اثباته ونفيه بل يوصف به ما هو اعم من ذلك ثم هنا طريقان
احدها ان هذه الامور توصف بها الاجسام والاعراض فيقال جاء البرد
وجاء الحر وجاءت الحمى ونحو ذلك من الاعراض واذا كانت الاعراض توصف
بالمجيء والاتيان وعلم ان ذلك من خصائص الاجسام فيجوز ان يوصف بهذه
الافعال حقيقة مع انه ليس بجسم وهذه طريقة الاشعرية ومن تبعه من نظار
اهل الحديث واتباع الائمة الاربعة وغيرهم كالقاضي ابي يعلى وغيره وهذا
معنى ما حكاه في المقالات عن اهل السنة والحديث ولهذا كان قول ابن
كلاب والاشعري والقلانسي ومن وافقهم من اتباع الائمة الاربعة وغيرهم
من اصحاب احمد ان الاستوى فعل يفعله الرب في العرش وكذلك يقولون في ا
لنزول ومعنى ذلك انه يحدث في العرش قربا فيصير مستويا عليه من غير ان
يقوم به نفسه فعل اختياري سواء قالوا ان الفعل هو المفعول او لم يقولوا
بذلك وكذلك النزول عندهم فهم يجعلون الافعال اللازمة بمنزلة الافعال
المتعدية وذلك لانهم اعتقدوا انه لا يقوم به فعل اختياري لان ذلك حادث
فقيامه به يستلزم ان تقوم به الحوادث فنفوا ذلك لهذا الاصل الذي اعتقدوا
الطريق الثاني ان يقال المجيء والاتيان والصعود والنزول توصف به
روح الانسان التي تفارقه بالموت وتسمى النفس وتوصف به الملائكة وليس نزول
الروح وصعودها من جنس نزول البدن وصعوده فان روح النائم تصعد
الى فوق السموات ثم تهبط الى الارض فيما بين قبضها ووضع الميت في قبره وهذا
زمن يسير لا يصعد البدن الى ما فوق السموات ثم ينزل الى الارض في مثل هذا الزمان

وذلك

وذلك صعودها ثم عودها الى البدن في النوم واليقظة ولهذا شبهه بعض الناس
الى القمر بالشعاع لكن ليس هذا مثالا مطابقا فان نفس الشمس لا تنزل والشعاع
الذي يظهر على الارض هو عرض من الاعراض يحدث بسبب الشمس ليس هو
الشمس ولا صفة قائمة بها والروح نفسها تصعد وتنزل ففي الحديث المشهور
حديث البراء بن عازب رضي الله عنه في قبض الروح وفتنة القبر وقد رواه الامام
احمد ورواه ابو داود واختصره وكذلك النسائي وابن ماجة ورواه ابو عوانة
في صحيحه بطوله وفي رواية عن زاذان سمعت البراء وذلك يبطل قول من قال
انه لم يسمعه منه ورواه الحاكم في صحيحه من حديث ابي معاوية قال ثنا الاعمش
ثنا المنهال بن عمرو عن ابي عمر زاذان عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كان على رؤوسنا الطير وفي يده عود
ينكت به في الارض فرفع راسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين
او ثلاثا ثم قال ان العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الا
خرة نزل اليه من السماء ملائكة بيض الوجوه كان وجوههم الشمس معهم كفن
من اكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم
يجيء ملك الموت حتى يجلس عند راسه فيقول ايتها النفس الطيبة اخرجي
الى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من في
السقا فياخذها فاذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى ياخذوها
منه فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كاطيب نفحة
مسك وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملا
ئكة
بين السماء والارض الا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون فلان ابن فلان
باحسن اسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا
فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التي تليها
حتى ينتهي به الى السماء السابعة فيقول الله تعالى اكتبوا كتاب عبدي في عليين

واعيدوه الى الارض فمنها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى قال
فتعاد روحه فياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول الله ربي فيقولان
له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول
هو محمد رسول الله فيقولان ما علمك فيقول قرات كتاب الله فامنت به وصدقت
فينادي منادٍ من السماء ان صدق عبدي فافرشوه من الجنة والبسوه من
الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فياتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره
مد بصره قال فياتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول
ابشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من انت فوجهك
الوجه الذي ياتي بالخير فيقول انا عملك الصالح فيقول رب اقم الساعة حتى ارجع
الى اهلي ومالي وقال ان العبد الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الا
خرة نزل عليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه
مد البصر ثم يجي ملك الموت حتى يجلس عند راسه فيقول ايتها النفس
الخبيثة اخرجي الى سخط من الله وغضب قال فتفرق في جسده فينزعها
كما ينزع السفود من الصوف المبلول فياخذها فاذا اخذها لم يدعوها
في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منه كانتن ريح
جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون على ملا من
الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الخبيثة فيقولون فلان ابن فلان باقبح اسمائه
التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها الى السماء الدنيا فيستفتح له فلا
يفتح ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فيقول الله اكتبوا كتابه في سجين في
الارض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح
في مكان سحيق فتعاد روحه في جسده وياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان
له من ربك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان ما دينك فيقول هاه هاه لا ادري

فيقولان

فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا ادري فينادي
منادٍ من السماء ان كذب عبدي فافرشوه من النار والبسوه من النار وافتحوا
له بابا الى النار فياتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف
اضلاعه وياتيه رجل قبيح الثياب منتن الريح فيقول ابشر بالذي يسوءك
هذا يومك الذي كنت توعد فيقول ومن انت فوجهك وجه الذي ياتي
بالشر فيقول انا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة **قلت** هذا قد
روي عن البراء ابن عازب عن واحد عشر زادان منهم عدي ابن ثابت ومحمد
ابن عقبة ومجاهد قال الحافظ ابو عبد الله محمد ابن اسحاق ابن منده في كتاب
الروح والنفس ثنا محمد ابن يعقوب ابن يوسف ثنا محمد ابن اسحاق الصنعاني
ثنا ابو النضر هاشم ابن قاسم ثنا عيسى ابن المسيب عن عدي ابن ثابت عن
البراء ابن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من
الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلس وجلسنا حوله كان على اكتافنا
فلق الصخر وعلى رؤسنا الطير فازم قليلا والازمام السكوت فلما رفع راسه
قال ان المؤمن اذا كان في قبل من الاخرة ودبر من الدنيا وحضره ملك الموت
نزل عليه ملائكة من السماء معهم كفن من الجنة وحنوط من الجنة فيجلسون
منه مد بصره وجاءه ملك الموت فجلس عند راسه ثم يقول اخرجي ايتها النفس
الطيبة اخرجي الى رحمة الله ورضوانه فتسيل نفسه كما تسيل القطرة
من السقا فاذا اخرجت نفسه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض الا الثقلين
ثم يصعد الى السماء فيفتح له السماء ويشيعه مقربوها الى السماء الثانية
والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة الى العرش مقربو كل
سماء فاذا انتهى الى العرش كتب كتابه في عليين فيقول الرب عز وجل ردوا عبدي
الى مضجعه فاني وعدتهم اني منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة
اخرى فيرد الى مضجعه فياتيه منكر ونكير يثيران الارض بانيابهما ويفحصان
الارض باشعارهما ثم يقال له يا هذا من ربك فيقول ربي الله فيقولان

٤٢
الموت ع

صدقت ثم يقال له ما دينك فيقول الاسلام فيقولان له صدقت ثم يقال له من
نبيك فيقول محمد رسول الله فيقولان صدقت ثم يفسح له في قبره مد بصره
ويأتيه رجل حسن الوجه طيب الريح فيقول له جزاك الله خيرا ما علمت ان كنت
لسريعا في طاعة الله بطيئا عن معصية الله فيقول وانت جزاك الله خيرا فمن انت
فيقال انا عملك الصالح ثم يفتح له باب الى الجنة فينظر الى مقعده ومنزله منها
حتى تقوم الساعة وان الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا وقبل من الاخرة
وحضره ملك الموت نزل عليه من السماء ملائكة معهم كفن من نار وحنوط
من النار فيجلسون منه مد بصره وجاء ملك الموت فجلس عند راسه ثم قال اخرجي
ايتها النفس الخبيثة اخرجي الى غضب الله وسخطه فتفرق روحه في جسده
كراهة ان تخرج لما ترى وتعاين فيستخرجها كما يستخرج السفود من الصوف
المبلول فاذا خرجت نفسه لعنه كل شيء بين السماء والارض الا الثقلين
ثم يصعد به الى السماء الدنيا فتغلق دونه فيقول الرب تبارك وتعالى ردوا
عبدي الى مضجعه فاني وعدتهم اني منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم
تارة اخرى فترد روحه الى مضجعه فياتيه منكر ونكير يثيران الارض بانيابهما
ويفحصان الارض باشعارهما اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما
كالبرق الخاطف فيجلسانه ثم يقولان له من ربك فيقول لا ادري فينادى
من القبر لا دريت فيضربانه بمرزبة من حديد لو اجتمع عليها من بين الخافقين
لم تقل ويضيق عليه قبره حتى تختلف اضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه
قبيح الثياب منتن الريح فيقول جزاك الله شرا فوالله ما علمت ان كنت
لبطيئا عن طاعة الله سريعا في معصية الله فيقول من انت فيقول انا عملك
ثم يفتح له باب الى النار فينظر الى مقعده فيها حتى تقوم الساعة وقال ابن منده
رواه الامام احمد بن حنبل ومحمود بن غيلان وغيرهما عن ابي النضر ومن ذلك
حديث ابن ابي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطا عن سعيد بن يسار عن ابي هريرة
وقد رواه الامام احمد في مسنده وغيره وقال الحافظ ابو نعيم الاصبهاني هذا

حديث

حديث متفق على عدالة ناقليه اتفق الامامان محمد بن اسمعيل البخاري ومسلم ابن
الحجاج على ابن ابي ذئب ومحمد بن عمرو بن عطا عن سعيد بن يسار وهم شرطهما
ورواه المتقدمون الكبار عن ابن ابي ذئب مثل ابن ابي فديك وعنه دحيم ابن
ابراهيم **قلت** وقد رواه عن ابن ابي ذئب غير واحد ولكن هذا سياق حديث
ابن ابي فديك لتقدمه قال ابن ابي فديك حدثني محمد بن ابي ذئب عن محمد بن عمرو
بن عطا عن سعيد بن يسار عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الميت تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قال اخرجي ايتها النفس الطيبة
كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان
قال فيقولون ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال
من هذا فيقولون فلان فيقولون مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد
الطيب ادخلي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان فيقال لها
ذلك حتى ينتهى الى السماء التي فيها الله عز وجل واذا كان الرجل السوء قال
اخرجي ايتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة وابشري
بحميم وغساق واخر من شكله ازواج فيقولون ذلك حتى تخرج ثم يعرج
بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقولون لا مرحبا با
لنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فانها لن تفتح لك
ابواب السماء فترسل بين السماء والارض فتصير الى قبرها فيجلس الرجل
الصالح في قبره غير فزع ولا مشعوف ثم يقال فيم كنت تقول في الاسلام
فيقال له ما هذا الرجل فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات من قبل الله فامنا
وصدقنا وذكر تمام الحديث **والمقصود** انه في حديث ابي هريرة فتصير الى
قبرها كما في حديث البراء بن عازب وحديث ابي هريرة روي من طرق تصدق
حديث البراء بن عازب وفي بعض طرق حديث البراء بطوله كما ذكره الحاكم
مع ان سائر الاحاديث الصحيحة المتواترة تدل على عود الروح الى البدن
اذ المسألة للبدن بلا روح قول قاله طائفة من الناس وانكره الجمهور وكذلك

قلت
المقصود

السؤال للروح بلا بدن قال ابن سيرين وابن حزم ولو كان كذلك لم يكن للقبر بالروح
اختصاص وزعم ابن حزم ان العود لم يروه الا زاذان عن البراء وضعفه وليس الامر
كما قال بل رواه غير زاذان عن البراء وروي عن غير البراء مثل عدي ابن ثابت وغيره
وقد جمع الدارقطني طرقه في مصنف مفرد مع ان زاذان من الثقاة روى عن
اكابر الصحابة كعمر وغيره وروى له مسلم في صحيحه وغيره قال يحيى ابن معين هو
ثقة وقال حميد ابن هلال وقد سئل عنه فقال هو ثقة لا تسئل عن مثل هؤلاء
وقال ابن عدي احاديثه لا باس بها اذا روى عنه ثقة وكان يسمع الكراسي
وانما رماه من رماه بكثرة خلافه واما المنهال فمن رجال البخاري وحديث
زاذان مما اتفق السلف والخلف على روايته وتلقيه بالقبول وارواح المؤمنين
في الجنة وان كانت مع ذلك قد تعاد الى البدن كما انها تكون في البدن ويعرج
بها الى السماء وكما في حال النوم اما كونها في الجنة ففيه احاديث عامة وقد نص
على ذلك احمد وغيره من العلماء واحتجوا بالاحاديث المأثورة العامة واحاديث
خاصة في الشهداء وغيرهم فالاول مثل حديث الزهري المشهور الذي رواه مالك
عن الزهري في موطاه وشعيب ابن ابي حمزة وغيرهما وقد رواه الامام احمد في
المسند وغيره قال الزهري اخبرني عبد الرحمن ابن عبد الله ابن كعب ان كعب ابن
مالك الانصاري وهو احد الثلاثة الذين تيب عليهم كان يحدث ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال انما نسمة المؤمن طائر يعلق الجنة حتى يرجعه الله
الى جسده فاخبر انه يعلق في شجر الجنة حتى يرجع الى جسده يعني في النشأة
الاخرة قال ابو عبد الله ابن منده ورواه يونس والزبيدي والاوزاعي وابن
اسحق قال عمرو ابن دينار وابن اخي الزهري عن الزهري عن عبد الرحمن ابن كعب
عن ابيه قال وقال صالح ابن كيسان وابن اخي الزهري والزهري عن عبد الرحمن ابن
كعب انه بلغه ان كعبا قال رواه الامام احمد والنسائي وابن ماجه والترمذي وقال
حديث حسن صحيح قلت وفي الحديث المشهور حديث محمد ابن عمرو عن ابي سلمة
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه ابو حاتم في صحيحه وقد رواه ايضا الائمة

في شجر

قال ابن المسيب

وقال ابن المسيب ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه فان كان مؤمنا كانت الصلاة
عند راسه والصيام عن يمينه وكانت الزكاة عن يساره وكان فعل الخيرات من
الصدقة والصلة والمعروف والاحسان الى الناس عند رجليه فيؤتى من
عند راسه فتقول الصلاة ما قبلي مدخل ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام
ما قبلي مدخل ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة ما قبلي مدخل ثم يؤتى
من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصلاة والصيام والمعروف والاحسان
الى الناس ما قبلي مدخل فيقال له اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس قد اخذت للغروب
فيقال له ما هذا الرجل الذي بعث كان فيكم ما تقول فيه فيقول دعوني حتى اصلي
فيقولون انك ستفعل اخبرنا عن ما نسئلك عنه قال عم تسألوني فقال ما تقول
في هذا الرجل الذي كان فيكم ما ذا تشهد عليه به فيقول اشهد انه رسول الله وانه
جاء بالحق من عند الله فيقال له على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث
ان شاء الله ثم يفتح له باب من ابواب الجنة فيقال له ذلك مقعدك منها
وما اعد الله لك فيها فيزداد غبطة وسرورا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا
وينور له فيها ويعاد جسده كما بدا ويجعل نسمته في النسم الطيب وهي طير
تعلق في شجر الجنة وفي لفظ وهو طير يعلق في شجر الجنة قال ابو هريرة
قال الله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة
وفي لفظ ثم يعاد الجسد الى ما بدئ منه وهذه الاعادة هي المذكورة في قوله تعالى
منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ليست هي النشأة الثانية
رواه الحاكم في صحيحه عن معمر عن قتادة عن قسامة ابن زهير عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان المؤمن اذا احتضر اتته ملائكة الرحمة
بحريرة بيضاء فيقولون اخرجي راضية مرضيا عنك الى روح وريحان ورب
غير غضبان فتخرج كاطيب ريح مسك حتى انهم ليناوله بعضهم بعضا يشمونه
حتى ياتوا به باب السماء فيقولون ما اطيب هذه الريح التي جاءتكم من الارض
وكلما اتوا سماء قالوا ذلك حتى ياتوا به ارواح المؤمنين فلهم افرح به من احدكم

بغايته اذا قدم عليه فيسالونه ما فعل فلان قال فيقولون دعوه حتى يستريح
فانه كان في غم الدنيا فاذا قال لهم ما اتاكم فانه قد مات يقولون ذهب به الى امه الهاوية
واما الكافر فان الملائكة العذاب تاتيه فيقولون اخرجي ساخطة مسخوطا
عليك الى عذاب الله وسخطه فتخرج كانتن ريح جيفة فينطلقون به الى باب
الارض فيقولون ما انتن هذه الريح كلما اتوا على ارض قال واذ لك حتى ياتوا به
ارواح الكفار قال الحاكم تابعه هشام الدستوائي عن قتادة قال همام ابن يحيى عن
قتادة عن ابي الجوزي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه والكل صحيح
وشاهدها حديث البراء ابن عازب وكذلك رواه الحافظ ابو نعيم من حديث
القاسم ابن الفضل الحذاء عن كما رواه معمر قال ورواه ابو موسى وبندار عن معاذ
ابن هشام عن ابيه عن قتادة مثلهم فوعا ومن اصحاب قتادة من رواه موقوفا
ورواه همام عن قتادة عن ابي الجوزي عن ابي هريرة مرفوعا نحوه وقد روى هذا
الحديث النسائي والبزار في مسنده وابو حاتم في صحيحه وقد روى مسلم في صحيحه
عن ابي هريرة قال اذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان فصعدا بها فذكر
من ريح طيبها وذكر المسك قال فيقول اهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الا
رض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه فينطلق به الى ربه ثم يقول انطلقوا
به الى اخر الاجل قال وان الكافر اذا خرجت روحه وذكر نتنها وذكر لعنا فيقول
اهل السماء روح خبيثة جاءت من قبل الارض قال فيقال انطلقوا به الى اخر الاجل
قال ابو هريرة فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ريطة كانت على انفه هكذا وقد
ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول عند النوم باسمك اللهم ربي اضع
جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فاغفر لها وارحمها وان ارسلتها فاحفظها
بما تحفظ به عبادك الصالحين وفي الصحيحين ايضا انه كان يقول اللهم انت خلقت
نفسي وانت تتوفاها لك مماتها ومحياها فان امسكتها فارحمها وان ارسلتها فاحفظها
بما تحفظ به عبادك الصالحين ففي هذه الاحاديث من صعود الروح الى السماء وعودها
الى البدن ما بين ان صعودها نوع اخر ليس مثل صعود البدن ونزوله وروينا

عن الحافظ ابي عبد الله محمد ابن مندة في كتاب الروح والنفس ثنا احمد ابن محمد ابن
ابراهيم ثنا عبد الله ابن الحسن الحراني ثنا جدي احمد ابن شعيب ثنا موسى ابن
اعين عن مطرف عن جعفر ابن ابي المغيرة عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي
الله عنهما في هذه الاية الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها قال
تلتقي ارواح الاحيا والاموات في المنام فيتساءلون بينهم فيمسك الله ارواح الموتى
ويرسل ارواح الاحيا الى اجسادها وروى الحافظ ابو محمد ابن ابي حاتم في تفسيره
ثنا سليمان ثنا الحسن ثنا عامر ابن الفرات ثنا اسباط عن السدي والتي لم تمت
في منامها قال فتلتقي روح الحي وروح الميت فيتذاكران ويتعارفان قال فترجع
روح الحي الى جسده في الدنيا الى بقية اجلها في الدنيا قال وتريد روح الميت ان ترجع
الى جسده فتحبس وهذا احد القولين وهو ان قوله فيمسك التي قضى عليها الموت
اريد بها من مات قبل ذلك لقى روح الحي **والقول الثاني** وعليه الاكثرون
ان كلا النفسين الممسكة والمرسلة توفيت وفاة النوم واما التي توفيت وفاة
الموت فتلك قسم ثالث وهي التي قدمها بقوله الله يتوفى الانفس حين موتها
وعلى هذا يدل الكتاب والسنة فان الله قال يتوفى الانفس حين موتها والتي لم
تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى فذكر
امساك التي قضى عليها الموت من هذه الانفس التي توفاها بالنوم واما التي
توفاها حين موتها فتلك لم يصفها بامساك ولا ارسال ولا ذكر في الاية التقى
الموتى بالنيام والتحقيق ان الاية تتناول النوعين فان الله ذكر توفيتين توفي
الموتى وتوفي النوم وذكر امساك المتوفاة وارسال الاخرى ومعلوم انه يمسك
كل ميتة سواء ماتت في النوم او قبل ذلك ويرسل من لم تمت وقوله يتوفى الانفس حين
موتها يتناول ما ماتت في اليقظة وما ماتت في النوم فلما ذكر التوفيتين
ذكر انه يمسكها في احد التوفيتين ويرسلها في الاخرى وهذا ظاهر اللفظ
ومدلوله بلا تكلف وما ذكر من التقاء ارواح النيام والموتى لا ينافي ما في الاية
وليس في لفظها دلالة عليه لكن قوله فيمسك التي قضى عليها الموت يقتضي انه

٤٢
سياق

يمسكها لا يرسلها كما يرسل النائمة سوا توفاها في اليقظة او النوم ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم انت خلقت نفسي وانت تتوفاها لك مماتها
ومحياها فان امسكتها فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك
الصالحين وقال ابن ابي حاتم ثنا ابي ثنا عمر ابن عثمان ثنا بقية ثنا صفوان
ابن عمرو حدثني سليمان ابن عامر الحضرمي ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال
لعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه اعجب من رويا الرجل انه يبيت فيرى الشيء
لم يخطر على بال فتكون كاخذ اليد ويرى الرجل الشيء فلا تكون رويا شيا فقال
فقال ابن ابي طالب افلا اخبرك بذلك يا امير المؤمنين ان الله يقول الله يتوفى
الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل
الاخرى الى اجل مسمى فالله يتوفا الانفس كلها فما رات وهي عنده في السماء فهو
الرويا الصادقة وما رات اذا ارسلت الى اجسادها تلقتها الشياطين في الهوى
فكذبتها فاخبرتها بالاباطيل وكذبت فيها فعجب عمر رضي الله عنه من قوله وذكر
هذا ابو عبد الله محمد ابن اسحق ابن منده في كتاب الروح وقال هذا خبر مشهور
عن صفوان وغيره ولفظه قال علي ابن ابي طالب يا امير المؤمنين يقول الله
تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها
الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى والارواح يعرج بها فما رات وهي
في السما فهو الحق فاذا ردت الى اجسادها تلقتها الشياطين في الهوى فكذبتها
فما رات من ذلك فهو الباطل قال الامام ابو عبد الله ابن منده وروي عن
ابي الدردا قال روى ابن لهيعة عن عثمان ابن نعيم الرعيني عن ابي عثمان
الاصبحي عن ابي الدردا قال اذا نام الانسان عرج بروحه حتى يؤتى بها العرش قال فان
كان طاهرا اذن لها بالسجود وان كان جنبا لم يؤذن لها بالسجود رواه زيد ابن
حباب وغيره وروى ابن منده حديث علي وعمر رضي الله عنهما مرفوعا ثنا ابو اسحق
ابراهيم ابن محمد ثنا محمد ابن شعيب ثنا عباس ابن ابي اسماعيل وانبانا الحسن
ابن انبانا عبد الرحمن ابن محمد ابن قتيبة الرازي ثنا محمد ابن جميل ثنا ابو زهير

عبد الرحمن

ابن عمر صح

٢٤

عبد الرحمن ابن معمر الدوسي ثنا الغزعن عبد الله الرازي عن محمد ابن عجلان عن سالم
ابن عبد الله عن ابيه قال لقي عمر ابن الخطاب علي ابن ابي طالب فقال يا ابا الحسن
ربما شهدت وغبنا وربما شهدنا وغبت ثلاث اسالك عنهن فهل عندك
منهن علم فقال علي ابن ابي طالب وما هن فقال الرجل يحب ولم ير منه خيرا
والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شرا فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه
يقول ان الارواح جنود مجندة تلتقي في الهوى فتشام فما تعارف منها
ائتلف وما تناكر منها اختلف فقال عمر واحدة قال عمر والرجل يحدث الحديث
اذ نسيه فبينما هو قد نسيه اذ ذكره فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من القلوب قلب الا وله سحابة كسحابة القمر فبينما القمر يضيء اذ تجللته
سحابة فاظلم اذ تجلت عنه فاضاء وبينما القلوب تحدث اذ تجللته الرويا
فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما عبد ينام فيمتلي نوما الا عرج بروحه الى العرش فالذي لا يستيقظ دون العرش
فتلك الرويا التي تصدق والذي يستيقظ دون العرش فهي التي تكذب
فقال عمر ثلاث كنت في طلبهن فالحمد لله الذي اصبتهن قبل الموت ورواه من
وجه ثالث ان ابن عباس سئل عنه عمر فقال احمد ابن سليمان ابن ايوب ثنا يزيد
ابن محمد ابن عبد الصمد ثنا ادم ابن ابي اياس ثنا اسمعيل ابن عياش عن ثعلبة
رضي الله عنه ابن مسلم الخثعمي عن ابن ابي طلحة القرشي ان ابن عباس قال لعمر
ابن الخطاب رضي الله عنه يا امير المؤمنين اشيا اسالك عنها قال سل عما شئت فقال
يا امير المؤمنين مم يذكر الرجل ومم ينسى ومم تصدق الرويا ومم تكذب فقال
له اما قولك مم يذكر الرجل ومم ينسى ومم تصدق الرويا ومم تكذب فان على القلب
طخاة القمر فاذا تغشت القلب نسي ابن ادم فاذا انجلت عن القلب ذكر ما كان
نسي واما مم تصدق الرويا ومم تكذب فان الله يتوفى الانفس حين موتها والتي
لم تمت في منامها فمن دخل منها في ملكوت السماء فهي التي تصدق وما كان منها
دون ملكوت السماء فهي التي تكذب وفي هذين الطريقين ذكر ان التي تكذب

علم

سماً ابو فسي اذ يحدث
عنه فذكر قال عمر اثنتان
قال والرجل يرى الرؤيا
صح

ما لم يكمل وصولها الى العلو ففي الاول ذكر ان ذلك يكون ما يحصل بعد رجوعها
وكلا الامرين ممكن فان الحكم يتخلف لفوات شرطه ووجود مانعه من ذلك
قال عكرمة ومجاهد اذا نام الانسان فان له سببا تجري فيه الروح واصله في الجسد
فتبلغ حيث شاء الله فما دام ذاهبا فالانسان نائم فاذا رجع الى البدن انتبه الا
نسان فكان بمنزلة شعاع هو ساقط الارض واصله متصل بالشمس قال ابن
منده واخبرت عن عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي عن علي بن ابي يزيد السمرقندي
وكان من اهل العلم والادب وله بصر بالطب والتعبير قال ان الارواح تمد من
منخار الانسان ومركبه واصلها في بدن الانسان فلو خرج الروح لمات كما ان السراج
لو فرق بينها وبين الفتيلة لطفئت الا ترى ان تحرك النار في الفتيلة وضوؤها
وشعاعها ملا البيت فكذلك الروح تمتد من منخار الانسان في منامها حتى تاتي
السماء وتجول في البلدان وتلتقي مع ارواح الموتى فاذا راها الملك الموكل
بارواح العباد اراه ما احب ان يريه وكان المرء في اليقظة عاقلا ذكيا صدوقا
لا يلتفت في يقظته الى شيء من الباطل رجع اليه روحه فادى الى قلبه الصدق
فيما اراه الله عز وجل على حسب صفته وان كان خفيفا مرحا يحب الباطل والنظر
اليه فاذا نام اراه الله امرا من خير او شر رجع روحه فحيث ما راى شيئا من
مخاريق الشيطان او باطل وقف عليه كما يقف في يقظته وكذلك يؤدي الى قلبه
فلا يعقل ما راى لانه خلط الحق بالباطل فلا يمكن معبر يعبر له وقد اختلط الحق
بالباطل قال الامام ابن منده ومما يشبه هذا الكلام ما ذكرناه عن عمر وعلي
وابي الدرداء رضي الله عنهم قلت وخرج ابن قتيبة في كتاب تعبير الرؤيا
قال حدثني حسين بن حسن المروزي اخبرنا ابن المبارك عبد الله ثنا المبارك
عن الحسن انه قال انبئت ان العبد اذا نام وهو ساجد يقول الله تبارك وتعالى
انظروا الى عبدي روحه عندي وجسده في طاعتي واذا كانت الروح تعرج الى السماء
مع انها في البدن علم انه ليس عروجها من جنس البدن الذي يمتنع هذا فيه
وعروج الملائكة ونزولها من جنس عروج الروح ونزولها لا من جنس عروج

البدن

البدن ونزوله وصعود الرب عز وجل فوق هذا كله واجل من هذا كله
فانه تعالى ابعد عن مماثلة كل مخلوق من مماثلة مخلوق لمخلوق واذا قيل
الصعود والنزول والمجيء والاتيان انواع جنس الحركة قيل والحركة ايضا
اصناف مختلفة فليست حركة الروح كحركة البدن وحركة الملائكة كحركة
البدن والحركة يراد بها انتقال البدن او الجسم من حيز الى حيز ويراد بها
امور اخرى كما يقوله كثير من الطبائعية والفلاسفة منها الحركة في الكم كحركة
النمو والحركة في الكيف كحركة الانسان من جهل الى علم وحركة اللون او الثياب
من بياض الى سواد والحركة في الاين كالحركة تكون بالاجسام النامية من
النبات والحيوان من النمو والزيادة والذبول والنقصان وليس هناك
جسم من حيز الى حيز ومن قال ان الجواهر المفردة تنتقل فقوله غلط كما هو
مبسوط في موضعه وكذلك الاجسام تنتقل الوانها وطعومها وروائحها
فيسود الجسم بعد بياضه ويحلو بعد مرارته الحب بعد انه يكون كذلك
وهذه حركات واستحالات وانتقالات وان لم يكن في ذلك انتقال جسم من
حيز الى حيز وكذلك الجسم الدائر في موضع واحد كالدولاب والفلك
هو بجملته لا يخرج من حيزه وان لم يزل متحركا وهذه الحركات كلها في الاجسام
واما في الارواح فالنفس تنتقل من بغض الى حب ومن سخط الى رضا و
من كراهة الى ارادة ومن جهل الى علم ويجد الانسان من كل حركات نفسه
وانتقالاتها وصعودها ونزولها ما يجده وذلك جنس اخر غير جنس حركات
بدنه واذا عرف هذا فان للملائكة من ذلك ما يليق بهم واما يوصف الرب تبارك
وتعالى هو اكمل واعلى واتم من هذا كله وحينئذ فاذا قال السلف والائمة
كحماد بن زيد واسحق بن راهويه وغيرهما من ائمة السنة انه ينزل ولا يخلو منه
العرش لم يجز ان يقال ان ذلك ممتنع بل اذا كان المخلوق يوصف من ذلك بما
يستحيل من مخلوق الى اخر فالروح توصف من ذلك بما يستحيل اتصاف البدن به
كان جواز ذلك في حق الرب تبارك وتعالى اولى من جوازه من المخلوق كالارواح الادمية

والملائكة ومن ظن ان ما يوصف به الرب عز وجل لا يكون الا مثل ما يوصف
به ابدان بني ادم فغلطه اعظم من غلط من ظن ان ما يوصف به الارواح مثل ما
يوصف به الابدان **واصل هذا** ان قربه سبحانه تعالى ودنوه من بعض مخلوقاته
لا يستلزم ان تخلو ذاته من فوق العرش ويقرب من خلقه كيف شا كما قال ذلك من
قاله من السلف وهذا كقربه الى موسى عليه السلام لما كلمه من الشجرة قال تعالى
اذ قال موسى لاهله اني انست نارا سآتيكم منها بخبر او آتيكم بشهاب قبس
لعلكم تصطلون فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها و
سبحان الله رب العالمين يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم والق عصاك
فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا
يخاف لدي المرسلون الا من ظلم الاية وقال في السورة الاخرى فلما قضى موسى
الاجل وسار باهله آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا
لعلي آتيكم بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما اتاها نودي من
شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب
العالمين وقال تعالى واذكر في الكتاب انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه
من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا فاخبر انه ناداه من جانب الطور وانه
قربه نجيا وقال تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الا
ولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون وما كنت بجانب الغربي
اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشانا قرونا فتطاول
عليهم العمر وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلوا عليهم اياتنا ولكنا كنا مرسلين
وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم
من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون وقال تعالى وهل اتاك حديث موسى اذ ناداه
ربه بالواد المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى فقل هل لك الى ان تزكى
واهديك الى ربك فتخشى فاراه الاية الكبرى **قال** ابن ابي حاتم في تفسيره
ثنا علي ابن الحسين ثنا عثمان ابن ابي شيبة ثنا معوية ابن هشام ثنا شريك

عن عطا

موسى م

عن عطا عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في قوله تعالى
فلما جاءها نودي ان بورك من في النار قال الله في النور ونودي من النور
ثنا علي ابن الحسن ثنا ابن حمزة ثنا علي ابن الحسين ابن واقد عن ابيه عن يزيد
النحوي ان عكرمة حدثني عن ابن عباس ان بورك من في النار قال كان ذلك
النار نوره ومن حولها اي بورك من في النور ومن حولها النور وكذلك
روي باسناده من تفسير عطية فلما جاءها نودي ان بورك من في النار يعني
نفسه قال كان نور رب العالمين في الشجرة ومن حولها ثنا ابي ثنا ابراهيم بن
سعد الجوهري ثنا ابو معاوية عن شيبان عن عكرمة ان بورك من في
النار قال كان الله في نوره ثنا ابو زرعة ثنا ابو شيبة ثنا علي ابن جعفر المدا
عن ورقا عن عطا ابن السائب عن سعيد ابن جبير ان بورك من في النار قال نادا
وهو في النور ثنا علي ابن الحسين ثنا سعيد ابن ابي مريم ثنا مفضل ابن ابي
فضالة حدثني ابن ضمرة فلما راها نودي ان بورك من في النار ومن حولها
قال ان موسى صلى الله عليه وسلم كان على شاطئ الوادي الى ان قال فلما قام ابصر
النار فسار اليها فلما اتاها نودي ان بورك من في النار قال انها لم تكن نارا ولكن
كان نور الله وهو الذي كان في ذلك النور وانما كان ذلك النور منه وموسى حوله
ثنا ابو سعيد يحيى ابن سعيد القطان ثنا مكي ابن ابراهيم ثنا موسى ابن عبيدة
عن محمد ابن كعب في قوله عز وجل ان بورك من في النار ومن حولها قال النار نور
الرحيم الرحمن قال ضوء من الله تعالى ومن حولها موسى والملائكة وروى باسناده
عن ابن عباس ومن حولها قال الملائكة قال وروي عن عكرمة والحسن وسعيد
ابن جبير وقتادة مثل ذلك وروي عن السدي وحده ان بورك من في النار قال
كان في النار ملائكة وفي صحيح مسلم عن ابي عبيدة عن ابي موسى قال قام فينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم باربع كلمات فقال ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط
ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو كشفه
لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ثم قرا ابو عبيدة ان بورك من في

بيتي

او النار م

النار ومن حولها وذكر من تفسير الوالبي عن ابن عباس ان بورك من في النار
يقول قدس وعن مجاهد ان بورك من في النار بوركت النار كذلك يقول ابن
العباس في السورة الاخرى ذكر انه ناداه من شاطي الواد الايمن في البقعة
المباركة من الشجرة وقوله من الشجرة هو بدل من قوله من شاطي الوادي
الايمن فالشجرة كانت فيه وقال ايضا وناديناه من جانب الطور الايمن والطور
هو الجبل فالندا كان من الجانب الايمن من الطور ومن الوادي وان شاطي الوادي
جانبه وقال وما كنت بجانب الغربي وجانب المكان الغربي فدل على ان هذا
الجانب الايمن هو الغربي لا الشرقي فذكر ان الندا كان من موضع معين وهو
الوادي المقدس طوى من شاطي الايمن من جانب الطور الايمن من الشجرة
وذكر انه قربه نجيا فناداه وناجاه وذلك المنادي له والمناجي له هو الله رب
العالمين لا غيره ونداه ومناجاته قايمة به ليس ذلك منفصلا عنه مخلوقا
كما يقوله من يقول ان الله لا يقوم به كلام بل كلامه منفصل عنه مخلوق وهو
سبحانه وتعالى ناجاه وناداه ذلك الوقت كما دل عليه القران لا كما يقوله من يقول
لم يزل مناجيا منا ديا لم يقولون ذلك الوقت خلق فيه ادراك الندا القديم
الذي لم يزل ولا يزال فهذان قولان مبتدعان لم يقل واحدا منهما احد من السلف
واذا كان المنادي هو الله رب العالمين وقد ناداه من موضع معين وقربه اليه
دل ذلك على ما قاله السلف من قربه ودنوه من موسى صلى الله عليه وسلم تسليما مع
ان هذا قربه مما دون السما وقد جا ايضا من حديث وهب بن منبه وغيره من
الاسرائيليات قربه من ايوب على وجه المتابعة عليه السلام وغيره من الانبيا قربه
يذكر على وجه المتابعة لا على وجه الاعتماد عليها وهو سبحانه وتعالى قد وصف
نفسه في كتابه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم بقربه من الداعي وقربه من المتقرب
اليه فقال تبارك وتعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا
دعان وثبت في الصحيحين عن ابي موسى انهم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر فكانوا يرفعون اصواتهم بالتكبير فقال ايها الناس اربعوا على انفسكم

فانكم

فانكم لا تدعون اصم ولا غائبا انما تدعون سميعا قريبا ان الذي تدعونه اقرب
الى احدكم من عنق راحلته وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول
الله تعالى من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب الي ذراعا تقربت
اليه باعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة وقربه من العباد بتقربهم اليه مما
يقر به جميع من يقول انه فوق العرش سوا قالوا مع ذلك انه تقوم به الافعال
الاختيارية اولم يقولوا واما من ينكر فمنهم من يفسر قرب العباد بكونهم يقاربونه
ويشابهونه من بعض الوجوه فيكونون قريبين منه وهذا تفسير
ابي حامد والمتفلسفة فانهم يقولون الفلسفة هي التشبه بالاله على قدر الطاقة
ومنهم من يفسر قربهم بطاعته ويفسرون قربه باثابته وهذا تفسير جمهور الجهمية
فانهم ليس عندهم قرب ولا تقرب اصلا ومما يدخل في معاني القرب ليس في
الطوائف من ينكره قرب المعهود والمعروف الى قلوب العارفين العابدين
فان كل من احب شيا فانه لا بد ان يعرفه ويقربه من قلبه والذي يبغضه يبعد
من قلبه لكن هذا ليس المراد به ان ذاته نفسها تحل في قلوب العارفين العابدين
وانما في القلوب معرفته وعبادته ومحبته والايمان به ولكن العلم يطابق المعلوم
وهذا الايمان الذي في القلوب هو المثل الاعلى الذي له في السموات والارض و
هو معنى قوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو العزيز الحكيم
وقوله وهو الله في السموات والارض وقد غلط في هذا طائفة من الصوفية و
الفلاسفة وغيرهم فجعلوه حلول الذات واتحادها بالعابد والعارف من جنس
قول النصارى في المسيح وهو قول باطل قد بسط في موضع والذين يثبتون
تقريبه للعباد الى ذاته هو القول المعروف للسلف والائمة وهو قول الاشعري
وغيره من الكلابية فانهم يثبتون قرب العباد الى ذاته وكذلك يثبتون استواه
على العرش بذاته ونحو ذلك ويقولون الاستوا فعل فعله بالعرش فصار مستويا
على العرش وهذا ايضا قول ابن عقيل وابن الزاغوني وطوائف من اصحاب احمد
وغيرهم واما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده فهذا اثبته من يثبت قيام الافعال

الاختيارية بنفسه ومجيئه يوم القيمة ونزوله واستوائه على العرش وهذا
مذهب ائمة السلف وائمة الاسلام المشهورين واهل الحديث والنقل عنهم
بذلك متواتر واول من انكر هذا في الاسلام الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة و
كانوا ينكرون الصفات والعلو على العرش ثم جاء ابن كلاب فخالفهم في ذلك واثبت
الصفات والعلو على العرش لكن وافقهم على انه لا تقوم به الامور الاختيارية
ولهذا احدث قوله في القران انه قديم وان الله لم يتكلم به بقدرته وارادته ولا
يعرف هذا القول عن احد من السلف بل المتواتر عنهم ان القران كلام الله غير مخلوق
وان الله يتكلم بمشيئته وقدرته كما ذكرت الفاظهم في كتب كثيرة في مواضع غير هذا
فان الذين يثبتون انه كلم موسى بمشيئته وقدرته كلاما قائما به هم الذين يقولون يدنو
من عباده بنفسه واما من قال القران مخلوق او قديم فاصل هؤلاء انه لا
يمكن ان يقرب من شيء ولا يدنو اليه شيء فمن قال منهم بهذا مع هذا كان من تناقضه
فانه لم يفهم اصل القائلين بانه قديم واهل الكلام قد يعرفون من حقائق اصولهم
ولوازمها ما لا يعرفه من وافقهم على اصل المقالة ولم يعرف حقيقتها ولوازمها
فلهذا وجد كثير من الناس يتناقض كلامه في هذا الباب فان نصوص الكتاب والسنة
واثار السلف متظاهرة بالاثبات وليس على النفي دليل واحد لا من الكتاب
ولا من السنة ولا اثر وانما اصله قول الجهمية فلما جاء ابن كلاب فرق ووافقه
من الناس كثير على ذلك فصار كثير من الناس يقر بما جاء عن السلف وما
دل عليه الكتاب والسنة وبما يقوله النفاة مما يناقض ذلك [illegible] للتناقض
والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ولهذا يحصل الجواب عما احتج به من قال
ان ثلث الليل يختلف باختلاف البلاد وهذا قد احتج به طائفة وجعلوا
هذا دليلا على ما يتأولون عليه حديث النزول وهذا الذي ذكروه انما يصح
اذا جعل نزوله من جنس نزول اجسام الناس من السطح الى الارض وهو يشبه
قول من قال يخلو منه العرش بحيث يصير بعض المخلوقات فوقه وبعضها
تحته فاذا قدر النزول هكذا كان ممتنعا لما ذكروه من انه لا يزال تحت العرش

في

في غالب الاوقات او جميعها فان بين طرفي العمارة نحو ليلة فانه يقال بين ابتداء
العمارة من المشرق وانتهائها من المغرب مقدار مائة وثمانين درجة فلكية
وكل خمس عشرة درجة فهي ساعة معتدلة والساعة المعتدلة هي ساعة من
اثني عشر ساعة بالليل والنهار اذا كان الليل والنهار متساويين كما يتساويان
في اول الربيع الذي تسميه العرب الصيف واول الخريف الذي تسميه الربيع
بخلاف ما اذا كان احدهما اطول من الاخر وكل واحد اثني عشر ساعة فهذه
الساعات مختلفة في الطول والقصر فتغرب الشمس عن اهل المشرق قبل غروبها
عن اهل المغرب كما تطلع على هؤلاء قبل هؤلاء بنحو اثني عشر ساعة او اكثر
فان الشمس على اي موضع كانت مرتفعة على الارض الارتفاع التام كما يكون
نصف النهار فانها تضيء على ما امامها وخلفها من المشرق والمغرب تسعين درجة
شرقية وتسعين غربية والمجموع مقدار حركتها اثني عشر ساعة ست شرقية
وست غربية وهو النهار المعتدل ولا يزال لها هذا النهار لكن يخفى ضوءها
بسبب علوها الى جانب الشمال فان المعمور من الارض هو الناحية الشمالية من
الارض التي هي شمالي خط الاستواء المحاذي لدائرة معدل النهار التي نسبتها
الى القطبين الشمالي والجنوبي نسبة واحدة ولهذا يقال في حركة الفلك
انها على ذلك المكان دولابية مثل الدولاب وانها عند القطبين رحاوية
تشبه حركة الرحا وانها في المعمور من الارض حمائلية تشبه حمائل السيف
والمعمور المسكون من الارض يقال انه بضع وستون درجة اكثر من السدس
بقليل والكلام على هذا بسطه موضع اخر ذكرنا فيه دلالة الكتاب والسنة
واقوال الصحابة والتابعين وسائر من تبعهم من علماء المسلمين على ان الفلك
مستدير وقد ذكر اجماع علماء المسلمين على ذلك غير واحد منهم الامام ابو الحسين
ابن المنادي الذي له نحو اربعمائة مصنف وهو من الطبقة الثانية من اصحاب
احمد وابو محمد ابن حزم وابو الفرج ابن الجوزي وغيرهم
والمقصود هنا ان الشمس اذا طلعت على اول البلاد الشرقية فانه حينئذ يكون اما وقت

غروبها واما قريبا من وقت غروبها على اخر البلاد الغربية فانه تكون بحيث يكون
الضوء امامها تسعين درجة وخلفها تسعين درجة فهذا منتهى نورها فاذا
طلعت عليهم بينها وبينهم تسعون درجة وكذلك كل بلد تطلع عليه والحاسب يفرق
بين الدرجات كما يفرق بين الساعات فان الساعات المختلفة الزمانية لكل واحدة
منها خمس عشرة درجة بحسب ذلك الزمان فيكون بينها وبين مكان تسعون
درجة غربية غابت كما تطلع اذا كان بينها وبينهم تسعون درجة شرقية واذا
توسطت عليهم وهو وقت استوائها قبل ان تتحرك وتزيغ فيدخل وقت
الظهر كان لها تسعون درجة شرقية وتسعون درجة غربية واذا كان كذلك
والنزول المذكور عليه في الحديث النبوي على قائله افضل
الصلاة والسلام الذي اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم واتفق علماء الحديث
على صحته هو اذا بقي ثلث الليل الاخر واما رواية النصف والثلثين فانفرد
بها مسلم في بعض طرقه وقد قال الترمذي ان اصح الروايات عن ابي هريرة اذا
بقي ثلث الليل الاخر وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية جماعة كثيرة
من الصحابة كما ذكرنا قبل هذا فهو حديث متواتر عند اهل العلم بالحديث والذي
لا شك فيه اذا بقي ثلث الليل الاخر فان كان النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكر النزول
ايضا اذا مضى ثلث الليل الاول واذا انتصف الليل فقوله حق وهو الصادق
المصدوق ويكون النزول انواعا ثلاثة الاول اذا مضى ثلث الليل الاول ثم
اذا انتصف وهو ابلغ ثم اذا بقي ثلث الليل وهو ابلغ الانواع الثلاثة ...
ولفظ الليل والنهار في كلام الشارع اذا اطلق فالنهار من طلوع الفجر كما في قوله
سبحانه اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل وكما في قوله صلى الله عليه وسلم صم
يوما وافطر يوما وصفة قوله كالذي يصوم النهار ويقوم الليل ونحو ذلك
فانما اراد صوم النهار من طلوع الفجر فذلك وقت صلاة الفجر واول وقت الصيام
بالنقل المتواتر المعلوم للخاصة والعامة والاجماع الذي لا ريب فيه بين الامة

وفي نحو المغرب يكون في الافق تسعين درجة في حدود المغرب اذا كانت في نصف السماء صح

وكذلك

وكذلك في مثل قوله صلى الله عليه وسلم صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح
فاوتر بركعة ولهذا قال العلماء كالامام احمد ابن حنبل وغيره ان صلاة الفجر من
صلاة النهار واما اذا قال الشارع صلى الله عليه وسلم نصف النهار فانما يعني به النهار
المبتدى من طلوع الشمس لا يريد قط في كلامه ولا في كلام احد من علماء المسلمين
بنصف النهار النهار الذي اوله مطلع الفجر فان نصف هذا يكون قبل الزوال
ولهذا غلط بعض متاخري الفقهاء لما رأى في كلام العلماء ان الصائم المتطوع يجوز
له ان ينوي التطوع قبل نصف النهار وهل يجوز له بعده على قولين هما روايتان
عن احمد ظن ان المراد بالنهار هنا نهار الصوم الذي اوله طلوع الفجر وسبب
غلطه في ذلك انه لم يفرق بين مسمى النهار اذا اطلق وبين مسمى نصف النهار فالنهار
الذي يضاف اليه نصفه في كلام الشارع وعلماء امته هو من طلوع الشمس والمطلق
في وقت الصلاة والصيام من طلوع الفجر والنبي صلى الله عليه وسلم لما اخبر بالنزول اذا
بقي ثلث الليل فهذا الذي المضاف اليه الثلث نظير مسمى النهار المضاف
اليه النصف هو الذي ينتهي الى طلوع الشمس ولذلك لما قال النبي صلى الله عليه وسلم
وقت العشاء الى نصف الليل او الى ثلث الليل فهو هذا الليل وكذلك الفقهاء
اذا اطلقوا ثلث الليل ونصفه فهو كاطلاقهم نصف النهار وهكذا اهل الحساب
لا يعرفون غير هذا وقد يقال بل هو الليل المنتهي بطلوع الفجر كما في الحديث
الصحيح افضل القيام قيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه
واليوم المعتاد المشروع الى طلوع الشمس بل الى طلوع الفجر فان كان المراد بالحديث
هنا ﻫ وحينئذ فاذا قدر ثلث الليل من اول المشرق فيكون قبل طلوع الشمس
عليهم باربع ساعات وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا الى سماء الدنيا حين
يبقى ثلث الليل الاخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من
يستغفرني فاغفر له حتى يطلع الفجر فقد اخبر بدوامه الى طلوع الفجر وفي
رواية الى ان ينصرف القاري من صلاة الفجر وقد قال تعالى وقران الفجر ان قران
الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل والنهار وقد قيل تشهده الله وملائكته

واذا كان هذا النزول يدوم نحو سدس الزمان عند اولئك فهكذا هو عند كل
قوم اذا مضى ثلث ليلهم يدوم عند سدس الزمان او ثلثه فهو اكثر دواما
من ذلك وان اريد الليل المنتهي بطلوع الشمس كان وقت النزول اقل من ذلك
فيكون قريبا من ثمن الزمان وتسعه وعلى رواية النصف والثلث يكون قريبا
من سدسه وربعه واكثر من ذلك ومعلوم ان مع ذلك ثلث ليل البلد المشرقي
قبل ثلث ليل البلد الغربي كما قد عرف والعمارة طولها اثنى عشر ساعة مائة
وثمانون درجة فلو قدر ان لكل مقدار ساعة وهو خمسة عشر درجة من
المعمور ثلثا عشر ثلث ثلث مقدار الساعة لكان المعمور ستة وثلاثين
ثلثا والنزول يدوم في كل ثلث مقدار سدس الزمان فيلزم ان يكون النزول
يدوم ليلا ونهارا انه يدوم بقدر الليل والنهار ست مرات اذا قدر ان لكل طول
ساعة من المعمور ثلثا فليس النزول الالهي الى السماء الدنيا لدعاء عباده الساكنين
في الارض فكل اهل بلد من البلاد يبقى نزوله ودعاؤه لهم هل من سائل هل من
داع هل من مستغفر سدس الزمان والبلاد من المشرق والمغرب كثيرة والاسلام
ولله الحمد قد انتشر من المشرق الى المغرب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح زويت لي الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي
منها فانما ذكرنا هذا لانه قد يقال ان هذا النزول والدعا انما هو لعباده المؤمنين
الذين يعبدونه ويسالونه ويستغفرونه كما ان تدليه عشية عرفة انما هو لعباده
المؤمنين الذين يحجون اليه وكما ان رمضان اذا دخل فتحت ابواب الجنة لعباده
المؤمنين الذين يصومون رمضان وعنهم تغلق ابواب النار وتصفد شيا
طينهم واما الكفار الذين يستحلون افطار شهر رمضان ولا يرون له حرمة
وحرمة فلا تفتح لهم فتح ابواب الجنة ولا تغلق عنهم فتح ابواب النار ولا تصفد
شياطينهم وليس المقصود هنا بسط هذا المعنى بل المقصود ان كان خاص
بالمؤمنين فهو ولله الحمد من اقصى المشرق الى اقصى المغرب وان كان عاما الزمان
فهو ابلغ فعلى كل تقدير لا بد ان يدوم النزول الالهي على كل اهل بلد مقدار سدس

اواكثر

او اكثر فانه اذا قيل ليل صيفهم قصير قيل وليل شتاهم طويل فيعادل هذا هذا
وما نقص من ليل صيفهم زيد في ليل شتاهم ولهذا جاء في الاثر الشتاء ربيع المؤمن
يصوم نهاره ويقوم ليله واذا كان كذلك فلو كان النزول كما يتخيله بعض الجهال
من انه يصير تحت السموات وفوق السماء الدنيا وتحت العرش مقدار ثلث الليل
على كل بلد ثم تبين اللازم انه لا يزال تحت العرش وتحت السموات فقط فان هذا
انما يكون وحده هو اللازم اذا كان كل سدس من المعمور لهم كلهم ثلث واحد فكان
بالمجموع ستة فان قدر بقاؤه على هؤلاء مقدار ثلث ثم على هؤلاء الاخرين
مقدار ثلث لزم ان لا يزال تحت العرش او تحت السموات وحينئذ يتخيل الجاهل
ان الله محصور فيه فلا يكون قط فوق العرش واما اذا كان لكل بلد ثلث غير
الثلث وان اول كل بلد بعد الثلث الاخر بقدر ما بينهما وكذلك اخر ثلث ليل البلد
الشرقي ينقضي قبل انقضاء ثلث ليل البلد الغربي وايضا وان كانت متداخلة
فلا بد ان يدوم النزول على كل بلد ثلث ليلهم الى طلوع فجرهم فيلزم من ذلك
ان يتعدد الثلثات بقدر عدد البلاد وايضا فكما ان ثلث الليل يختلف بطول الليل
فهو يختلف بعرضها ايضا فكلما كان البلاد داخلا في الشمال كان ليله في الشتاء اطول
وفي الصيف اقصر وما كان قريبا من خط الاستوى يكون ليله في الشتاء اقصر
من ليل ذاك وليله في الصيف اطول من ليل ذاك فيكون لهم ليلهم ونهارهم
اقرب الى التساوي وحينئذ فالنزول الالهي لكل قوم مقدار ثلث ليلهم
فيختلف مقداره بمقادير الليل ايضا في الشمال والجنوب كما اختلف في المشرق
والمغرب وايضا فانه اذا صار ثلث الليل عند قوم فبعده بلحظة ثلث الليل
عند ما يقاربهم من البلاد فيحصل النزول الالهي الذي اخبر به الصادق
المصدوق ايضا عند اولئك اذا بقي ثلث ليلهم وهكذا الى اخر العمارة
فلو كان كما توهم الجاهل من انه يكون تحت العرش ويكون فوقه السماء و
تحت السماء لكان هذا ممتنعا من وجوه كثيرة منها انه لا يكون فوق العرش
قط بل لا يزال تحت ومنها انه يجب على هذا التقدير ان يكون الزمان بقدر

بقدر ما هو مرات كثيرة حيا لم يقع لذلك **ومنها** انه مع دوام نزوله الى سماء هؤلاء
الى طلوع فجرهم ان امكن مع ذلك ان يكون قد نزل على غيرهم ان امكن مع ذلك ان يكون
قد نزل على غيرهم ايضا ممن ثلث ليلهم يخالف ثلث هؤلاء في التقديم والتاخير
والطول والقصر فهذا اختلاف ما تخيلوه فانهم لا يمكنهم ان يتخيلوا نازلا كنزول
العباد من يكون نازلا على سماء هؤلاء ثلث ليلهم وهو ايضا في تلك الساعة
نازل على سماء اخرين مع انه يجب ان يتقدم على اوليك او يتاخر عنهم او يزيد
او ينقص وحكى عن بعض الجهال انه قيل له فالسموات كيف حالها عند نزوله
قال يرفعها ثم يضعها وهو قادر على ذلك فهؤلاء الذين ما وصف رسول الله
صلى الله عليه وسلم ربه به انه مثل صفات اجسامهم كلهم ضالون ثم يصيرون قسمين
قسم علموا ان ذلك باطل وظنوا ان هذا ظاهر النص ومدلوله وانه لا يفهم
منه معنى الا ذلك فصاروا اما ان يتأولوه تاويلا يحرفون به الكلم عن مواضعه
واما ان يقولوا لا نفهم منه شيء ويزعمون ان هذا مذهب السلف ويقولون
قوله وما يعلم تاويله الا الله هو يدل على ان معنى المتشابه لا يعلمه الا الله
والحديث منه متشابه كما في القران وهذا من متشابه الحديث فيلزم ان يكون
الرسول الذي تكلم بحديث النزول لم يدر هو ما قال ولا ما عنى من كلامه
وهو المتكلم به ابتدا فهل يجوز لعاقل ان ينطق هذا باحد من بني ادم فضلا عن
الانبيا فضلا عن افضل الاولين والاخرين واعلم الخلق وافصح الخلق وانصح الخلق
للخلق صلى الله عليه وسلم وهم مع ذلك يدعون انهم من اهل السنة وان هذا النزول
الذي وصفه الرسول وامته هو قول اهل السنة ولا ريب انهم لم يتصوروا حقيقة
ما قالوه ولوازمه ولو تصوروا ذلك لعلموا انه يلزمهم ما هو اقبح اقوال الكفار
في الانبيا وهم لا يرتضون مقالة من ينتقص # رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تنقصه
احد لاستحلوا قتله وهم مصيبون في استحلال قتل من يقدح في الانبيا عليهم السلام
وقولهم يتضمن القدح لكن لم يعرفوا ذلك ولازم القول ليس بقول فانهم لو عرفوا
ان هذا يلزمهم ما التزموه **وقسم ثان** من المتكلمين سر بحلقه عارا وان قول

مطلب

هؤلا

هؤلاء منكر وان قول الرسول صلى الله عليه وسلم حق فقالوا مثل تلك الجهالات من انه يصير
فوقه سماء وتحته سماء او ان السموات ترتفع ثم تعود ونحو ذلك مما يظهر بطلانه
لمن له ادنى عقل ولب وقد ثبت في الصحيح انه ينزل وفي لفظ ينزل كل ليلة الى السماء
الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر وفي حديث اخر اقرب ما يكون العبد من رب في جوف
الليل الاخر وفي صحيح مسلم ان الله ينزل الى السماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل وفي صحيح
مسلم اذا مضى شطر الليل او ثلثاه ينزل الله الى سماء الدنيا فما ذكر من تقدم اختلاف
الليل يبطل قول من يظن انه يخلو منه العرش ويصير تحت السماء واما النزول
الذي لا يكون من جنس نزول اجسام العباد فهذا لا يمتنع ان يكون في وقت واحد لخلق
كثير ويكون قدره لبعض الناس اكثر واقل لا بل لا يمتنع ان يقرب الى خلق من عباده
دون بعض فيقرب الى هذا الذي دعاه دون هذا الذي لم يدعه وجميع ما وصف به الرب
عز وجل نفسه من القرب فليس فيه ما هو عام لجميع المخلوقات كما في المعية فان
وصف نفسه فيها بعموم وخصوص واما قربه مما يقرب منه فهو خاص لمن يقرب
منه كالداعي والعابد كقربه عشية عرفة ودنوه الى السماء الدنيا لاجل
الحجاج وان كانت تلك العشية بعرفة قد تكون وسط النهار في بعض البلاد
وتكون ليلا في بعض البلاد فان تلك البلاد لم يدن اليها ولا الى سمائها وانما دنى
الى السماء الدنيا التي على الحجاج وكذلك نزوله بالليل وهذا كما ان حسابه لعباده
يوم القيمة يحاسبهم كلهم في ساعة واحدة وكل منهم يخلو به كما يخلو الرجل بالقمر
ليلة البدر فيقرره بذنوبه وذلك المحاسب لا يرى انه يحاسب غيره كذلك قال
ابو رزين للنبي صلى الله عليه وسلم لما قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من احد الا سيخلو
به ربه كما يخلو احدكم بالقمر ليلة البدر قال يا رسول الله كيف ونحن جميع
وهو واحد فقال سانبئك بمثل ذلك في الاء الله هذا القمر كلكم يراه مخليا به فالله
اكبر وقال رجل لابن عباس كيف يحاسب الله العباد في ساعة واحدة قال كما يرزقهم
في ساعة واحدة وكذلك كما ثبت في صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال يقول الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين فنصفها لي ونصفها لعبدي

ولعبدي ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي
فاذا قال العبد الرحمن الرحيم قال الله اثنى علي عبدي فاذا قال العبد مالك يوم
الدين قال الله مجدني عبدي فاذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين قال
الله هذه الاية بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فاذا قال اهدنا
الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
قال الله هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل فهذا يقوله سبحانه وتعالى لكل مصل
قرا الفاتحة من لا يحصي عدده الا الله وكل واحد منهم يقول الله له كما يقول لهذا
كما يحاسبهم كذلك فيقول لكل واحد منهم ما يقوله من القول في ساعة وكذلك يسمع
لكل منهم يسمع كلامهم كله مع اختلاف لغاتهم وتفنن حاجاتهم يسمع دعا
ءهم سمع اجابة ويسمع كلما يقولونه سمع علم واحاطة لا يشغله سمع عن سمع
ولا تغلطه المسائل ولا يتبرم بالحاح الملحين فانه سبحانه هو الذي يخلق هذا كله
وهو الذي يرزق هذا كله وهو الذي يوصل الغذا الى كل جزء من البدن على
مقداره وصفته المناسبة له وكذلك من الذرع وكرسيه وسع السموات والا
رض ولا يؤده حفظهما فاذا كان لا يؤده خلقه ورزقه على هذه التفاصيل
فكيف يؤده العلم بذلك او سمع كلامهم او رؤية افعالهم واجابة دعائهم سبحانه
وتعالى علوا كبيرا وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة
والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون وقد ثبت في الصحيحة
من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقبض الله الارض ويطوي
السموات بيمينه فيقول انا الملك اين ملوك الارض وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما
ابلغ من ذلك والسياق لمسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يطوي الله السموات
يوم القيمة ثم ياخذهن بيده اليمنى ثم يطوي الارضين بشماله ثم يقول انا الملك
اين الجبارون اين المتكبرون رواه عن ابي بكر ابن ابي شيبة ورواه عثمان ابن ابي
شيبة قال يطوي الله السموات يوم القيمة ثم ياخذهن بيده اليمنى ويطوي الارضين
بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون وفي حديث عبد الله بن مقسم عن

عبدالله

عبد الله ابن عمر قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وهو يقول ياخذ الجبار سماواته
وارضيه وقبض بيده ويقبضها ويبسطها ويقول انا الرحمن انا الملك انا القدوس
انا السلام انا المؤمن انا المهيمن انا العزيز انا الجبار انا المتكبر انا الذي بدات الدنيا
ولم تك شيا انا الذي اعيدها اين الجبارون اين المتكبرون وتميل رسول الله صلى الله
عليه وسلم على يمينه وشماله حتى نظرت الى المنبر يتحرك من اسفل شي منه حتى
اني اقول اساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم ام لا رواه ابن منده وابن خزيمة
وعثمان ابن سعيد الدارمي وسعيد ابن منصور وغيرهم من ائمة الحفاظ والنقاد
الجهابذة فاذا كان سبحانه يطوي السموات بيمينه وهذا قدرها عنده كما قال
ابن عباس رضي الله عنهما ما السموات السبع والارضين السبع وما بينهن في يد
الرحمن الا كخردلة في يد احدكم وهو سبحانه بين لنا من عظمته كما قال عبد العزيز
ابن الماجشون والله ما دلهم على عظيم قدرته وما تحيط به قبضته الا صغر
نظيرها منهم عندهم ان ذلك الذي القي في روعهم وخلق على معرفة قلوبهم
وقد قال تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار **قال** ابن ابي حاتم في
تفسيره ثنا ابو زرعة ثنا منجاب ابن الحارث ثنا بشر ابن عمارة عن ابي روق عن
عطية العوفي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله سبحانه وتعالى
لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قال لو ان الجن والانس والشياطين
والملائكة منذ خلقوا الى يوم فنائهم صفا صفا واحدا ما احاطوا بالله ابدا
فمن هذه عظمته كيف يحصره مخلوق من المخلوقات سماء او غيرها حتى يقال
انه اذا نزل الى السماء الدنيا صار العرش فوقه ويصير شيء من المخلوقات يحصره
ويحيط به سبحانه وتعالى **فان قال** القائل هو قادر على ما يشاء قيل فقل هو
قادر على انه ينزل سبحانه وتعالى وهو فوق عرشه واذا استدللت بمطلق القدرة
والعظمة من غير عينيه فما كان ابلغ في القدرة والعظمة فهو اولى بان يوصف
مما ليس كذلك فان من توهم العظيم الذي لا اعظم منه يقدر ان يصغر حتى يحيط
به مخلوقه الصغير وجعل هذا من باب القدرة والعظمة فقوله ان ينزل مع

بقاء عظمته وعلوه على العرش ابلغ في القدرة والعظمة وهو الذي فيه موافقة
الشرع والعقل وهذا كما يقوله طائفة منهم ابو طالب المكي قال ان شاء وسع
كل شيء وان شاء لم يسع شيئا وان اراد عرفه كل شيء وان لم يرد لم يعرف شيئا
ان احب وجد عند كل شيء وان لم يحب لم يوجد عند شيء وقد جاوز الحد والمقدار
وسبق القبل والاقدار ذو اصفات لا تحصى وقدر لا تتناهى ليس محبوسا في صورة
ولا موصوفا بصفة ولا محكوما عليه بكلم ولا يتجلى بوصف مرتين ولا يظهر في
صورة لاثنين ولا يرد منه بمعنى واحد كلمتين بل الكل يتجلى منه صورة ولكل عبد
عند ظهوره صفة وعند كل نظرة كلام وبكل كلمة افهام ولا نهاية لتجليه ولا
غاية لاوصافه **قلت** ابو طالب رحمه الله هو واصحابه السالمية اتباع الشيخ
ابي الحسن ابن سالم صاحب سهل ابن عبد الله التستري لهم من المعرفة والعبادة
والزهد واتباع السنة والجماعة في عامة المسائل المشهورة لاهل السنة ما هم
معروفون به وهم منتسبون الى امامين عظيمين في السنة الامام احمد ابن حنبل
وسهل ابن عبد الله التستري ومنهم من يتفقه على مذهب مالك ابن انس
الشيخ ابي عبد الله محمد ابن عبيد وغيرهم فمنهم من هو على مذهب الشافعي فالذين
ينتسبون اليهم ويعظمونهم ويقصدون متابعتهم ائمة هدى رضوان الله عليهم
اجمعين وهم في ذلك كامثالهم من اهل السنة والجماعة وقل طائفة من المتاخرين
الا وقع في كلامهم نوع غلط لكثرة ما وقع من شبه اهل البدع ولهذا يوجد في
كثير من المصنفات في اصول الفقه واصول الدين والفقه والزهد والتفسير و
الحديث من يذكر في الاصل العظيم عنده اقوالا ويحكي في مقالات الناس الوانا و
القول الذي بعث الله به رسوله لا يذكره لعدم علمه به لا لكراهته ما علمه الرسول
وهؤلاء وقع في كلامهم اشياء انكروا بعض ما وقع في كلام ابي طالب في الصفات
من نحو الحلول وغيره انكرها عليه ائمة العلم والدين ونسبوهم الى الحلول من اجلها
ولهذا تكلم ابو القاسم ابن عساكر في ابي علي الاهوازي لما صنف هذا مثالب ابي الحسن
الاشعري وهذا مناقبه وكان ابو علي الاهوازي من ائمة السالمية فنسبه طائفة

الى الحلول

الى
الحلول والقاضي ابي يعلى له كتاب صنفه في الرد على السالمية وهم فيما يتنازعهم
المتنازعون فيه كالقاضي ابي يعلى وغيره وكاصحاب الاشعري وغيرهم من ينازعهم
من جنس تنازع الناس تارة يرد عليهم حقا وباطلا وتارة يرد حقا من حقهم
وتارة يرد باطلا بباطل وتارة يرد باطلا بحق وكذلك ذكر الخطيب البغدادي
في تاريخه ان جماعة من العلماء انكروا بعض ما وقع في كلام ابي طالب في الصفات
وما وقع في كلام ابي طالب من الحلول سرى بعضه الى غيره من الشيوخ الذين
اخذوا عنه كابي الحكم ابن برجان ونحوه واما ابو اسمعيل الانصاري صاحب
منازل السائرين فليس في كلامه شيء من الحلول العام لكن في كلامه شيء
من الحلول الخاص في حق العبد العارف الواصل الى ما سماه هو مقام التوحيد
وقد باح منه بما لم يبح به ابو طالب لكن كنى عنه واما الحلول العام ففي كلام ابي طالب
قطعة كبيرة منه مع تبريه من لفظ الحلول فانه ذكر كلاما كثيرا حسنا في التوحيد
كقوله عالم لا يجهل قادر لا يعجز حي لا يموت قيوم لا يغفل حليم لا يسفه سميع
بصير ملك لا يزال ملكه قديم بغير وقت اخر بغير حد كائن لم يزل **الى ان قال**
وانه امام كل شيء وراء كل شيء وفوق كل شيء ومع كل شيء واقرب الى كل شيء من
نفس ذلك وانه مع ذلك غير محل للاشيا وان الاشيا ليست محلا له وانه على العرش
استوى كيف شاء بلا تكييف ولا تشبيه وانه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير
وبكل شيء محيط وذكر كلاما اخر يتعلق بالمخلوقات واحاطة بعضها ببعض
بحسب ما راه **ثم قال** والله جل جلاله وعظم شانه هو ذات منفردة بنفسه متوحد
باوصافه باين من جميع خلقه لا يحل الاجسام ولا تحله الاعراض ليس في ذاته
سواه ولا في سواه من ذاته شيء ليس في الخلق الا الخلق ولا في الذات الا الخالق
قلت وهذا ينفي الحلول كما نفاه اولا ثم قال في فصل شهادة التوحيد وو
صف توحيد الموقنين فشهادة الموقن يقينه ان الله هو الاول من كل شيء واقرب
كل شيء وهو المعطي المانع الهادي المضل لا معطي ولا مانع ولا ضار ولا نافع
الا الله كما لا اله الا الله ويشهد قرب الله منه ونظره اليه وقدرته عليه وحيطته به

الى ان قال
ثم قال

فيسبق نظره وهمه الى الله قبل كل شيء ويذكره في كل شيء ويخلو قلبه له من كل شيء
ويرجع اليه بكل شيء ويساله دون كل شيء ويعلم ان الله اقرب الى القلب من وريده
واقرب الى الروح من حياته واقرب الى البصر من نظره واقرب الى اللسان من
ريقه بقرب هو وصفه لا يتقرب ولا يقرب وانه تعالى على العرش في ذلك كله
وانه رفيع الدرجات من الثرى كما هو رفيع الدرجات من العرش وان قربه من الثرى
ومن كل شيء كقربه من العرش وان العرش غير ملاصق له بحس ولا ممكن ولا مفكر
بوجس ولا ناظر اليه بعين ولا محيط به مدرك ولا يحاط به فيدرك لانه تعالى محتجب
بقدرته عن جميع بريته ولا نصيب للعرش منه الا كنصيب موقن عالم به واجد له
اوجده الله منه من ان الله عليه وان العرش مطمئن به وان الله محيط بعرشه فوق كل شيء
وفوق تحت كل شيء فهو فوق الفوق وفوق التحت لا يحد بتحت فيكون له فوق لانه
العلي الاعلى اين كان لا يخلو من علمه وقدرته مكان ولا يحد بمكان ولا يفقد من مكان ولا
يوجد بمكان فالتحت للاسفل والفوق للاعلى وهو سبحانه فوق كل فوق في العلو وفوق
كل تحت في السمو هو فوق ملائكة الثرى كما هو فوق ملائكة العرش والاماكن المحلمات
ومكانه مشيئته وقدرته ووجوده والعرش والثرى فما بينهما هو حد الخلق
الاسفل والاعلى بمنزلة خردلة في قبضته وهو اعلى من ذلك محيط بجميع ذلك
بما لا يدركه العقل ولا يكيفه الوهم ولا نهاية لعلوه ولا فوق لسموه ولا بعد
في دنوه وان الله لا يحجبه شيء عن شيء ولا يبعد عليه شيء قريب من كل شيء بوصفه
وهو القدير والدرك والاشياء بعيدة باوصافها وهو البعيد المحتجب فالبعد والا
بعاد حكم مشيئته والحدود والاقطار حجب بريته الى ان قال وهو الله في
السموات وفي الارض ثم استوى على العرش وهو معكم اينما كنتم غير متصل بالخلق
ولا مفارق وغير مماس للكون ولا متباعد بل منفرد بنفسه متوحد بوصفه
لا يزدوج الى شيء ولا يقترن به شيء اقرب من كل شيء بقرب هو وصفه وهو محيط
بكل شيء محيط هو نعته وهو مع كل شيء وفوق كل شيء وامام كل شيء ووراء كل شيء
بعلوه ودنوه وهو قريب فهو وراء الحول الذي هو وراء حملة العرش وهو اقرب من

حبل الوريد

حبل الوريد الذي هو الروح ومع ذلك فوق كل شيء ومحيط بكل شيء وليس يحيط به
شيء وليس هو تعالى في هذا مكانا للشيء ولا مكانا له شيء وليس كمثله شيء هذا شيء لا
شريك له في ملكه ولا معين له في خلقه ولا نظير له في عبادة ولا شبيه له في ايجاده
وهو اول في اخريته باوليته هي صفته واخر باوليته في اخريته هي نعته وباطن في
ظهوره بباطنيته هي قربه وظاهر في باطنيته بظهوره هو علوه لم يزل كذلك اولا
ولا يزال كذلك اخرا الى ان قال هو على عرشه باخباره لنفسه فالعرش حد خلقه الاعلى
وهو غير محدود بعرشه والعرش محتاج الى مكان والرب عز وجل غير محتاج اليه
كما قال تعالى الرحمن على العرش استوى الرحمن اسم والاستوى نعته متصل بذاته
والعرش خلقه منفصل عن صفاته ليس بمضطر الى مكان يسعه ولا حامل يحمله
الى ان قال وهو لا يسعه غير مشيئته ولا يظهر الا في انوار صفته ولا يوجد الا في سعة
البسط فاذا قبض اخفى ما ابدى واذا بسط اعاد ما اخفى وكذلك جعله في كل شيء
كون وفعله بكل شيء مكان مما جل فظهر ومما دق فاستتر لا يسعه غير مشيئته بقربه
ولا يعرف الا بشهوده ولا يرى الا بنوره هذا للاولياء اليوم بالغيبة في القلوب
ولهم في ذلك اليوم عند المشاهدة بالابصار ولا يعرف الا بمشيئته ان شاء وسعه ادنى
شيء وان لم يشاء لم يسعه كل شيء ان احب وجد عند كل شيء وان لم يحب لم يوجد بشيء
وذكر تمام الكلام كما حكيناه من قبل قلت وهذا الذي ذكره من قربه والطافه
وانه لا يتجلى بوصف مرتين ولا يظهر في صورة لاثنين هو حكم ما يظهر لبعض
السالكين من قربه الى قلوبهم وتجليه لقلوبهم لا ان هذا هو وصفه في نفس الامر
وانه كما تحصل هذه التجليات تحصل يوم القيمة للعيون وهذا الموضع مما
يقع الغلط فيه لكثير من السالكين يشهدون اشياء بقلوبهم فيظنونها انها موجودة
في الخارج هكذا حتى ان فيهم خلقا منهم من المتقدمين والمتاخرين يظنون انهم
يرون الله بعيونهم لما يغلب على قلوبهم من المعرفة والذكر والمحبة يغيب بشهوده
فيها غيبة تحصل لقلوبهم ويحصل لهم فناء واصطلام فيظنون ان هذا الذي يشهدونه
بعيونهم ولا يكون ذلك الا في القلب ولهذا ظن كثير منهم انه يرى الله بعينه في الدنيا

وهذا مما وقع لجماعة من المتقدمين والمتاخرين وهو غلط محض حتى اوقع
ما يدعيه هؤلاء شكا عند اهل النظر والكلام الذين يجوزون رؤية الله في الجملة
وليس لهم من المعرفة بالسنة ما يعرفون به هل يقع في الدنيا او لا يقع فمنهم من يتكلم في
وقوعها في الدنيا قولين ومنهم من يقول بجواز ذلك وهذا كله ضلال فان ائمة السنة
والجماعة متفقون على ان الله لا يراه احد بعينه في الدنيا ولم يتنازعوا الا في نبينا
صلى الله عليه وسلم وقد ورد في رؤيته لنا في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من عدة اوجه
منها ما رواه مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما ذكر الدجال قال واعلموا
ان احدا منكم لن يرى ربه حتى يموت وموسى ابن عمران قد سال الرؤية فذكر الله سبحانه
وتعالى قوله لن تراني وما اصاب من الصعق وهؤلاء منهم من يقول ان موسى راه
وان الجبل كان حجابه فلما جعل الجبل دكا راه وهذا يوجد في كلام ابي طالب
ونحوه ومنهم من جعل الرائي هو المرئي فما راه عندهم موسى بل راى نفسه بنفسه
وهذا يدعونه لانفسهم والاتحاد والحلول باطل وعلى قول من يقول به انما هذا
في الباطن والقلب لا في الظاهر فان غاية ذلك ما تقوله النصارى في المسيح ولم
يقولوا ان احدا راى اللاهوت الباطن المتدرع بالناسوت وهذا الغلط يقع كثيرا
في السالكين يقع لهم اشياء في بواطنهم فيظنونها في الخارج وهم في ذلك بمنزلة
الغالطين من نظار المتفلسفة ونحوهم حيث يتصورون اشياء بعقولهم
كالكليات والمجردات ونحو ذلك فيظنونها ثابتة في الخارج وانما هي في نفوسهم
ولهذا يقول ابو القاسم السهيلي وغيره نعوذ بالله من قياس فلسفي وخيال صوفي
ولهذا يوجد التناقض الكثير في كلام هؤلاء الذين جمعوا الاراء والفلسفة
الفاسدة والخيالات الصوفية الفاسدة كابن عربي وامثاله فهم من اضل اهل
الارض ولهذا كان الجنيد رضي الله عنه سيد الطائفة امام هدى فكان قد عرف
ما يعرض[2] للسالكين فلما سئل عن التوحيد قال التوحيد افراد الحدوث[3] عن
القدم فبين انه يميز المحدث عن القديم تحذيرا من الحلول والاتحاد فجاءت
الملاحدة كابن عربي ونحوه انكروا هذا الكلام على الجنيد لانه يبطل مذهبهم الفاسد

٢ بعضهم

٣ الحدوث

والجنيد

والجنيد وامثاله ائمة هدى ومن خالفه في ذلك فمن اهل الضلال وكذلك غير
الجنيد من الشيوخ تكلموا فيما يعرض للسالكين وفيما يرونه في قلوبهم من الا
نوار وغير ذلك وحذروهم ان يظنوا ان ذلك هو ذات الله تعالى وقد خطب عروة
ابن الزبير من عبد الله ابن عمر ابنته وهو في الطواف فقال اتحدثني في النساء ونحن
نتراءى الله في طوافنا فهذا كله وما اشبهه لم يريدوا به ان القلب يرفع جميع
الحجب التي بينه وبين الله حتى تكافح الروح ذات الله كما يرى نفسه فان هذا لا يمكن
لاحد في الدنيا ومن يجوز ذلك انما يجوزه للنبي صلى الله عليه وسلم كقول ابن عباس راى
محمد ربه بفؤاده مرتين ولكن هذا التجلي يحصل بوسائط بحسب ايمان العبد ومعرفته
وحبه ولهذا تتنوع احوال الناس في ذلك كما تتنوع رؤيتهم له في المنام فراه كل انسان
بحسب ايمانه ويرى في صورة متنوعة فهذا الذي قاله ابو طالب هو اذا قيل مثله
فيما يحصل في القلوب كان مقاربا مع ان في بعض ذلك نظرا واما ان يقال ان الرب
تعالى في نفسه[2] كذلك فليس الامر كذلك اما قوله اقرب الى الروح من حياته واقرب
الى البصر من نظره والى اللسان من ريقه يقرب هو وصفه وقوله اقرب من حبل
الوريد فهذا ليس في كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قاله احد من السلف
لا من الصحابة ولا من التابعين لهم باحسان ولا الائمة الاربعة وامثالهم من ائمة
المسلمين ولا الشيوخ المقتدى بهم من شيوخ المعرفة والتصوف وليس في القران
وصف الرب تعالى بالقرب من كل شيء اصلا بل قربه الذي في القران خاص لا عام كقوله
تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فهو سبحانه قريب
ممن دعاه وكذلك ما في الصحيحين عن ابي موسى الاشعري انهم كانوا مع النبي صلى
الله عليه وسلم في سفر فكانوا يرفعون اصواتهم بالتكبير فقال يا ايها الناس اربعوا
على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائبا انما تدعون سميعا قريبا ان الذي
تدعونه اقرب الى احدكم من عنق راحلته فقال ان الذي تدعونه اقرب الى احدكم لم
يقل انه قريب الى كل موجود وكذلك قول صالح عليه السلام وان استغفروا ربكم ثم
توبوا اليه ان ربي قريب مجيب ومعلوم ان قوله قريب مجيب مقرون بالتوبة والاستغفار

٢ هو م

اراد به قريب مجيب لاستغفار المستغفرين التائبين اليه كما انه رحيم ودود
وقد قرن القريب بالمجيب ومعلوم انه لا يقال مجيب لكل موجود وانما الاجابة
لمن ساله ودعاه فكذلك قربه سبحانه وتعالى واسماء الله المطلقة كاسمه السميع
والبصير والغفور والشكور والمجيب والقريب لا يجب ان يتعلق بكل موجود
بل يتعلق كل اسم بما يناسبه واسمه العليم لما كان يكل شيء يصلح ان يكون معلوما
تعلق بكل شيء واما قوله تعالى ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من
حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد وقوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن
اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فالمراد به قربه اليه بالملائكة وهذا هو المعروف
عن المفسرين المتقدمين من السلف قالوا ملك الموت اقرب اليه من اهله ولكن
لا تبصرون الملائكة وقد قال طائفة ونحن اقرب اليه بالعلم وقال بعضهم بالعلم و
القدرة والرؤية وهذه الاقوال ضعيفة فانه ليس في الكتاب والسنة وصفه
بقرب عام من كل موجود حتى يحتاجوا ان يقولوا بالعلم والقدرة ولكن بعض
الناس لما ظنوا انه يوصف بالقرب من كل شيء تأولوا ذلك بانه عالم بكل شيء قادر
على كل شيء وكانهم ظنوا ان لفظ القرب مثل لفظ المعية فان لفظ المعية في سورة
الحديد والمجادلة في قوله هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى
على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج
فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير وقوله ما يكون من نجوى ثلاثة
الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اين
ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة وقد ثبت عن السلف انهم قالوا هو معهم
بعلمه وقد ذكر ابن عبد البر وغيره ان هذا اجماع من الصحابة والتابعين لهم باحسان
ولم يخالفهم فيه احد يعتد بقوله وهو ماثور عن ابن عباس والضحاك ومقاتل
ابن حيان وسفيان الثوري واحمد ابن حنبل وغيرهم قال ابن ابي حاتم في تفسيره ثنا
ابي ثنا اسماعيل ابن ابرهيم ابن معمر عن نوح ابن ميمون المضروب عن بكير ابن معروف

عن مقاتل

عن مقاتل ابن حيان عن ابن عباس في قوله وهو معكم اين ما كنتم قال هو على العرش
وعلمه معهم قال وروى سفيان الثوري انه قال علمه معهم وقال ثنا ابي ثنا بكير
ابن معروف عن مقاتل ابن حيان عن الضحاك ابن مزاحم في قوله ما يكون من نجوى
ثلاثة الا هو رابعهم الى قوله اينما كانوا قال هو على العرش وعلمه معهم ورواه باسناد
اخر عن مقاتل ابن حيان هذا وهو ثقة في التفسير ليس بمجروح كما جرح مقاتل ابن
سليمان وقال عبد الله ابن احمد ثنا ابي ثنا نوح ابن ميمون عن بكير ابن معروف ثنا ابو
معاوية عن مقاتل ابن حيان عن الضحاك في قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو
رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اين ما كانوا
قال هو على العرش وعلمه معهم وقال علي ابن الحسن ابن شقيق ثنا عبد الله ابن موسى
صاحب عبادة ثنا معدان قال ابن المبارك انه كان احد بخراسان من الابدال
فعدان قال سالت سفيان الثوري عن قوله وهو معكم اينما كنتم قال علمه وقال
حنبل ابن اسحق في كتاب السنة قلت لابي عبد الله احمد ابن حنبل ما معنى قوله
وهو معكم اينما كنتم وما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الى قوله الا هو
معهم اينما كانوا قال علمه عالم الغيب والشهادة محيط بكل شيء شاهد
علام الغيوب يعلم الغيب ربنا على العرش بلا حد ولا صفة وسع كرسيه السموات
والارض وقد بسط الامام احمد المعية في الرد على الجهمية ولفظ المعية في
كتاب الله جاء عاما كما في هذه الايتين وجاء خاصا كما في قوله ان الله مع
الذين اتقوا والذين هم محسنون وقوله انني معكما اسمع وارى وقوله لا
تحزن ان الله معنا فلو كان المراد انه بذاته مع كل شيء لكان التعميم يناقض
التخصيص فانه علم ان قوله لا تحزن ان الله معنا اراد به تخصيصه وابا بكر
دون عدوهم من الكفار وكذلك قوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون خصصهم بذلك دون الظالمين والفجار وايضا فلفظ المعية
ليست في لغة العرب ولا شيء من القران ان يراد بها اختلاط احدى الذاتين بالاخرى
كما في قوله محمد رسول الله والذين معه وقوله فاولئك مع المؤمنين وقوله اتقوا الله

وكونوا مع الصادقين وقوله وجاهدوا معكم ومثل هذا كثير فامتنع ان يكون
قوله وهو معكم يدل على ان ذاته مختلطة تكون بذات الخلق وايضا فانه افتتح
الاية بالعلم وختمها بالعلم فكان السياق يدل على انه اراد انه عالم به وقد بسط الكلام
عليه في موضع اخر وبين ان لفظ المعية وان اقتضى المجامعة والمصاحبة و
المقارنة فهو اذا كان مع العباد لم ينافِ ذلك علوه على عرشه ويكون حكم معيته في
كل موطن بحسبه فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان ويخص بعضهم بالاعانة
والنصر والتاييد وقد قال ابن ابي حاتم قرات على محمد ابن الفضل ثنا محمد ابن علي ابن الحسن
ابن شقيق ثنا محمد ابن مزاحم ثنا بكير ابن معروف عن مقاتل ابن سليمان في قوله
تعالى يعلم ما يلج في الارض من المطر وما يخرج منها من النبات وما ينزل من السماء من
القطر وما يعرج فيها ما يصعد الى السماء من العمل وهو معكم اينما كنتم يعني
قدرته وسلطانه وعلمه معكم اينما كنتم وبهذا الاسناد عن مقاتل ابن سليمان
قال بلغنا والله اعلم في قوله تعالى هو الاول قال قبل كل شيء والاخر قال بعد كل شيء
والظاهر قال فوق كل شيء والباطن قال اقرب من كل شيء وانما يعني بالقرب بعلمه
وقدرته وهو فوق عرشه وهو بكل شيء عليم يعلم نجواهم ويسمع كلامهم ثم ينبئهم
يوم القيمة بكل شيء نطقوا به سيء او حسن وهذا ليس مشهورا عن مقاتل
كشهرة الاول الذي روي عنه من وجوه ولم يجزم به فانه قال بلغنا وهو الذي
فسر الباطن بالقريب ثم فسر القرب بالعلم والقدرة ولا حاجة الى هذا وقد ثبت
في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم انت الاول فليس قبلك شيء وانت الاخر
فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء
وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابي هريرة وابي ذر رضي الله عنهما
في تفسير هذه الاسما وحديث الادلا ما قد بسطنا القول عليه في مسئلة الاحاطة
وكذلك هذا الحديث ذكره قتادة في تفسيره وهو يبين انه ليس معنى الباطن انه
القريب ولا لفظ الباطن يدل على ذلك ولا لفظ القرب في الكتاب والسنة على جهة
العموم كلفظ المعية ولا لفظ القريب في اللغة والقران كلفظ المعية فانه

اذا قال

المجامعة صح

اذا قال هذا مع هذا فانه يعني به المجامعة والمقارنة والمصاحبة ولا يدل على قرب
احدى الذاتين من الاخرى ولا اختلاطها بها فلهذا كان اذا قيل هو معهم
دل على ان علمه وقدرته وسلطانه محيط بهم وهو مع ذلك فوق عرشه كما اخبر
القران والسنة بهذا وقال تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم
استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما
يعرج فيها وهو معكم اين ما كنتم فاخبر سبحانه انه مع علوه على عرشه يعلم كل شي
فلا يمنع علوه عن العلم بجميع الاشياء وكذلك في حديث الاوعال الذي في السنن
قال النبي صلى الله عليه وسلم والله فوق عرشه يعلم ما انتم عليه ولم يات في لفظ القرب
من ذلك انه قال هو فوق عرشه وهو قريب من كل شي بل قال ان رحمت الله قريب
من المحسنين وقال واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع
اذا دعان وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تدعون اصم ولا غائبا ان الذين تدعون سميع
قريب قال ابن ابي حاتم ثنا ابي قال ثنا يحيى ابن المغيرة ثنا جرير عن عبدة ابن ابي برزة
السجستاني عن الصلت ابن حكيم عن ابيه عن جده قال جاء رجل الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فسكت النبي صلى الله
عليه وسلم فانزل الله واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان
فليستجيبوا لي وليومنوا بي اذا امرتهم ان يدعوني فدعوني استجيب لهم
ولا يقال في هذا قريب بعلمه وقدرته فانه عالم بكل شي قادر على كل شي وهم لم يشكوا
في ذلك ولم يسالوا عنه وانما سالوا عن قربه الى من يدعوه ويناجيه ولهذا قال
تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فاخبر انه
قريب مجيب وطائفة من اهل السنة تفسر القرب في الاية والحديث بالعلم
لكونه هو المقصود فانه اذا كان يعلم ويسمع دعاء الداعي حصل مقصوده
وهذا هو الذي اقتضى ان يقول من يقول انه قريب من كل شي بمعنى العلم
والقدرة فان هذا قد قاله بعض السلف كما تقدم عن مقاتل ابن حيان و
كثير من الخلف لكن لم يقل احد منهم ان نفس ذاته قريبة من كل موجود وهذا

المعنى يقر به جميع المسلمين من يقول انه فوق العرش ومن يقول انه ليس فوق
العرش وقد ذكر ابن ابي حاتم باسناده عن عبد العزيز ابن عبد الله ابن ابي سلمة
الماجشوني قال الرحمن على العرش استوى يعلم وهو كذلك ما توسوس به
انفسنا وهو بذاته اقرب من حبل الوريد وكيف لا يكون كذلك وهو اعلم بما توسوس
به انفسنا منا فكيف بحبل الوريد وكذلك قال ابو عمر الطلمنكي قال ومن سال عن قوله
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد فاعلم ان ذلك كله على معنى العلم به والقدرة
والدليل على ذلك صدر الاية قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس
به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وحبل الوريد لا يعلم ما توسوس به
النفس ويلزم الملحد على اعتقاده ان يكون معبوده مخالطا لدم الانسان
ولحمه وان لا يجرد الانسان تسمية المخلوق حتى يقول خالق ومخلوق لان
معبوده بزعمه داخل حبل الوريد من الانسان وخارجه فهو على قوله ممتزج
به غير مباين له قال وقد اجمع المسلمون من اهل السنة على ان الله على عرشه
بائن من جميع خلقه وتعالى الله عن قول اهل الزيغ وعما يقول الظالمون
علوا كبيرا قال وكذلك الجواب في قوله فنحن بحضره الموت ونحن اقرب اليه
منكم ولكن لا تبصرون اي بالعلم به والقدرة عليه اذ لا يقدرون له على حيلة
ولا يدفعون عنه وقد قال تعالى توفته رسلنا وهم لا يفرطون وقال قل يتوفاكم
ملك الموت الذي وكل بكم قلت وهكذا ذكر غير واحد من المفسرين مثل الثعلبي
وابو الفرج ابن الجوزي وغيرهما في قوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
واما في قوله ونحن اقرب اليه منكم فذكر ابو الفرج القولين انهم الملائكة
وذكره عن ابي صالح عن ابي هريرة ابن عباس وان القرب بالعلم وهؤلاء
كلهم مقصودهم انه ليس المراد ان ذات الباري جل جلاله وعلا قريبة من وريد
العبد ومن الميت ولما ظنوا ان المراد قربه وحده دون الملائكة فسروا ذلك
بالعلم والقدرة كما في لفظ المعية ولا حاجة الى هذا فان المراد بقوله ونحن
اقرب اليه منكم اي بملائكتنا في الايتين وهذا بخلاف لفظ المعية فانه لم يقل

ونحن معه

ونحن معه بل جعل نفسه هو الذي مع العباد واخبر انه ينبئهم يوم القيمة
بما عملوا وهو نفسه الذي خلق السموات والارض وهو نفسه الذي استوى
على العرش فلا يجعل لفظ مثل لفظ مع تفريق القران بينهما وكذلك قال ابو حامد
موافقا لابي طالب فيما حكى في بعض ما قال مخالفا له في البعض فانه من نفاه
علو الله نفسه على العرش وانما المراد عنده انه قادر عليه مستول عليه او انه افضل منه
قال وانه مستو على العرش على الوجه الذي قاله والمعنى الذي اراده استواء منزها
عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش
وحملته محمولون بلطف قدرته مقهورون في قبضته وهو فوق العرش وفوق كل
شيء الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا الى العرش والسما بل هو رفيع الدرجات
عن العرش كما هو رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود
وهو اقرب الى العبد من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد اذ لا يماثل قربه قرب
الاجسام ولا يحل في شيء **الحلق قال** وانه بائن بصفاته من خلقه ليس في ذاته
سواه ولا في سواه ذاته **قلت** فالفوقية التي ذكرها هي القدرة والاستيلاء
او فوقية القدر وهو انه افضل من المخلوقات والقرب الذي ذكره هو العلم او
نفسه وقربه بهذا قاله جماعة من العلما لظنهم ان القرب في الاية هو قربه وحده
ففسروها بالعلم لما راوا ذلك عاما قالوا هو قريب من كل موجود بمعنى العلم
وهذا لا يحتاج اليه كما تقدم وقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد لا يجوز ان
يراد به مجرد العلم فان من كان بالشيء اعلم من غيره لا يقال انه اقرب اليه من غيره بمجرد علمه
به ولا بمجرد قدرته عليه ثم انه سبحانه وتعالى عالم بما يسره من القول وما يجهر به وعالم
باعماله فلا معنى لتخصيص حبل الوريد بمعنى انه اقرب الى العبد منه فان حبل
الوريد قريب الى القلب ليس قريبا الى قوله الظاهر وهو يعلم ظاهر الانسان وباطنه
قال تعالى واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو
اللطيف الخبير وقال تعالى يعلم السر واخفى وقال تعالى الم يعلموا ان الله يعلم سرهم
ونجواهم وان الله علام الغيوب وقال ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم

بلى ورسلنا لديهم يكتبون وقال تعالى الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض
ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من
ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ان الله بكل
شيء عليم ومما يدل على ان القرب ليس المراد به العلم انه قال ولقد خلقنا الانسان
ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى عن اليمين
وعن الشمال قعيد فاخبر انه يعلم ما توسوس به نفسه ثم قال ونحن اقرب اليه
من حبل الوريد فاثبت العلم واثبت القرب وجعلهما شيئين فلا يجعل احدهما
هو الاخر وقيد القرب بقوله اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد واما من ظن ان المراد بذلك قرب ذات
الرب من حبل الوريد وان ذاته تعالى اقرب الى الميت من اهله فهذا في غاية الضعف
وذلك ان الذين يقولون انه في كل مكان وانه قريب من كل شيء بذاته لا يخصون
بذلك شيئا دون شيء ولا يمكن مسلما ان يقول ان الله قريب من الميت دون اهله
ولا انه قريب من حبل الوريد دون سائر الاعضا وكيف يصح هذا الكلام على اصلهم
وهو عندهم في جميع بدن الانسان او قريب من جميع بدن الانسان وهو في اهل
الميت كما هو في الميت فكيف يكون اقرب اليه منكم اذا كان معه ومعهم على وجه
واحد وهل يكون اقرب الى نفسه من نفسه وسياق الايتين يدل على ان المراد الملا
ئكة فانه قال ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين
وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فقيد هذا القرب
بالزمان وهو زمان تلقي المتلقيين قعيد عن اليمين وقعيد عن الشمال
وهما الملكان الحافظان اللذان يكتبان كما قال يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
ومعلوم انه لو كان المراد قرب ذاته لم يختص ذلك بهذه الحال ولم يكن لذكر القعيد
والرقيب والعتيد معنى مناسب وكذلك قوله في الاية الاخرى فلولا اذا بلغت
الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون لو
اراد قرب ذاته لم يختص ذلك بهذه الحال ولا قال ولكن لا تبصرون فان هذا انما يقال

اذا كان

اذا كان هناك من يجوز ان يبصر في بعض الاحوال لكن نحن لا نبصره والرب تعالى
لا يراه في هذه الحال لا الملائكة ولا البشر وايضا فانه قال ونحن اقرب اليه منكم
فاخبر عمن هو اقرب الى المحتضر من الناس الذين عنده في هذه الحال وذات الرب سبحانه
وتعالى اذا قيل هي في كل مكان او قيل قريبة من كل موجود لا يختص بهذا الزمان و
المكان والاحوال فلا يكون اقرب الى شيء من شيء ولا يجوز ان يراد به قرب الرب
الخاص كما في قوله واذا سالك عبادي عني فاني قريب فان ذلك انما هو قريب الى من
دعاه او عبده وهذا المحتضر قد يكون كافرا او فاجرا او مؤمنا ومقربا ولهذا
فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب
اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل
من حميم وتصلية جحيم ومعلوم ان مثل هذا المكذب لا يخصه الرب بقربه منه دون
من حوله وقد يكون حوله قوم مؤمنون وانما هم الملائكة الذين يحضرون عند المؤمن
والكافر كما قال تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم وقال ولو ترى اذ يتوفى
الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وقال تعالى ولو ترى اذ الظالمون
في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب
الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون وقال تعالى حتى
اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون وقال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت
الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون ومما يدل على ذلك انه ذكره بصيغة الجمع فقال
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وهذا كقوله سبحانه نتلوا عليك من نبإ موسى و
فرعون بالحق لقوم يؤمنون وقال نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك
هذا القران وقال ان علينا جمعه وقرانه فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه
فان مثل هذا اللفظ اذا ذكره الله في كتابه دل على ان المراد انه سبحانه بجنوده واعوانه
من الملائكة فان صيغة نحن يقولها المتبوع المعظم الذي له جنود يتبعون امره
وليس لاحد جند يطيعونه كطاعة الملائكة ربهم وهو خالقهم وربهم فهو سبحانه
العالم بما توسوس به نفسه وملائكته تعلم فكان لفظ نحن هنا هو المناسب وكذلك

الموت

كما ثبت

قوله ونعلم ما توسوس به نفسه فانه سبحانه يعلم ذلك وملائكته يعلمون ذلك كما ثبت
في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا هم العبد بحسنة كتبت له حسنة
فان عملها كتبت له عشر حسنات واذا هم بسيئة لم تكتب عليه فان عملها كتبت سيئة واحدة
وان تركها لله كتبت له حسنة فالملك يعلم ما يهم به العبد من حسنة وسيئة وليس ذلك
من علمهم بالغيب الذي اختص الله به وقد روي عن ابن عيينة انهم يشمون رائحة طيبة
فيعلمون انه هم بحسنة ويشمون رائحة خبيثة فيعلمون انه هم بسيئة وان شموا الرائحة
طيبة ورائحة خبيثة فعلمهم لا يفتقر الى ذلك بل ما في قلب ابن ادم يعلمونه بل ويبصرونه
ويسمعون وسوسة نفسه بل الشيطان يلتقم قلبه واذا ذكر الله خنس واذا غفل عن
ذكره وسوس ويعلم هل ذكر الله ام غفل عن ذكره ويعلم ما تهواه نفسه من شهوات
الغي فيزينها له وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صفية رضي الله عنها
ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم وقلب قرب الملائكة والشيطان من قلب ابن
ادم مما تواترت به الاثار سواء كان العبد مؤمنا او كافرا واما ان يكون ذات الرب
في قلب كل احد كافر ومؤمن فهذا باطل لم يقله احد من سلف الامة ولا نطق به كتاب
ولا سنة بل الكتاب والسنة واجماع السلف مع العقل يناقض ذلك ولهذا
لما ذكر الله سبحانه قربه من داعيه وعابديه قال واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب
دعوة الداع اذا دعان فهنا هو نفسه سبحانه وتعالى القريب الذي يجيب دعوة
الداع لا الملائكة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته انكم
لا تدعون اصم ولا غائبا انما تدعون سميعا قريبا ان الذي تدعونه اقرب الى احدكم
من عنق راحلته وذلك لان الله سبحانه قريب من قلب الداعي فهو اقرب اليه من عنق
راحلته وقربه من قلب الداعي له معنى متفق عليه عند اهل الاثبات الذين يقولون
ان الله فوق العرش ومعنى اخر فيه نزاع فالمعنى المتفق عليه عندهم يكون بتقريبه
قلب الداعي اليه كما يقرب اليه قلب الساجد كما في الصحيح اقرب ما يكون العبد من ربه
وهو ساجد فالساجد يقرب اليه قلبه فيدنو قلبه من ربه وان كان بدنه على الا
رض ومتى قرب احد الاثنين من الاخر صار الاخر اليه قريبا بالضرورة وان قدر انه

لم

لم يصدر من الاخر تحرك بذاته كما ان من قرب من مكة قربت مكة منه وقد وصف الله
انه يقرب اليه من يقربه من الملائكة والبشر فقال لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله
ولا الملائكة المقربون وقال والسابقون السابقون اولئك المقربون وقال اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب وقال وناديناه من جانب
الطور الايمن وقربناه نجيا واما قرب الرب قربا يقوم به بفعله القائم بنفسه فهذا
تنفيه الكلابية ومن يمنع قيام الامور الاختيارية بذاته واما السلف وائمة الحديث
والسنة فلا يمنعون ذلك وكذلك كثير من اهل الكلام فنزوله كل ليلة الى السماء الدنيا
ونزوله عشية عرفة ونحو ذلك هو من هذا الباب ولهذا حد النزول بانه الى
السماء الدنيا وكذلك تكليمه لموسى عليه السلام فانه لو اريد مجرد تقريب الحجاج
وقوام الليل لم يختص نزوله بسماء الدنيا كما لم يختص ذلك باجابة الداعي وقرب
العابدين اليه قال تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا
دعان وقال من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وهذه الزيادة تكون على الوجه
المتفق عليه بزيادة تقريب للعبد اليه جزاء على تقربه باختياره فكل ما تقرب
العبد باختياره قدر شبر زاده الرب قربا اليه حتى يكون المتقرب بذراع فكذلك
قرب الرب من العابد وهو ما يحصل في قلب العبد من معرفة الرب والايمان
به وله المثل الاعلى فهذا ايضا لا نزاع فيه وذلك ان العبد يصير محبا لما احب الرب
مبغضا لما يبغض مواليا لمن يوالي معاديا لمن يعادي فيتحد مراده مع المراد
المامور به الذي يحبه الله ويرضاه وهذا مما يدخل في موالاة العبد لربه وموالاة
الرب لعبده فان الولاية ضد العداوة والولاية تتضمن المحبة والموافقة والعداوة
تتضمن البغض والمخالفة وقد ثبت في صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الي عبدي بمثل
اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته
كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي
بها ولئن سالني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت عن شيء انا فاعله

ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولابد له منه فاخبر
سبحانه وتعالى ان تقرب العبد بالفرائض ولايزال يتقرب بالنوافل حتى يحبه الله فيصير
العبد محبوبا لله كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال
تعالى فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وقال تعالى واحسنوا ان الله يحب المحسنين
وقال تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين وقال تعالى ان الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين وقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
كانهم بنيان مرصوص وقال تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين
وقال تعالى وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين فقد اخبر انه يحب المتبعين
لرسوله والمجاهدين في سبيله وانه يحب المتقين والصابرين والتوابين والمتطهرين
وهو سبحانه يحب كل ما امر به امر ايجاب واستحباب وقوله ونعلم ما توسوس به نفسه
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد يقتضي انه سبحانه وجنده الموكلين بذلك يعلمون
ما توسوس به العبد نفسه كما قال ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا
لديهم يكتبون فهو يسمع ومن يشاء من ملائكته واما الكتاب فرسله يكتبون
كما قال هنا ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال تعالى انا نحن نحيي الموتى
ونكتب ما قدموا وآثارهم واخبر بالكتابة بقوله نحن لان جنده يكتبون بامره
وفصل في تلك الاية بين السماع والكتابة لانه يسمع بنفسه واما كتابة الاعمال
فتكون بامره والملائكة يكتبون فقوله ونحن اقرب اليه مثل قوله نكتب ما قدموا
وآثارهم لما كانت ملائكته متقربين الى العبد بامره كما كانوا كاتبين عليه بامره
فان ذلك قربه من كل احد بتوسط الملائكة كتكليمه كل بتوسط الرسل كما قال
تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه
ما يشاء فهذا تكليمه لجميع عباده بواسطة الرسل وذاك قربه اليهم عند الاحتضار
وعند الاقوال الباطنة في النفس والظاهرة على اللسان وقال تعالى وان عليكم لحافظين
كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقد غلط طائفة ظنوا انه بنفسه هو الذي يسمع
منه القرآن وهو الذي يقرأ بنفسه بلا واسطة عند قراءة كل قارئ كما غلطوا في

هذا القرب

هذا القرب وهم طائفة من متاخري اهل الحديث ومتاخري الصوفية ومن الناس
من يفسر قوله القائلين بانه اقرب الى كل شيء من نفس ذلك الشيء بان الاشيا معدومة
من جهة انفسها وانما هي موجودة بخلق الرب سبحانه وتعالى لها وهي باقية ببقائه
وهو سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلا موجود الا بايجاده ولا باقي الا بابقائه
فلو قدر انه لم يشا خلقها وتكوينها لكانت باقية على العدم ولا وجود لها اصلا فصار
هو اقرب اليها من ذواتها فان تكوين الشيء وخلقه وايجاده هو فعل الرب سبحانه وتعالى
اقرب الى المخلوقات من المخلوقات الى انفسها بهذا الاعتبار وقد يفسر بعضهم قوله تعالى
كل شيء هالك الا وجهه بهذا المعنى فان الاشيا كلها بالنظر الى انفسها عدم محض ونفي
صرف وانما هي موجودة تامة بالوجه الذي لها الى الخالق وهو تعلقها به وبمشيئته
وقدرته باعتبار هذا الوجه كانت موجودة وبالوجه الذي يلي انفسها لا تكون الا معدومة
وقد يفسر هذا بذلك قول لبيد • الا كل شيء ما خلا الله باطل • ولكن هذه المعاني
صحيحة في انفسها فانه لولا خلق الله للاشيا لم تكن موجودة ولولا ابقاؤه لها لم
تكن باقية وقد تكلم النظار في سبب افتقارها اليه هل هو الحدوث فلا تحتاج الا في
حال الاحداث كما يقول ذلك من يقوله من الجهمية والمعتزلة ونحوهم او هو الامكان
الذي يظن ان يكون بلا حدوث بل يكون الممكن المعلول قديما ازليا ويمكن افتقارها
في حال البقا بلا حدوث كما يقوله ابن سينا وطائفة وكلا القولين خطا كما قد بسط
في موضع وبين ان الامكان والحدوث متلازمان كما عليه جماهير العقلاء من الاولين
والاخرين حتى قدماء الفلاسفة كارسطو واتباعه فانهم ايضا يقولون ان كل
ممكن فهو محدث وانما خالفهم في ذلك ابن سينا وطائفة ولهذا انكر ذلك عليهم حذاق
من الفلاسفة كابن رشد وغيره والمخلوقات مفتقرة الى الخالق فالفقر وصف
لازم لها دائما لا تزال مفتقرة اليه والامكان والحدوث دليلان على الافتقار لا ان
هذين الوصفين جعلا الشيء مفتقرا بل الاشياء مفتقرة الى خالقها لذاتها لا
تحتاج الى علة كما ان غناء الرب لازم لذاته لا يفتقر في اتصافه بالغنا الى علة وكذلك
المخلوق لا يفتقر في اتصافه بالفقر الى علة بل هو فقير لذاته لا تكون ذاته الا فقيرة فقرا

لا زمالها لا تستغني الا به وهذا من معاني الصمد وهو الذي يفتقر اليه كل شيء
ويستغني عن كل شيء بل الاشيا مفتقرة من جهة ربوبيته ومن جهة الهيته فما لا
يكون به لا يكون وما لا يكون له لا يصلح ولا ينفع ولا يدوم وهذا تحقيق قوله اياك
نعبد واياك نستعين فلو لم يخلق شيا بمشيئته وقدرته لم يوجد شيء وكل الاعمال
ان لم تكن لاجله فيكون هو المعبود المقصود والمحبوب لذاته والا كانت اعمالا فاسدة
فان الحركات تفتقر الى العلة الغائية كما تفتقر الى العلة الفاعلية بل
الغائية بها صار الفاعل فاعلا ولولا ذلك لم يفعل فلولا ان المعبود المحبوب
لذاته لم يصلح قط شيء من الاعمال والحركات بل كان العالم يفسد وهذا معنى قوله
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ولم يقل لعدمتا وهذا معنى قول لبيد الا كل شيء
ما خلا الله باطل هو كالدعاء المأثور اشهد ان كل معبود من لدن عرشك الى قرار
ارضك باطل الا وجهك الكريم ولفظ الباطل يراد به المعدوم ويراد به ما لا ينفع
كقول النبي صلى الله عليه وسلم كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل الا رميه بقوسه وتاديبه
فرسه وملاعبته لزوجته فانهن من الحق وقوله عن عمر رضي الله عنه ان هذا رجل
لا يحب الباطل ومنه قول القاسم ابن محمد لما سئل عن الغنا قال اذا ميز الله يوم القيمة
الحق من الباطل من ايهما يجعل الغنا قال السائل من الباطل قال فماذا بعد الحق
الا الضلال ومنه قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو
الباطل فان الالهة لموجودة ولكن عبادتها ودعاؤها باطل لا ينفع والمقصود
منها لا يحصل فهو باطل واعتقاد الوهيتها باطل اي غير مطابق واتصافها
بالالهية في انفسها باطل بمعنى انه معدوم ومنه قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل
فيدمغه فاذا هو زاهق وقوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان
زهوقا فالكذب باطل لانه غير مطابق وفعل ما لا ينفع باطل لانه ليس له غاية موجودة
محمودة فقول النبي صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالها شاعر لبيد الا كل شيء ما خلا
الله باطل هذا معناه ان كل معبود من دون الله باطل كقوله ذلك بان الله هو الحق وان
ما يدعون من دونه هو الباطل وقال تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع

والابصار

والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون
الله فقل افلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون
وقد قال قبل هذا وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون كما قال في
الانعام حتى اذا جاء احدهم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم
وقال ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم ودخل
عثمان او غيره على ابن مسعود وهو مريض فقال له كيف تجدك قال اجدني مردودا الى الله
مولاي الحق وقال تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون
يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين وقد اقروا بوجوده
في الدنيا لكن ذلك اليوم يعلمون ان الحق المبين دون ما سواه ولهذا قال هو الحق
بصيغة الحصر فانه يومئذ لا يبقى احد يدعي فيه الالهية ولا احد يشرك به احدا

فصل

واذا عرف تنزيه الرب عن صفات النقص مطلقا فلا يوصف بالسفول
ولا علو شيء عليه بوجه من الوجوه بل هو العلي الاعلى الذي لا يكون الا اعلى وهو الظاهر
الذي ليس فوقه شيء كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم وانه ليس كمثله شيء مما يوصف به
من الافعال اللازمة والمتعدية لا النزول ولا الاستوا ولا غير ذلك فيجب مع ذلك
اثبات ما اثبته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله والادلة العقلية الصحيحة
توافق ذلك لا تناقضه ولكن السمع والعقل يناقضان البدع المخالفة للكتاب
والسنة والسلف مثل الصحابة والتابعين لهم باحسان كانوا يقرون افعاله من الاستوى
والنزول وغيرها على ما هي عليه قال ابو محمد ابن ابي حاتم في تفسيره ثنا عصام ابن
الرواد ثنا ادم ثنا ابو جعفر عن الربيع عن ابي العالية ثم استوى الى السما يقول ارتفع
قال وروي عن الحسن يعني البصري والربيع ابن انس مثله كذلك وذكر البخاري
في صحيحه في كتاب التوحيد قال قال ابو العالية استوى الى السما ارتفع فسوى خلقهن
وقال مجاهد استوى على العرش علا على العرش وكذلك ذكر ابن ابي حاتم في تفسيره
من قوله ثم استوى على العرش قال في اليوم السابع قال ابو عمر الطلمنكي واجمعوا يعني
اهل السنة على ان الله على عرشه وعلى انه مستو على عرشه وعلمه وتدبيره بكل خلقه قال

فاجمع المسلمون من اهل السنة على معنى وهو معكم اينما كنتم ونحو ذلك في القران
او ذلك علمه وان الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شا قال وقال اهل
السنة في قول الله الرحمن على العرش استوى ان الاستوى من الله على عرشه المجيد
على الحقيقة لا على المجاز واستدلوا بقول الله فاذا استويت انت ومن معك على
الفلك وبقوله لتستووا على ظهوره ثم تذكروا وبقوله واستوت على الجودي
الا ان المتكلمين من اهل الاثبات في هذا على اقوال فقول مالك رحمه الله ان الاستوى
معقول والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وقال عبد الله ابن المبارك
ومن تابعه من اهل السنة وهم كثير ان معنى استوى على العرش استقر وهو قول
القتيبي وقال غير هؤلاء استوى اي ظهر وقال ابو عبيدة معمر ابن المثنى استوى
بمعنى علا وتقول العرب استويت على ظهر الفرس بمعنى علوت عليه واستويت على
سقف البيت بمعنى علوت عليه ويقال استويت على السطح بمعناه وقال الله تعالى فاذا
استويت انت ومن معك على الفلك وقال لتستووا على ظهوره وقال استوى على العرش
بمعنى علا على العرش فقول الحسن وقول مالك من احسن جواب وقع في هذه المسئلة
واشد استيعابا لان فيه نبذا للتكييف واثبات الاستوى المعقول وائمة اهل العلم
بكلامه واستجودوه واستحسنوه ثم تكلم على فساد من تاول استوى بمعنى استولى
قال الثعلبي قال الكلبي ومقاتل ثم استوى على العرش يعني استقر قال وقال ابو
عبيدة صعد وقيل استولى وقيل ملك واختار هو ما حكاه عن الفرا وجماعة
ان معناه اقبل على خلق العرش وعمد الى خلقه قال ويدل عليه قوله ثم استوى الى السما
وهي دخان اي عمد الى خلق السماء وهذا الوجه من اضعف الوجوه فانه اخبر ان العرش
كان على الماء قبل خلق السموات والارض ولم يكن شي قبله وكان عرشه على الماء
وكذلك ثبت في صحيح البخاري عن عمران ابن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
كان الله ولم يكن شي قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر الحكيم كل شي ثم خلق
السموات والارض فاذا كان العرش مخلوقا قبل خلق السموات والارض كيف يكون
استواه عمده الى خلقه له لو كان هذا يعرف في اللغة ان استوى على كذا انه عمد الى فعله

وهذا

٥٢

وهذا لا يعرف قط في اللغة لا حقيقة ولا مجازا لا في نظم ولا في نثر ومن قال استوى بمعنى
عمد ذكره في قوله ثم استوى الى السماء وهي دخان لانه عدي بحرف الغاية كما يقال
عمدت الى كذا ولا يقال عمدت على كذا وقصدت عليه مع ان ما ذكر في تلك الايات لا يعرف
في اللغة ولا هو قول احد من مفسري السلف بل المفسرون من السلف قولهم
بخلاف ذلك كما قدمناه عن بعضهم وانما هذا القول في الاسلام لما ظهر انكار افعال
الرب التي تقوم به ويفعلها بقدرته ومشيته واختياره فحينئذ صار يفسر القران من
يفسره بما ينافي ذلك كما يفسر سائر اهل البدع القران على ما يوافق اقاويلهم واما ان
ينقل هذا التفسير عن احد من السلف فلا بل اقوال السلف الثابتة عنهم متفقة
على هذا الباب لا يعرف لهم فيه قولان كما قد يختلفون احيانا في بعض الايات وان اختلفت
عباراتهم فمقصودهم واحد هو اثبات علو الله على العرش فان قيل اذا كان الله
لا يزال عاليا على المخلوقات كما تقدم فكيف يقال ثم ارتفع الى السما وهي دخان او يقال
ثم علا على العرش قيل هذا كما اخبر انه ينزل الى السماء ثم يصعد وروي ثم يعرج وهو
سبحانه لم يزل فوق العرش فان صعوده من جنس نزوله واذا كان في نزوله لم
يصر شي من المخلوقات فوقه فهو سبحانه يصعد وان لم يكن شي منها فوقه وقوله
ثم استوى الى السماء انما فسروه بانه ارتفع لانه قال قبل هذا قل اينكم لتكفرون بالذي
خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي
من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى
الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وهذه نزلت
في حم بمكة ثم انزل الله في المدينة سورة البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا
فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا
ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شي عليم فلما ذكر ان
استواه الى السماء كان بعد ان خلق الارض وخلق ما فيها تضمن معنى الصعود
لان السماء فوق الارض فالاستوى اليها الارتفاع اليها فان قيل فاذا كان انما استوى

على العرش بعد ان خلق السموات والارض في ستة ايام فقبل ذلك لم يكن على العرش **قيل**
الاستوى علو خاص فكل مستو على عرشه عال عليه وليس كل عال على شيء مستويا عليه و
لهذا لا يقال لكل ما كان عاليا على غيره انه مستو عليه واستوى عليه ولكن كل ما قيل فيه انه استوى
على غيره فانه عال عليه والذي اخبر الله انه كان بعد خلق السموات والارض الاستوى
لا مطلق العلو مع انه يجوز انه اذا كان مستويا عليه قبل خلق السموات والارض
لما كان عرشه على الماء ثم لما خلق هذا العالم استوى عليه كان عاليا عليه ولم يكن مستويا
عليه فلما خلق هذا العالم استوى عليه فالاصل ان علوه على المخلوقات وصف لازم له
كما ان عظمته وكبرياءه كذلك فاما الاستوى فهو فعل يفعله سبحانه وتعالى بمشيته وقدرته
ولهذا قال فيه ثم استوى ولهذا كان الاستوى من الصفات السمعية المعلومة بالخبر
واما علوه على المخلوقات فهو عند ائمة الاثار من الصفات العقلية المعلومة بالعقل مع
السمع وهذا اختيار ابي محمد ابن كلاب وغيره وهو اخر قولي القاضي ابي يعلى وقول
جماهير اهل السنة والحديث ونظار المثبتة وهذا الباب ونحوه انما اشتبه على اكثر
من الناس لانهم صاروا يظنون ما وصف الله عز وجل به من جنس ما توصف به اجسامهم
فيرون ذلك يستلزم الجمع بين الضدين فان كونه فوق العرش مع نزوله يمتنع في
مثل اجسامهم لكن مما يسهل عليهم معرفة امكان هذا معرفة ارواحهم وصفاتها
وافعالها وان الروح قد تعرج من النائم الى السماء وهي لم تفارق البدن كما قال الله تعالى
الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت
ويرسل الاخرى الى اجل مسمى وكذلك الساجد قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون
العبد من ربه وهو ساجد وكذلك تقرب الروح الى الله في غير حال السجود مع انها
في بدنها ولهذا يقول بعض السلف القلوب جوالة قلب يجول حول العرش وقلب
يجول حول الحش واذا قبضت الروح عرج بها الى الله في ادنى زمان ثم تعاد الى
البدن فتسال وهي في البدن ولو كان الجسم هو الصاعد النازل لكان ذلك في
مدة طويلة وكذلك ما وصف النبي صلى الله عليه وسلم من حال الميت في قبره وسؤال منكر
ونكير له والاحاديث في ذلك كثيرة وقد ثبت في الصحيحين من حديث البراء بن عازب

عن

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اقعد الميت في قبره ثم شهد ان لا اله الا الله فذلك قوله
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وكذلك في صحيح
البخاري وغيره عن قتادة عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد اذا وضع
في قبره وذهب اصحابه حتى انه ليسمع قرع نعالهم اتاه ملكان فاقعداه فيقولان له
ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له انظر
الى مقعدك من النار ابدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا
واما الكافر والمنافق فيقول هاه لا ادري كنت اقول ما يقول الناس سمعت الناس يقولون
شيئا فقلته فيقال له لا دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة من حديد بين اذنيه فيصيح صيحة
يسمعها من يليه الا الثقلين **والناس** في مثل هذا على ثلاثة اقوال منهم من ينكر
اقعاد الميت مطلقا لانه قد احاط ببدنه من الحجارة والتراب ما لا يمكن قعوده معه
وقد يكون في صخرة تطبق عليه وقد يوضع على بدنه ما ينكشف فيوجد بحاله ونحو ذلك
ولهذا صار بعض الناس الى ان عذاب القبر على الروح فقط كما يقوله ابن ميسرة وابن
حزم وهذا قول منكر عند عامة اهل السنة والجماعة وصار اخرون يحتجون
بالقدرة ويخبر الصادق ولا ينظرون الى ما يعلم بالحس والمشاهدة وقدرة الله حق
وخبر الصادق حق لكن الشان في فهمهم واذا عرف ان النائم يكون نائما وتقعد
روحه وتقوم وتمشي وتذهب وتتكلم وتفعل افعالا وامورا باطن بدنه مع روحه
ويحصل لبدنه وروحه بها نعيم وعذاب مع ان جسده مضطجع وعينيه مغمضة
وفمه مطبق واعضاؤه ساكنة وقد يتحرك بدنه لقوة الحركة الداخلة وقد يقوم
ويمشي ويتكلم ويصيح لقوة الامر في باطنه وكان هذا مما يعتبر به امر الميت في قبره
فان روحه تقعد وتجلس وتسال وتنعم وتعذب وتصيح وذلك متصل ببدنه
مع كونه مضطجعا في قبره وقد يقوى الامر حتى يظهر ذلك في بدنه وقد يرى خارجا
من قبره والعذاب عليه وملائكة العذاب متوكلة به فيتحرك بدنه ويمشي ويخرج من
قبره وقد سمع غير واحد اصوات المعذبين في قبورهم وقد شوهد من يخرج من قبره
وهو معذب ومن يقعد بدنه ايضا اذا قوي الامر لكن هذا ليس لازما في حق كل ميت

١٢ انما هو م

كما ان قعود بدن النائم لما يراه ليس لازما لكل نائم بل هو بحسب قوة الامر وقد عرف
ان ابداننا كثيرة لا ياكلها التراب كابدان الانبيا وغير الانبيا من الصديقين وشهدا احد
والاخبار بذلك متواترة لكن المقصود ان ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم من اقعاد
الميت مطلقا هو متناول لقعودهم بنواطنهم وان كان ظاهر البدن مضطجعا
ومما يشبه هذا اخباره صلى الله عليه وسلم بما راه ليلة المعراج من الانبيا في السموات وانه
راى ادم ويحيى ويوسف وادريس وهرون وموسى وابرهيم صلوات الله وسلامه عليهم
واخبر ايضا انه راى موسى قائما يصلي في قبره وقد راه ايضا في السموات ومعلوم ان ابدان الانبيا
في القبور الا عيسى وادريس واذا كان موسى قائما يصلي في قبره ثم راه في السما السادسة
مع قرب الزمان فهذا الامر لا يحصل للجسد ومن هذا الباب ايضا نزول الملائكة
صلوات الله وسلامه عليهم وسلامه على جبرائيل وغيره فاذا عرف ان ما وصف الملائكة
وارواح الادميين من جنس الحركة والصعود والنزول وغير ذلك لا يماثل حركة
اجسام الادميين وغيرها مما نشهده بالابصار في الدنيا وانه يمكن فيها ما لا يمكن
في اجسام الادميين كان ما يوصف به الرب من ذلك اولى بالامكان وابعد عن مماثلة
نزول الاجسام بل نزوله لا يماثل نزول الملائكة وارواح بني ادم وان كان اقرب من نزول
اجسامهم واذا كان قعود الميت في قبره ليس هو مثل قعود البدن فما جاءت به الاثار
عن النبي صلى الله عليه وسلم من لفظ القعود والجلوس في حق الله تعالى كحديث جعفر ابن ابي
طالب رضي الله عنه وغيرها اولى ان لا يماثل صفات اجسام العباد **فصل**
نزاع الناس في معنى حديث النزول وما اشبهه في الكتاب والسنة من الافعال اللازمة
المضافة الى الرب سبحانه وتعالى مثل المجي والاتيان والاستوى الى السماء وعلى العرش وفي الا
فعال المتعدية مثل الخلق والاحسان والعدل وغير ذلك هو ناشئ عن نزاعهم
في اصلين احدهما ان الرب تعالى هل يقوم به فعل من الافعال فيكون خلقه للسموات والا
رض فعلا فعله غير المخلوق ام فعله هو المفعول والخلق هو المخلوق على قولين معروفين
والاول هو الماثور عن السلف فهو الذي ذكره البخاري في كتاب افعال العباد عن العلما
مطلقا ولم يذكر فيه نزاعا وكذلك ذكره البغوي وغيره من مذهب اهل السنة وكذلك ذكره

ابو علي

ابو علي الثقفي والصبعي وغيرهما من اصحاب ابن خزيمة في العقيدة التي اتفقوا هم وابن
خزيمة على انها مذهب اهل السنة وكذلك ذكره الكلاباذي في كتاب التعرف لمذهب
التصوف ان مذهب الصوفية وهو مذهب الحنفية وهو مشهور عنهم وبعض المصنفين
في الكلام كالرازي ونحوه ينصب الخلاف في ذلك معهم فيظن الظان ان هذا مما تفردوا
به وهو قول السلف قاطبة وجمهور الطوائف وهو قول جمهور اصحاب احمد متقدميهم
كلهم واكثر المتاخرين منهم وهو اخر قولي القاضي ابي يعلى وكذلك هو قول ائمة المالكية
والشافعية واهل الحديث واكثر اهل الكلام كالهشامية والكلابية والكرامية كلهم
وبعض المعتزلة وكثير من اساطين الفلاسفة وذهبت متقدموهم ومتاخروهم
واخرون من اهل الكلام الجهمية واكثر المعتزلة والاشعرية الى ان الخلق هو نفس المخلوق
وليس عندهم لا صنع ولا فعل ولا خلق ولا ابداع الا المخلوقات انفسها وهو قول
طائفة من الفلاسفة المتاخرين اذا قالوا بان الرب مبدع كابن سينا ونحوه والحجة
المشهورة لهؤلاء المتكلمين انه لو كان خلق المخلوقين بخلق لكان ذلك الخلق
اما قديما واما حادثا فان كان قديما لزم قدم كل مخلوق وهذا مكابرة وان كان
حادثا قام بالرب لزم قيام الحوادث به وان لم يقم به كان الخلق قائما بغير الخالق وهذا ممتنع
وسواء قام به او لم يقم به يفتقر ذلك الخلق الى خلق اخر ويلزم التسلسل هذا عمدتهم
وجواب السلف والجمهور عنها بمنع مقدماتها كل طائفة تمنع مقدمة ويلزم
ذلك لزاما لا محيد لهم عنه **اما الاولى** فقولهم لو كان قديما لزم قدم المخلوقات يمنعهم
ذلك من يقوله من الكلابية والحنفية والحنبلية والشافعية والمالكية والصوفية
واهل الحديث وقالوا نحن نقول بان ارادته قديمة ازلية مع تاخر المراد فكذلك
الخلق هو قديم ازلي وان كان المخلوق متاخرا ومهما قلتموه في الارادة الزمناكموه
في الخلق وهذا جواب الزامي جدلي لا حيلة لهم فيه **واما المقدمة الثانية**
وهو قولهم لو كان حادثا قائما بالرب لزم قيام الحوادث به وهو ممتنع فقد منعهم ذلك
طائفة من اهل الكلام كالهشامية والكرامية وقالوا لا نسلم انتفاء اللازم وسياتي
الكلام ان شاء الله على ذلك في الاصل الثاني **واما الثالث** فقولهم ان لم يقم به

ن عندهم

فهو محال فهذا لم يمنعهم اياه الا طوائف من اهل الكلام من المعتزلة وغيرهم فمنهم
من قال بل الخلق يقوم بالمخلوق ومنهم من يقول بل الخلق ليس في محل كما يقوله المعتزلة
البصريون فعل بارادة لا في محل وهذا المنع لا اعرفه عن احد من السلف واهل الحديث
والفقها والصوفية والفلاسفة **واما المقدمة الرابعة** وهي قولهم الخلق
الحادث يفتقر الى خلق اخر فقد منعهم ذلك عامة من يقول بخلق حادث من اهل
الحديث والكلام والفلسفة والفقه والتصوف وغيرهم كابي معاذ التومني وزهير
الاثري والهشامية والكرامية وداود بن علي الاصفهاني واصحابه واهل الحديث
والسلف الذين ذكرهم البخاري وغيره وقالوا اذ خلق السموات والارض بخلق لم
يلزم ان يحتاج ذلك الخلق الى خلق اخر ولكن ذلك يحصل بقدرته ومشيته وان كان
ذلك الخلق حادثا والدليل على فساد الزامهم ان الحادث اما ان يكفي في حصوله
القدرة والمشية واما ان لا يكفي فان لم يكف ذلك بطل قولهم ان المخلوقات تحدث
بمجرد القدرة والارادة بلا خلق واذا بطل قولهم ثبت انه لا بد للمخلوق من خالق
وهو المطلوب وان كفى في حصول المخلوق القدرة والمشية جاز حصول هذا
الخلق الذي يخلق به المخلوقات بالقدرة والمشية ولم يحتج الى خلق اخر فتبين انه
على كل تقدير لا يلزم ان يقال الخلق المخلوقات بلا خلق بل يجوز ان يقال خلقت
بخلق وهو المطلوب وتبين ان النفاة ليس لهم قط حجة مبنية على مقدمة الا وقد
نقضوا ذلك المقدمة في موضع اخر فمقدمات حججهم كلها متنقضة وايضا
فمن المعقول ان الفعل المنفصل الذي يفعله الفاعل لا يكون الا بفعل يقوم بذاته
واما نفس فعله القائم بذاته فلا يفتقر الى فعل اخر بل يحصل بقدرته ومشيته
ولهذا كان القائلون بهذا يقولون ان الخلق حادث لا يقولون هو مخلوق
وتنازعوا هل يقال انه محدث على قولين وكذلك يقولون انه يتكلم بمشيته وقدرته
وكلامه حديث وهو احسن الحديث وليس بمخلوق باتفاقهم ويسمى حديثا
وحادثا وهل يسمى محدثا على قولين لهم ومن كان من عادته انه لا يطلق لفظ المحدث
الا على المخلوق المنفصل كما ان هذا الاصطلاح هو المشهور عند المتناظرين

الذين

الذين تناظروا في القران في محنة الامام احمد وكانوا لا يعرفون للمحدث معنى الا المخلوق
المنفصل فعلى هذا الاصطلاح لا يجوز عند اهل السنة ان يقال القران محدث بل من
قاله فقد قال انه مخلوق ولهذا انكر الامام احمد هذا الاطلاق على داود لما كتب اليه
انه تكلم به لكن فطن الذين يتكلمون بهذا الاصطلاح انه اراد هذا فانكر ائمة السنة
وداود نفسه لم يكن هذا قصده بل هو وائمة اصحابه متفقون على ان القران كلام الله
غير مخلوق وانما كان مقصوده انه قائم بنفسه وهو قول غير واحد من ائمة السنة
وهو قول البخاري وغيره والنزاع في ذلك بين اهل السنة لفظي فانهم متفقون على انه ليس
بمخلوق منفصل ومتفقون على ان كلام الله قائم بذاته وكان ائمة السنة كاحمد وامثاله
والبخاري وامثاله وداود وامثاله وابن المبارك وامثاله وابن خزيمة وعثمان ابن سعيد
الدارمي وابن ابي شيبة وغيرهم متفقون على ان الله يتكلم بمشيته وقدرته ولم يقل احد
منهم ان القران قديم واول من اشتهر عنه انه قال ذلك هو ابن كلاب وكان الامام احمد
يحذر من الكلابية وامر بهجر الحارث المحاسبي لكونه كان منهم وقد نقل عن الحارث
انه رجع في القران عن قول ابن كلاب وانه كان يقول ان الله يتكلم بصوت وممن ذكر
ذلك عنه الكلاباذي في كتاب التعرف لمذهب التصوف **والمقصود** هنا ان قول
القائل لو كان خلقه للاشيا ليس هو الاشيا لافتقر الخلق الى خلق اخر فيكون الخلق
مخلوقا ممنوع بل الخلق يحصل بقدرة الرب ومشيته والمخلوق يحصل بالخلق

واما المقدمة الخامسة وهو ان ذلك يفضي الى التسلسل فهذه المقدمة
يقال عليها وجهين احدهما ان الخلق يفتقر الى خلق وذلك الخلق الى خلق اخر كما تقدم
والثاني ان يقال هب انه لا يفتقر الى خلق لكن يفتقر الى سبب يحصل به الخلق وان لم يسم
ذلك خلقا وذلك السبب انما تم عند وجود الخلق فتمامه حادث وكل حادث فلا بد له
من سبب اذ لو كان ذلك الخلق لا يفتقر الى سبب للزم وجود الحادث بلا سبب
حادث وان قيل ان السبب التام قديم لزم من ذلك تاخر المسبب عن سببه التام وهذا
ممتنع وهنا للقائلين بان الخلق غير مخلوق وان الخلق حادث اجوبة احدها
قول من يقول ان الخلق الحادث لا يفتقر الى سبب حادث لا الى خلق ولا الى غيره

وقالوا انتم يا معشر النظار عندكم يقول قد يحدث حادث بلا سبب حادث فانه من قال
المخلوق غير المخلوق في الخلق فالمخلوقات كلها حادثة عنده بلا سبب حادث ومن قال
الخلق قديم فلا ريب ان القديم لا اختصاص له بوقت معين فالمخلوق الحادث
في وقته المعين لم يحصل له سبب حادث قالوا واذا كان هذا لازما على كل تقدير
لم يختص بجوابه بل نقول المخلوق حدث بالخلق والخلق حصل بقدرة الله ومشيئته
القديمة من غير افتقار الى سبب اخر وهذا قول كثير من الطوائف من اهل الحديث
والكلام كالكرامية وغيرهم **الجواب الثاني** ان من يقول من المعتزلة ان الخلق
الحادث قائم بالمخلوق او قائم لا بمحل كما يقولون في الارادة انها حادثة لا في
محل من غير سبب اقتضى حدوثها بل احدثها بمجرد القدرة **الجواب الثالث** جواب
معمر واصحابه الذين يسمون اهل المعاني فانهم يقولون بالتسلسل في آن واحد
فيقولون الخلق له خلق والمخلوق له خلق وللخلق اخر وهلم جرا لا الى نهاية وذلك
يفتقر الى سبب حادث وذلك سبب موجود كله في آن واحد وهذا مشهور عنهم
الجواب الرابع قول من يقول الخلق الحادث يفتقر الى سبب حادث وكذلك
ذلك السبب وهلم جرا وهذا يستلزم دوام نوع ذلك وهذا غير ممتنع فان مذهب
السلف ان الله لم يزل متكلما اذا شاء وكلماته لا نهاية لها وكل كلام مسبوق بكلام
قبله الى نهاية محدودة وهو سبحانه يتكلم بقدرته ومشيئته وكذلك يقولون الحي لا
يكون فعالا كما يقوله البخاري وذكره نعيم بن حماد وعثمان بن سعيد الدارمي وغيره
وكل منهما يذكر ان ذلك مذهب اهل السنة وهكذا يقول ذلك من اساطين الفلاسفة
من ذكر قوله بذلك في غير هذا الموضع من متقدميهم ومتاخريهم قالوا وهذا التسلسل
في الاثار والبرهان انما دل على امتناع التسلسل في المؤثرين فان هذا مما يعلم فساده
بصريح المعقول وهو مما اتفق العقلاء على امتناعه كما قد بسط الكلام عليه في غير
هذا الموضع فاما كونه سبحانه لم يزل يتكلم بكلمات لا نهاية لها وهو يتكلم بمشيئته وقدرته
فهذا هو الذي يدل عليه صحيح المنقول وصريح المعقول وهو مذهب سلف الامة
وائمتها والفلاسفة توافق على دوام هذا النوع وقدماء اساطينهم يعترفون

على

على قيام ذلك بذات الله كما يقوله ائمة المسلمين وسلفهم والذين قالوا ان ذلك ممتنع
هم اهل الكلام المحدث في الاسلام من الجهمية والمعتزلة وهم الذين استدلوا
على حدوث كل ما يقوم به الحوادث بامتناع حوادث لا اول لها ومن هنا يظهر
الاصل الثاني الذي تبتني عليه افعال الرب تعالى اللازمة والمتعدية وهو انه سبحانه
هل يقوم به الامور الاختيارية المتعلقة بقدرته ومشيئته ام لا فمذهب السلف
وائمة الحديث وكثير من طوائف الكلام والفلاسفة جواز ذلك وذهب نفاة
الصفات من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة والكلابية من مثبتة الصفات الى
امتناع قيام ذلك به اما نفاة الصفات فانهم متفقون على هذا وغيره ويقولون
هذه كلها اعراض والاعراض لا تقوم الا بجسم والاجسام محدثة فلو قامت به الصفات
لكان محدثا واما الكلابية فانهم يقولون نحن نقول تقوم به الصفات ولا نقول
هي اعراض فان العرض لا يبقى زمانين وصفات الرب تبارك وتعالى عندنا باقية بخلاف
الاعراض القائمة بالمخلوق فان الاعراض عندنا لا تبقى زمانين واما جمهور
العقلاء فنازعوهم في هذا وقالوا ان السواد والبياض الذي كان موجودا من
ساعة هو هذا السواد بعينه كما قد بسط في غير هذا الموضع **والمقصود** هنا
التنبيه على مقالات الطوائف في هذا الاصل قال الكلابية واما الحوادث فلو قامت
به للزم ان لا يخلو منها فان القابل للشيء لا يخلو منه ومن ضده واذا لم يخل منها
لزم ان يكون حادثا فان هذا هو الدليل على حدوث الاجسام هذا عمدتهم في هذا
الاصل والذين خالفوهم قد يمنعون المقدمتين كلتيهما وقد يمنعون احداهما فكثير
من اهل الكلام والحديث منعوا الاولى كالهشامية والكرامية وابي معاذ وزهير الاثري
وكذلك الرازي والامدي وغيرهما من الاشعرية منعوا المقدمة الاولى وبينوا فسادها
وانه لا دليل لمن ادعاها على دعواه بل قد يكون الشيء قابلا للشيء وهو خال منه
ومن ضده كما هو الموجود فان القائلين بهذا الاصل التزموا ان كل جسم له طعم
ولون وريح وغير ذلك من الاجناس والاعراض التي تقبلها الاجسام فقال جمهور
العقلاء هذا مكابرة ظاهرة ودعوى بلا حجة وانما التزمت الكلابية ذلك لاجل هذا الاصل

واما المقدمة الثانية وهو منع دوام الحادث فهذه يمنعها ائمة السنة والحديث
القائلين بان الله يتكلم بمشيئته وقدرته فان كلماته لانهاية لها والقائلين بانه لم يزل
فعالا كما يقوله البخاري وغيره الذين يقولون الحركة من لوازم الحياة فيمتنعون من
وجود حياة بلا حركة كما يقوله الدارمي وغيره وقد روى الثعلبي في تفسيره باسناده
عن جعفر ابن محمد الصادق انه سئل عن قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا لم خلق
الخلق فقال لان الله كان محسنا بما لم يزل فيما لم يزل الى ما لم يزل فاراد تعالى ان يفيض
احسانه الى خلقه وكان غنيا عنهم لم يخلقهم لجر منفعة ولا لدفع مضرة ولكن خلقهم
واحسن اليهم وارسل اليهم الرسل حتى يفصلوا بين الحق والباطل فمن احسن كافاه
بالجنة ومن عصى كافاه بالنار وقال ابن عباس في قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما
وكان الله عليما حكيما قال كان ولم يزل ولا يزال ويمنعها ايضا جمهور الفلاسفة
ولكن الجهمية والمعتزلة والكلابية والكرامية يقولون بامتناعها وهي من الاصول
الكبار التي ينبني عليها الكلام في كلام الله تعالى وفي خلقه وهذا القول هو اصل
الكلام المحدث في الاسلام الذي ذمه الائمة والسلف فان اصحاب هذا الكلام
من الجهمية والمعتزلة ومن اتبعهم ظنوا ان معنى كون الله خالقا لكل شيء كما
دل عليه الكتاب والسنة واتفق عليه اهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى
وغيرهم انه سبحانه وتعالى لم يزل معطلا لا يفعل شيئا ولا يتكلم بشيء اصلا بل هو وحده
موجود بلا كلام يقوله ولا فعل يفعله ثم انه احدث ما احدث من كلامه ومفعولاته
المنفصلة عنه فاحدث العالم وظنوا ان ما جاءت به الرسل واتفق عليه اهل الملل من
ان كل ما سوى الله مخلوق وان الله خالق كل شيء هذا معناه وان ضدها قول من قال بقدم
العالم او بقدم مادة فصاروا في كتبهم الكلامية لا يذكرون الا قولين احدهما قول
المسلمين ان العالم محدث ومعناه عندهم ما تقدم والثاني قول الدهرية الذين يقولون
العالم قديم وصاروا يحكون في كتب الكلام والمقالات ان مذهب اهل الملل قاطبة
من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم ان الله لم يزل لا يفعل شيئا ولا يتكلم بشيء
ثم انه احدث العالم ومذهب الدهرية ان العالم قديم والمشهور عن القائلين بقدم العالم

انه لاصانع

انه لا صانع له فينكرون الصانع جل جلاله وقد ذكر اهل المقالات ان اول من قال من الفلاسفة
وهو ارسطو صاحب التعاليم الفلسفية المنطقي له والطبيعي والالهي وارسطو
واصحابه القدماء يثبتون في كتبهم العلة الاولى ويقولون ان الفلك متحرك للتشبيه
بها فهي علة له بهذا الاعتبار اذ لولا وجود من يتشبه به الفلك لم يتحرك وحركته من
لوازم وجوده فلو بطلت حركته لفسد ولم يقل ارسطو ان العلة الاولى ابدعت الافلاك
ولا قال هو موجب بذاته بل كان عندهم ما عند سائر العقلاء ان الممكن هو الذي يمكن
وجوده وعدمه ولا يكون كذلك الا ما كان محدثا والفلك عندهم ليس بممكن بل هو
قديم لم يزل وحقيقة قولهم انه واجب لم يزل ولا يزال فلهذا لا يوجد في عامة كتب الكلام
المتقدم القول بقدم العالم الا عمن ينكر الصانع فلما اظهر من الفلاسفة كابن سينا
وامثاله ان العالم قديم عن علة موجبة بالذات قديم صار هذا قولا اخر للقائلين بقدم
العالم وازالوا به ما كان يظهر من شناعة قولهم من انكار صانع العالم وصاروا ايضا
يطلقون الفاظ المسلمين من انه مصنوع ومحدث ونحو ذلك ولكن مرادهم بذلك
ان الله احدث شيئا بعد ان لم يكن واذا قال ان الله خالق كل شيء فهذا معناه عندهم
فصار المتاخرون من المتكلمين ينكرون هذا القول والقول المعروف عند اهل
الكلام من معنى حدوث العالم الذي يحكونه عن اهل الملل كما تقدم كما يذكر ذلك
الشهرستاني والرازي والآمدي وغيرهم وهذا الاصل الذي ابتدعه الجهمية ومن
اتبعهم من اهل الكلام من امتناع دوام فعل الله وهو الذي بنوا عليه اصول
دينهم وجعلوا ذلك اصل دين المسلمين فقالوا الاجسام لا تخلو عن الحوادث
وما لا يخلو عن الحوادث او ما يسبق الحوادث فهو حادث لان ما لا يخلو عنها
ولا يسبقها يكون معها وما كان مع الحوادث او بعدها فهو حادث وكثير منهم
لا يذكر على ذلك دليلا لكون ذلك ظاهرا اذ لم يفرقوا بين نوع الحوادث وبين الحادث
المعين لكن من تفطن منهم للفرق فانه يذكر دليلا على ذلك بانه يقول الحوادث
لا تدوم بل يمتنع وجود حوادث لا اول لها ومنهم من يمنع ايضا حوادث لا اخر لها
كما يقول ذلك امام هذا الكلام الجهم ابن صفوان وابو الهذيل العلاف ولما كان

الجهم

حقيقة هذا القول ان الله سبحانه لم يكن قادرا على الفعل في الازل بل صار قادرا
على الفعل بعد ان لم يكن قادرا عليه كان هذا مما انكره المسلمون على هؤلاء حتى انه
كان من البدع التي ذكروها من بدع الاشعري في الفتنة التي جرت بخراسان لما اظهروا
لعنة اهل البدع والقصة مشهورة ثم ان اهل الكلام وائمتهم كالنظام والعلاف
وغيرهما من شيوخ المعتزلة والجهمية ومن اتبعهم من سائر الطوائف يقولون
ان دين الاسلام انما يقوم على هذا الاصل وانه لا يعرف ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا بهذا الاصل فان معرفة الرسل متوقفة على معرفة المرسل فلا بد من اثبات العلم
بالصانع اولا ومعرفة ما يجوز عليه قالوا وهذا لا يمكن معرفته الا بهذه الطريق
فانه لا سبيل الى معرفة الصانع فيما زعموا الا معرفة مخلوقاته ولا سبيل الى معرفة
ذوات المخلوقات الا بهذه الطريق فيما زعموا ويقول اكثرهم اول ما يجب على الانسان
معرفة الله ولا يمكن معرفته الا بهذه الطريق ويقول كثير منهم ان هذه طريقة
ابراهيم الخليل المذكورة في قوله لا احب الافلين قالوا فان ابراهيم استدل بالافول
وهو الحركة والانتقال على ان المتحرك لا يكون الها قالوا ولهذا يجب تاويل ما ورد
عن الرسول مخالفا لذلك من وصف الرب بالاتيان والمجيء والنزول وغير ذلك
فان كونه نبيا لم يعرف الا بهذا الدليل العقلي فلو قدح في ذلك لزم القدح في دليل
نبوته فلم يعرف انه رسول الله وهذا ونحوه هو الدليل العقلي الذي تقول
انه عارض السمع وتقول اذا تعارض السمع والعقل امتنع تصديقهما وتكذيبهما
وتصديق السمع دون العقل لان العقل هو اصل السمع فلو جرح اصل الشرع
كان جرحا له ولاجل هذه الطريقة انكر الجهمية والمعتزلة الصفات والرؤية
وقالوا القران مخلوق ولاجلها قالت الجهمية بفناء الجنة والنار ولاجلها قال
قال العلاف بفناء حركاتها ولاجلها ابتدع كثير من اهل الكلام كما قد بسط في غير
هذا الموضع فقال لهم الناس اما قولكم ان هذا الطريق هو الاصل في معرفة
دين الاسلام ونبوة الرسول فهذا مما يعلم فساده بالاضطرار من دين الاسلام فانه
من المعلوم لكل من علم حال الرسول واصحابه وما جاء من الايمان والقران انه لم يدع

الناس

الناس بهذا الطريق ابدا ولا تكلم بها احد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان
فكيف تكون هي اصل الايمان والذي جاء بالايمان وافضل الناس ايمانا لم يتكلموا
بها البتة ولا سلكها منهم احد والذين علموا ان هذه طريق مبتدعة حزبان
حزب ظنوا انها صحيحة في نفسها لكن اعرض السلف عنها لطول مقدماتها وغموضها
وما يخاف على سالكها من الشك والتطويل وهذا قول جماعة كالاشعري في رسالته
الى الثغر والخطابي والحليمي والقاضي ابي يعلى وابن عقيل وابي بكر البيهقي و
غير هؤلاء والثاني قول من يقول بل هذه الطريقة باطلة في نفسها ولهذا ذمها
السلف وعدلوا عنها وهذا قول ائمة السلف كابن المبارك والشافعي واحمد ابن حنبل
واسحق ابن راهويه وابي يوسف ومالك ابن انس وابن الماجشون عبد العزيز
وغير هؤلاء من السلف وحفص الفرد لما ناظر الشافعي في مسئلة القران مخلوق
و الشافعي كان قد ناظره بهذه الطريقة وكذلك ابو عيسى محمد ابن عيسى برغوث
كان من المناظرين للامام احمد ابن حنبل في مسئلة القران بهذه الطريقة وقد
ذكر الامام احمد في رده على الجهمية مما عابه عليهم انهم يقولون ان الله لا يتكلم ولا
يتحرك واما عبد الله ابن المبارك فكان مبتلى بهؤلاء في بلاده ومذهبه في مخا
لفتهم كثير وقال لهم الناس ان هذا الاصل الذي ادعيتم اثبات الصانع به وانه لا
يعرف انه خالق للمخلوقات الا به هو بعكس ما قلتم بل هذا الاصل يناقض كون
الرب خالقا للعالم ولا يمكن مع القول به القول بحدوث العالم ولا الرد على الفلاسفة
فالمتكلمون الذين ابتدعوه وزعموا انهم به نصروا الاسلام وردوا به على اعدائه
كالفلاسفة لا للاسلام نصروا ولا للعدو كسروا بل كان ما ابتدعوه مما افسدوا به
حقيقة الاسلام على من اتبعهم فافسدوا عقله ودينه واعتدوا به على من نازعهم
من المسلمين وفتحوا لعدو الاسلام بابا الى مقصوده فان حقيقة قولهم ان الرب
لم يكن قادرا ولا كان الكلام والفعل ممكنا له ولم يزل كذلك دائما مدة او تقدير مدة
لا نهاية لها ثم انه تكلم وفعل من غير سبب اقتضى ذلك وجعلوا مفعوله هو فعله
وجعلوا فعله وارادته نعلة قديمة ازلية والمفعول متاخرا وجعلوا القادر

وخلاف
مرجح احد مقدوريه على الاخر بلا مرجح وكل هذا خلاف المعقول الصريح وخلاف
الكتاب والسنة وانكروا صفاته ورؤيته وقالوا كلامه مخلوق وهو خلاف دين
الاسلام والذين اتبعوهم واثبتوا الصفات قالوا انه يريد جميع المرادات بارادة واحدة
وكل كلام تكلم به او يتكلم به انما هو شيء واحد لا يتعدد ولا يتبعض واذا رؤي
رؤي لا بمواجهة ولا معاينة وانه لم يسمع ولم ير الاشياء حتى وجدت لم يقم به انه موجود
بل حاله قبل ان يسمع ويبصر كحاله بعد ذلك الى مثال هذه الاقوال التي تخالف
المعقول الصريح والمنقول الصحيح ثم لما رات الفلاسفة ان هذا مبلغ علم هؤلاء
وان هذا هو الاسلام الذي عليه هؤلاء علموا فساد هذا اظهروا قولهم بقدم
العالم واحتجوا بان تجدد الفعل بعد ان لم يكن ممتنع بل لا بد لكل متجدد من سبب
حادث فيكون الفعل دائما ثم ادعوا دعوى كاذبة لم يحسن اولئك ان يبينوا فسادها
وهو انه اذا كان دائما لزم قدم الافلاك والعناصر ثم انهم لما ارادوا تقرير النبوة
جعلوها فيضا على نفس النبي من العقل الفعال او غيره من غير ان يكون رب العالمين
يعلم له رسولا بعينه من عيسى ومحمد وموسى صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ولا
يعلم الجزئيات ولا انزل من عنده ملك بل جبريل هو خيال يتخيل في نفس النبي وهو
العقل الفعال وانكروا ان تكون السموات تنشق وتنفطر وغير ذلك مما اخبر به الرسول
صلى الله عليه وسلم وزعموا ان ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم انما اراد به خطاب الجمهور
الجمهور مما يخيل اليهم بما ينتفعون به من غير ان يكون الامر في نفسه كذلك ومن
غير ان تكون الرسل بينت الحقائق وعلمت الناس ما الامر عليه ثم منهم من يفضل
الفيلسوف على النبي وحقيقة قولهم ان الانبياء كذبوا للمصلحة لما ادعوه من نفع
الناس وهل كانوا جهلا على قولين لهم الى غير ذلك من انواع الالحاد والكفر الصريح
والكذب على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وقد
تبين في غير هذا الموضع ان هؤلاء اكفر من اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل
وان تظاهروا بالاسلام فانهم يظهرون من مخالفة الاسلام اعظم مما كان يظهره
المنافقون الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال حذيفة ابن اليمان

رضي الله عنه

رضي الله عنه المنافقون اليوم شر من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
قيل ولم ذلك قال لانهم كانوا يسرون نفاقهم وهم اليوم يعلنونه ولم يكن على عهد
حذيفة من وصل الى هذا النفاق ولا الى قريب منه فان هؤلاء انما ظهروا في الاسلام
في الدولة العباسية واخر الدولة الاموية لما عربت الكتب اليونانية ونحوها وقد
بسط الكلام في الرد عليهم في غير هذا الموضع والمقصود هنا ان هؤلاء المتكلمين
الذين زعموا انهم ردوا عليهم لم يكن الامر على ما قالوه بل هم فتحوا لهم دهليزا الى
الزندقة ولهذا يوجد كثير ممن دخل في هؤلاء الملاحدة انما دخل من باب اولئك
المتكلمين كابن عربي وابن سبعين وغيرهما واذا قام من يرد على هؤلاء الملاحدة
فانهم يستنصرون ويستعينون باولئك المتكلمين المبتدعين ويعينهم اولئك
على من ينصر الله ورسوله فهم جندهم على محاربة الله ورسوله كما قد وجد ذلك عيانا
وادعواهم ان هذه طريقة ابراهيم الخليل في قوله لا احب الافلين كذب ظاهر على ابراهيم
فان الافول هو المغيب والاحتجاب باتفاق اهل اللغة والتفسير وهو من الامور
الظاهرة في اللغة وسواء اريد بالافول ضوء القمر والكوكب بطلوع ضوء الشمس او اريد به
سقوطه من جانب المغرب فانه اذا طلعت الشمس يقال انها غابت الكواكب واحتجبت
وان كانت موجودة في السماء ولكن طمس ضوء الشمس نورها وهذا مما ينحل به الا
شكال الوارد على الاية في طلوع الشمس بعد افول القمر وابراهيم عليه السلام
لم يقل لا احب الافلين لما راى الكوكب يتحرك والقمر والشمس بل قال ذلك حين غاب
واحتجب فان كان ابراهيم قصد بقوله الاحتجاج بالافول على نفي كون الافل رب العالمين
كما ادعوه كانت قصة ابراهيم حجة عليهم فانه لم يجعل بزوغه وحركته في السماء الى حين
المغيب دليلا على نفي ذلك بل انما جعل الدليل مغيبه فان كان ما ادعوه من مقصوده
من الاستدلال صحيحا فانه حجة على نقيض مطلوبهم وعلى بطلان كون الحركة دليل
الحدوث لكن الجواب ابراهيم عليه السلام لم يقصد هذا ولا كان قوله هذا ربي انه رب
العالمين ولا اعتقد احد من بني ادم ان كوكبا من الكواكب خلق السموات والارض
ولذلك الشمس والقمر ولا كان المشركون قوم ابراهيم يعتقدون ذلك بل كانوا مشركين

ويعبدون الكواكب ويدعونها ويبنون لها الهياكل ويعبدون فيها اصنامهم وهو
دين الكنعانيين والكسرانيين والصابئين المشركين لا الصابئين الحنفاء وهم
الذين صنف صاحب السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم كتابه على دينهم وهذا دين
كان كثير من اهل الارض عليه بالشام والجزيرة والعراق وغير ذلك وكانوا قبل ظهور
دين المسيح عليه السلام وكان جامع دمشق وجامع حران وغيرهما موضع بعض
هياكلهم هذا هيكل المشتري وهذا هيكل الزهرة وكانوا يصلون الى القطب
الشمالي وبدمشق مساجد فيها محاريب قديمة الى الشمال والفلاسفة اليونانيون
كانوا من جنس هؤلاء مشركين يعبدون الكواكب والاصنام ويصنعون السحر
وكذلك اهل مصر وغيرهم وجمهور المشركين كانوا مقرين برب العالمين والمنكر له
قليل مثل فرعون ونحوه وقوم ابراهيم كانوا مقرين بالصانع ولهذا قال الخليل
افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين
فعادى كل ما يعبدونه الا رب العالمين وقال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في
ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا
بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول
ابراهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء وقال الخليل اتعبدون
ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون وقال تعالى في سورة الانعام فلما افلت قال
يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا
وما انا من المشركين وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان
ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما افلا تتذكرون
وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به [عليكم] سلطانا فاي
الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك
لهم الامن وهم مهتدون وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات
من نشاء ان ربك حكيم عليم ولما فسر هؤلاء الافول بالحركة وفتحوا باب تحريف
الكلم عن مواضعه دخلت الملاحدة من هذا الباب ففسر ابن سينا وامثاله من الملاحدة

الافول

الافول بالامكان الذي ادعوه حيث قالوا ان الافلاك قديمة ازلية وهي مع ذلك
ممكنة ولذلك ما فيها من الكواكب والنيرين قالوا فقول ابراهيم لا احب الافلين اي لا
احب الممكن المعلول وان كان قديما ازليا واين في لفظ الافول ما يدل على هذا المعنى
ولكن هذا شان المحرفين للكلم عن مواضعه وجاء من بعدهم من جنس من زاد في
التحريف فقال المراد بالكوكب والشمس والقمر هو النفس والعقل الفعال والعقل
الاول وقد ذكر ذلك ابو حامد في بعض كتبه وحكاه عن غيره في بعضها وقال
هؤلاء الكواكب والشمس والقمر لا يخفى على عاقل انها ليست رب العالمين بخلاف
النفس والعقل ودلالة لفظ الكواكب والشمس والقمر على هذه المعاني لو كانت
موجودة من عجائب تحريفات الملاحدة والباطنية كما يتاولون العلميات مع العمليات
ويقولون الصلوات الخمس معرفة اسرارنا وصيام شهر رمضان كتمان اسرارنا والحج هو
الزيارة لشيوخنا المقدسين وفتح لهم هذا الباب الجهمية والرافضة حتى صار بعضهم
يقول الامام المبين علي بن ابي طالب والشجرة الملعونة في بنو امية والبقرة المامور
بذبحها عائشة واللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين وقد شاركهم في نحو هذه التحريفات
طائفة من الصوفية وبعض المفسرين كالذين يقولون والتين والزيتون وطور
سينين وهذا البلد الامين ابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وكذلك قوله
كزرع اخرج شطأه ابو بكر فازره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على سوقه علي
وقول بعض الصوفية اذهب الى فرعون انه طغى هو القلب ان الله يامركم ان تذبحوا
بقرة هي النفس وامثال هذه التحريفات لكن منها ما يكون معناه صحيحا وان لم يكن
هو المراد باللفظ وهو الاكثر في الاشارات الصوفية وبعض ذلك لا يجعل تفسيرا
بل يجعل من باب الاعتبار والقياس وهذه طريقة صحيحة علمية كما في قوله لا
يمسه الا المطهرون وقول الملائكة لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب فاذا كان ورقه لا
يمسه الا المطهر طاهر البدن فمعانيه لا يهتدي لها الا القلوب الطاهرة واذا
كانت الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب فالمعاني التي تحبها الملائكة لا تدخل قلبا فيه اخلاق
الكلاب المذمومة ولا تنزل الملائكة على هؤلاء وهذا له بسط في موضع اخر

والمقصود

هنا ان اولئك المبتدعة من اهل الكلام لما فتحوا باب القياس الفاسد في العقليات
والتاويل الفاسد في السمعيات صار ذلك دهليزا للزنادقة الملحدين الى ما هو اعظم
من ذلك من السفسطة في العقليات والقرمطة في السمعيات وصار كل من زاد في ذلك
شيا دعاه الى ما هو شر منه حتى انتهى الامر بالقرامطة الى ابطال الشرائع المعلومة
كلها كما قال لهم رئيسهم بالشام قد اسقطنا عنكم العبادات فلا صوم ولا حج ولا
صلاة ولا زكاة ولهذا قال من قال من السلف البدعة بريد الكفر والمعاصي بريد
الكفر ولما اعتقد ائمة الكلام المبتدع ان معنى كون الله خالقا لكل شي هو ما تقدم
انه لم يزل غير فاعل لشي ولا متكلم بشي حتى احدث العالم لزمهم ان يقولوا ان القران
وغيره من كلام الله مخلوق منفصل باين عنه فانه لو كان له كلام قديم او كلام غير مخلوق
لزم قدم العالم على الاصل الذي اصلوه لان الكلام قد عرف العقلا انه يكون
بقدرة المتكلم ومشيته واما كلام يقوم بذات المتكلم بلا قدرة ولا مشية فهذا لا يتصوره
احد من العقلا ولا يعرف ان احدا قاله بل ولا يخطر ببال جماهير الناس حتى احدث
القول به ابن كلاب وانما الجاه الى اولئك المتكلمين لما ظهر وا موجب اصلهم
وهو القول بان القران مخلوق اظهروا ذلك في اوائل المائة الثالثة فلما سمع
ذلك علما الامة انكروا ذلك ثم صار كل ما ظهر قولهم انكره العلما وكلام السلف
والائمة في ذلك مشهور متواتر الى ان صار هولا المتكلمين الكلام المحدث
في دولة المامون وادخلوه في ذلك والقوا اليه الحجج التي لهم وقالوا لا بد ان يكون
العالم مخلوقا او قديما وهذا الثاني كفر ظاهر معلوم فساده بالعقل والشرع
واذا كان العالم مخلوقا محدثا بعد ان لم يكن لم يبق قديم الا الله وحده فلو كان
العالم قديما لزم ان يكون مع الله قديم وكذلك الكلام ان كان قديما بذاته لزم
دوام الحوادث وقيامها بالرب وهذا يبطل الدليل الذي اشتهر بينهم على حدوث
العالم وان كان منفصلا عنه لزم وجود المخلوق في الازل وهذا قول بقدم
العالم فلما امتحن الناس واشتهرت هذه المحنة وثبت الله من ثبته من الائمة
السنة وكان الامام احمد رحمه الله الذي ثبته الله وجعله اماما للسنة حتى صار

٢ هذا كان صح

اهل

اهل العلم بعد ظهور المحنة يمتحنون الناس به فمن وافقه كان سنيا وان كان بدعيا
هو احمد ابن حنبل فثبت على ان القران كلام الله غير مخلوق وكان المامون لما
صار الى الثغر بطرسوس كتب بالمحنة كتابا الى نايبه بالعراق اسحق بن ابراهيم
فدعا العلما والقضاة فامتنعوا عن الاجابة والموافقة فاعاد عليه الجواب فكتب
كتابا ثانيا يقول فيه عن القاضيين بشر ابن الوليد وعبد الرحمن ابن اسحق ان لم يجيبا
فاضرب اعناقهما وعن الباقين ان لم يجيبوا فقيدهم وارسلهم الي فاجاب القاضيان
وذكرا لاصحابهما انهما مكرهان واجاب اكثر الناس قبل ان يقيدهم لما راوا الوعيد
وصمم ستة انفس فقيدهم فلما قيدوا اجاب الباقون الا اثنين احمد ابن حنبل
ومحمد ابن نوح النيسابوري فارسلوهما فمات محمد ابن نوح في الطريق ومات المامون
قبل ان يصل احمد اليه وتولى اخوه ابو اسحق وولى القضا احمد ابن ابي داود واقام
احمد في الحبس من سنة ثمان عشر الى سنة عشرين ثم انهم طلبوه وناظروه اياما
متعددة فدفع حججهم وبين فسادها وانهم لم ياتوا على ما يقولونه بحجة لا من
كتاب ولا من سنة ولا من اثر وليس لهم ان يبتدعوا قولا ويلزموا الناس موا
عليه ويعاقبون من خالفهم وانما الزمهم الله ورسوله ويعاقب من عصى الله ورسوله
فان الايجاب والتحريم والثواب والعقاب والتكفير والتفسيق هو الى الله ورسوله
ليس لاحد في هذا حكم وانما على الناس ايجاب ما اوجبه الله ورسوله وتحريم
ما حرم الله ورسوله وجرت في ذلك امور يطول شرحها ولما اشتهر هذا وتبين
للناس باطن امرهم وانهم معطلة للصفات يقولون ان الله لا يرى ولا له علم ولا قدرة
وانه ليس فوق العرش ولا على السموات اله وان محمدا لم يعرج به الى ربه الى غير ذلك
من اقوال الجهمية النفاة كثر رد الطوائف عليهم بالقران والحديث والاثار
وبالكلام الحق تارة وبالباطل تارة وكان ممن انتدب للرد عليهم ابو محمد عبد الله
ابن سعيد ابن كلاب وكان له فضل وعلم ودين ومن قال ابتدع ما ابتدعه ليظهر
دين النصارى في المسلمين كما يذكره طائفة من امثاله ويذكرون انه اوصى اخته
بذلك فهذا كذب عليه وانما افترى عليه هذا المعتزلة والجهمية الذين رد عليهم

فقتهم

فانهم يزعمون ان من اثبت الصفات فقد قال بقول النصارى وقد ذكر مثل ذلك
عنهم الامام احمد في الرد على الجهمية وصار ينقل هذا من ليس من المعتزلة من السالمية
ويذكرها اهل الحديث والفقها ينفرون عنه لبدعته في القران يستعينون بمثل
هذا الكلام الذي هو من افترا الجهمية والمعتزلة عليه ولا يعلم هؤلاء ان
الذين ذموه بمثل هذا هم شر منه وهو خير واقرب الى السنة منهم وكان ابو الحسن
الاشعري لما رجع عن الاعتزال سلك طريقة ابي محمد ابن كلاب فصار طائفة
ينتسبون الى السنة والحديث من السالمية وغيرهم كابي علي الاهوازي يذكرون
في مثالب ابي الحسن اشياء هي من افتراء المعتزلة وغيرهم عليه لان الاشعري بين
من تناقض اقوال المعتزلة وفسادها ما لم يبينه غيره حتى جعلهم في قمع السمسمة
وابن كلاب لما رد على الجهمية لم يهتد لفساد اصل الكلام المحدث الذي ابتدعوه في
دين الاسلام بل وافقهم عليه وهؤلاء الذين يذمون ابن كلاب والاشعري بالباطل
هم من اهل الحديث فالسالمية من الحنبلية والشافعية والمالكية وغيرهم كثير منهم
موافق لابن كلاب والاشعري على هذا موافق للجهمية على اصل قولهم الذي ابتدعوه
وانهم اذا تكلموا في مسئلة القران وانه غير مخلوق اخذوا كلام ابن كلاب
والاشعري فناظروا به المعتزلة والجهمية واخذوا كلام الجهمية والمعتزلة
فناظروا به هؤلاء وركبوا قولا محدثا من قول هؤلاء وقول هؤلاء لم يذهب
اليه احد من السلف ووافقوا ابن كلاب والاشعري وغيرهما على قولهم ان القران
قديم واحتجوا بما ذكره هؤلاء على فساد قول المعتزلة والجهمية وهم مع هؤلاء
وجمهور المسلمين يقولون ان القران العربي كلام الله وقد تكلم به بحرف وصوت
فقالوا ان الحروف والاصوات قديمة الاعيان او الحروف بلا اصوات وان البا والسين
والميم مع تعاقبها في ذاتها فهي ازلية الاعيان لم تزل ولا تزال كما قد بسط الكلام
على اقوال الناس في القران في موضع اخر والمقصود هنا التنبيه على اصل
مقالات الطوائف فابن كلاب احدث ما احدثه لما اضطره الى ذلك من دخول
كلام المتكلمين فيه قبله وقد بين فساد قولهم بنفي علو الله ونفي صفاته وصنف

كتبا

كتبا كثيرة في اصل التوحيد والصفات وبين ادلة كثيرة عقلية على فساد قول الجهمية
وبين فيها ان علو الله على خلقه ومباينته لهم من المعلوم بالفطرة والادلة
العقلية القياسية كما دل على ذلك الكتاب والسنة وكذلك ذكرها الحارث المحاسبي
في كتاب فهم القران وغيره بين فيه من علو الله واستوائه على عرشه ما بين به
فساد قول النفاة وقدح فيه كثير من النظار الذين فهموا اصل المتكلمين
بثبوت الصفات وانكار القول بان كلامه مخلوق فخرجوا بهذه الطريقة
التي سلكها ابن كلاب كابي العباس القلانسي وابي الحسن الاشعري والثقفي ومن
تبعهم كابي عبد الله ابن مجاهد واصحابه والقاضي ابي بكر وابي اسحق الاسفرائيني
وابي بكر ابن فورك وغير هؤلاء وصار هؤلاء يردون على المعتزلة ما رده عليهم
ابن كلاب والقلانسي والاشعري وغيرهم من مثبتة الصفات فبينوا فساد
قولهم بان القران مخلوق وغير ذلك وكان في هذا من كسر سورة المعتزلة
والجهمية ما فيه من ظهور شعار السنة وهو القول بان القران كلام الله غير
مخلوق وان الله يرى في الاخرة واثبات الصفات والقدر وغير ذلك من اصول
السنة لكن الاصل الذي بنا عليه ابن كلاب قوله في كلام الله وصفاته هو اصل
الجهمية والمعتزلة بعينه وصاروا اذا تكلموا في خلق السموات والارض وغير ذلك
من المخلوقات انما يتكلمون بالاصل الذي ابتدعه الجهمية ومن اتبعهم فيقولون قول
اهل الملة كما نقله اولئك ويقررونه بحجة اولئك وكانت محنة الامام احمد سنة
عشرين ومائتين ومنها شرعت القرامطة الباطنية يظهرون قولهم فان كتب
الفلاسفة قد عربت وعرف الناس اقوالهم فلما رات الفلاسفة ان القول المنسوب
الى الرسول صلى الله عليه وسلم واهل ملته هو هذا القول الذي يقوله المتكلمون الجهمية
ومن اتبعهم وراوا ان هذا القول فاسد من جهة العقل طمعوا في تغيير الملة
فمنهم من اظهر انكار الصانع واظهروا الكفر الصريح وقاتلوا المسلمين واخذوا
الحجر الاسود كما فعلته قرامطة البحرين وكان قبلهم قد فعل بابك الخرمي مع المسلمين
ما هو مشهور وقد ذكر القاضي ابو بكر الباقلاني وغيره من كشف اسرار الباطنية

وهتك استارهم انه كان منهم ومن الباطنية الخرمية وصاروا يحتجون في كلامهم
وكتبهم بحجج قد ذكرها ارسطو واتباعه من الفلاسفة وهو ان الحركة يمتنع ان يكون
لها ابتدا ويمتنع ان يكون للزمان ابتدا ويمتنع ان يصير الفاعل فاعلا بعد ان لم يكن
فاعلا فصار هؤلاء الفلاسفة وهؤلاء المتكلمون كلاهما يستدل على قوله
بالحركة فارسطو واتباعه يقولون ان الحركة يمتنع ان يحدث نوعها بعد ان لم يكن
ويمتنع ان يصير الفاعل فاعلا بعد ان لم يكن لانه من المعلوم بالصريح المعقول ان
الذات اذا كانت لا تفعل شيا ثم فعلت بعد ان لم تفعل فلا بد من حدوث الحوادث
والا فاذا قدرت على حالها وكانت لا تفعل فهي الان لا تفعل فاذا كانت الان تفعل
لزم دوام فعلها ويقولون قبل وبعد مستلزم للزمان فمن قال بحدوث الزمان
لزمه القول بقدمه من حيث هو قائل بحدوثه ويقولون الزمان مقدار الحركة
فيلزم من قدمه قدمها ويلزم من قدم الحركة قدم المتحرك وهو الجسم فيلزم ثبوت
جسم قديم ثم يجعلون ذلك الجسم القديم هو الفلك ولكن ليس لهم على هذا حجة
كما قد بسط في غير هذا موضع اخر وصار المتكلمون من الجهمية والمعتزلة
والكلابية والكرامية يردون عليهم يدعون ان القادر المختار يرجح احد المقدورين
المتماثلين على الاخر المماثل له بلا سبب اصلا وعلى هذا الاصل بنوا كون الله خالق
المخلوقات ثم ان نفاة الصفات يقولون يرجح بمجرد القدرة وكذلك اصل القدرية
والمعتزلة جمعت بين الامرين واما المثبتة كالكلابية والكرامية فيدعون انه
يرجح بمشيئة قديمة ازلية وكلا القولين مما ينكره جمهور العقلا ولهذا صار
كثير من المصنفين في هذا الباب كالرازي ومن قبله من ائمة الكلام والفلسفة
كالشهرستاني ومن قبله من طوائف الكلام والفلسفة لا يوجد عندهم الا العلة
الفلسفية والقادر المعتزلية والارادة الكلابية وكل من الثلاث منكر
في العقل والشرع ولهذا كانت بحوث الرازي في مسئلة القادر المختار في غاية
الضعف من جهة المسلمين وهي لقول الدهرية اظهر ادلة واحتج اهل الكلام
المبتدع بانه يمتنع وجود حادث لا اول لها ويقولون لو وجد حوادث لا اول

لكنا

لكنا اذا قدرنا ما وجد قبل الطوفان وما وجد قبل الهجرة وقابلنا بينهما فاما ان
يتساويا وهو ممتنع لانه لا يكون الزائد مثل الناقص واما ان يتفاضلا فيكون
ما لا يتناهى يتفاضلا وهو ممتنع ويذكرون حججا اخرى قد بسط الكلام عليها في غير
هذا الموضع وقد تكلم الناس على هذه الحجة ونحوها وبينوا فسادها بان التفاضل
انما يقع من الطرف المتناهي لا من الطرف الذي لا يتناهى واما هذا منقوض
بالحوادث المستقبلة فان كون الحادث ماضيا او مستقبلا امر اضافي ولهذا
منع ائمة هذا القول كجهم والعلاف وجود حوادث لا تتناهى في المستقبل وقال
جهم بفناء الجنة والنار وقال العلاف بفناء الحركات وهذا كله مبسوط في موضع
اخر وصار طائفة اخرى قد عرفت كلام هؤلاء وكلام هؤلاء كالرازي والامدي و
غيرهما يصنفون الكتب الكلامية فينصرون فيها ما ذكره المتكلمون المبتدعون
عن اهل الملة من حدوث العالم بطريقة المتكلمين المبتدعة وهو امتناع حوادث
لا اول لها وان الزمان والحركة والجسم لها ابتدا ثم يصنفون الكتب الفلسفية
كتصنيف الرازي المباحث المشرقية ونحوها ويذكرون فيها ما احتج به المتكلمون
على امتناع حوادث لا اول لها وان الزمان والحركة والجسم لها بداية ثم ينقض ذلك
كله ويجيب عنه ويقرر حجة من قال ان ذلك لا بداية له وليس هذا تعمدا منه لنصر
باطل بل يقول بحسب ما توافقه الادلة العقلية في نظره وبحثه فاذا وجد في المعقول
بحسب نظره ما يقدح به في كلام الفلاسفة قدح فان من شان البحث المطلق
بحسب ما نظر له فهو يقدح في كلام هؤلاء بما يظهر له انه قادح فيه من كلام هؤلاء
وكذلك يصنع بالاخرين ومن الناس من يسي به الظن وهو انه يتعمد الكلام الباطل
وليس كذلك بل تكلم بحسب مبلغه من العلم والنظر والبحث في كل مقام بما يظهر له وهو
متناقض في عامة ما يقوله يقرر شيا ثم ينقضه في موضع اخر لان المواد العقلية
التي كان ينظر فيها من كلام اهل الكلام المبتدع المذموم عند السلف ومن كلام الفلاسفة
الخارجة عن الملة تشتمل على كلام باطل وكلام هؤلاء وكلام هؤلاء فيقرر كلام
طائفة ثم ينقضه في موضع اخر بما ينقض به ولهذا اعترف في اخر عمره فقال لقد تاملت

الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ورأيت
أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الإثبات الرحمن على العرش استوى إليه يصعد
الكلم الطيب واقرأ في النفي ليس كمثله شيء ولا يحيطون به علما ومن جرب
مثل تجربتي عرف مثل معرفتي وأما الآمدي فإنه غلب عليه الحيرة والوقف في الأ
صول الكبار حتى إنه أورد على نفسه سؤالا في تسلسل العلل وزعم أنه لا يعرف عنه جوابا
وبنا إثبات الصانع على ذلك فلا يقرر في كتبه لا إثبات الصانع ولا حدوث العالم ولا
وحدانية الله ولا النبوات ولا شيئا من الأصول التي يحتاج إلى معرفتها وأما الرازي
وإن كان يقرر بعض ذلك فالغالب على ما يقرره أنه ينقضه في موضع آخر لكن هو أحرص
على تقرير الأصول التي يحتاج إلى معرفتها من الآمدي ولقد جمع ما تبرهن في العقل
الصريح من كلام هؤلاء وهؤلاء لوجد جميعه موافقا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم
ووجد صريح المعقول مطابقا لصحيح المنقول لكن لم يعرف هؤلاء حقيقة ما جاء
به الرسول وحصل اضطراب في المعقول فحصل تقصير في معرفة السمع والعقل
وإن كان هذا التقصير هو منتهى قدرة صاحبه لا يقدر على إزالته فالعجز يكون
عذرا للإنسان في أن الله لا يعذبه إذا اجتهد الاجتهاد التام هذا على قول السلف
والأئمة في أن من اتقى الله ما استطاع إذا عجز عن معرفة بعض الحق لم يعذبه
وأما من قال من الجهمية ونحوهم إنه قد يعذب العاجزين ومن قال من المعتزلة
ونحوهم من القدرية إن كل مجتهد فلا بد أن يعرف الحق وإن لم يعرفه فلتفريطه
لا لعجزه فهما قولان ضعيفان وبسببهما صارت الطوائف المختلفة من أهل القبلة



يكفر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا فمقال لأرسطو وأتباعه ممن رأى دوام
الفاعلية ولوازمها العقل الصريح لا يدل على قدم شيء بعينه من العالم لا الفلك
ولا غيره وإنما يدل على أن الرب لم يزل فاعلا وحينئذ فإذا قدر أنه لم يزل يخلق
شيئا بعد شيء كان كل ما سواه مخلوقا محدثا مسبوقا بالعدم ولم يكن من العالم
شيء قديم وهذا التقدير ليس معكم ما يبطله فلماذا تنفونه ونفس قدر الفعل هو المسمى
بالزمان فإن الزمان إذا قيل إنه مقدار الحركة كان جنس الزمان مقدار جنس الحركة

لا يتعين

لا يتعين في ذلك أن يكون هو مقدار حركة الشمس أو الفلك وأهل الملل متفقون على أن الله
خلق السموات والأرض في ستة أيام وخلق ذلك من مادة كانت موجودة قبل هذه
السموات وهو الدخان الذي هو البخار كما قال تعالى ثم استوى إلى السماء وهي دخان
فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وهذا الدخان هو بخار
الماء الذي كان حينئذ موجودا كما جاءت بذلك الآثار عن الصحابة والتابعين وكما
عليه أهل الكتاب كما ذكر هذا كله في موضع آخر وتلك الأيام لم تكن مقدار حركة هذه
الشمس وهذا الفلك فإن هذا مما خلق في تلك الأيام بل تلك الأيام مقدرة بحركة أخرى
وكذلك إذا أشق الله هذه السموات وأقام القيمة وأدخل أهل الجنة الجنة قال تعالى
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقد جاءت الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم بأنه تبارك
وتعالى يتجلى لعباده المؤمنين يوم الجمعة وأن أعلاهم منزلة من يرى الله تعالى كل يوم
مرتين وليس في الجنة شمس ولا قمر ولا هناك حركة فلك بل ذلك مقدر بحركات كما جاء
في الآثار أنهم يعرفون ذلك بأنوار تظهر من جهة العرش وإذا كان مدلول الدليل
العقلي أنه لا بد من قديم تقوم به الأفعال شيئا بعد شيء فهذا إنما يناقض قول المبتدعة
من أهل الملل الذين ابتدعوا الكلام المحدث الذي ذمه السلف والأئمة والذين
قالوا إن الرب لم يزل معطلا عن الفعل والكلام فصار ما علمه العقلاء من أصناف
الأمم الفلاسفة وغيرهم بصريح المعقول هو عاضدا وناصرا لما جاء به الرسول
صلى الله عليه وسلم على من ابتدع في ملته ما خالف أقواله وكان ما علم بالشرع هو
مع صريح العقل أيضا رادا لما تقوله الفلاسفة الدهرية من قدم شيء من العالم
مع الله بل القول بقدم العالم قول جماهير العقلاء على بطلانه فليس أهل الملة وحدهم
تبطله بل أهل الملل كلهم وجمهور من سواهم من المجوس وأصناف المشركين مشركي
العرب ومشركي الهند وغيرهم من الأمم وجماهير أساطين الفلاسفة كلهم
معترفون بأن هذا العالم محدث كائن بعد أن لم يكن عامتهم معترفون بأن الله
خالق كل شيء والعرب المشركون كلهم معترفون بأن الله خالق كل شيء وأن هذا
العالم كله مخلوق والله خالقه وربه وهذه الأمور مبسوطة في موضعها

والمقصود هنا الكلام على ما يحتاج اليه من معرفة حديث النزول وامثاله
وهما الاصلان المتقدمان ومن تمام الاصل الثاني لفظ الحركة هل يوصف الله
بها ام يجب نفيها عنه اختلف فيه المسلمون وغيرهم من اهل الملل وغير اهل
الملل من اهل الحديث واهل الكلام واهل الفلسفة على ثلاثة اقوال وهذه
الثلاثة موجودة في اصحاب الائمة الاربعة من اصحاب الامام احمد وغيرهم وقد
ذكر القاضي ابو يعلى الاقوال الثلاثة عن اصحاب احمد في كتاب الروايتين والوجهين
وغيره لكن من الكتب وقبل ذلك ينبغي ان يعرف ان لفظ الحركة والانتقال والتغير
والتحول ونحو ذلك مجملة فان المتكلمين انما يطلقون لفظ الحركة على الحركة الكائنة
وهو انتقال الجسم من مكان الى مكان بحيث يكون قد فرغ الحيز الاول وشغل الثاني
كحركة اجسامنا من حيز الى حيز وحركة الهوى والما والتراب والسحاب من حيز
الى حيز بحيث يشغل الثاني فاكثر المتكلمين لا يعرفون للحركة معنى الا هذا
ومن هذا نفوا ما جاء به النصوص من انواع جنس الحركة فانهم ظنوا ان جميعها
انما تدل على هذا وكذلك من اثبتها وفهم منها كلها جميعها هذا كالذين فهموا من
نزوله الى السماء الدنيا انه يبقى فوقه بعض مخلوقاته فلا يكون هو الظاهر الذي
ليس فوقه شي ولا يكون هو العلي الاعلى ويلزمهم ان لا يكون مستويا على العرش
بحال كما تقدم والفلاسفة يطلقون الحركة على كل ما فيه تحول من حال الى حال
ويقولون ايضا حقيقة الحركة هي الحدوث او الحصول او الخروج من القوة
الى الفعل يسيرا يسيرا بالتدريج قالوا وهذه العبارات تدل دالة على معنى
الحركة وقد يحدون بها الحركة وهم متنازعون في الرب تعالى هل تقوم به جنس
الحركة على قولين واصحاب ارسطو جعلوا الحركة مختصة بالاجسام ويصفون
النفس بنوع من الحركة وليست عندهم جسما فيثبتا فصون وكانت الحركة
عندهم ثلاثة انواع فزاد ابن سينا فيها قسما رابعا فصارت اربعة ويجعلون
الحركة جنسا تحته انواع حركة في الكيف وحركة في الكم وحركة في الوضع و
حركة في الاين فالحركة في الكيف هي تحول الشي من صفة الى صفة مثل اسوداده

يفرغ الاول صح

واحمراره

واحمراره واخضراره ومثل ما يصير حلوا وحامضا ومثل تغير رايحه وكذلك
في النفوس كعلم الانسان بعد جهله وحبه بعد بغضه وايمانه بعد كفره وفرحه
بعد حزنه ورضاه بعد غضبه كل هذه الاحوال النفسانية هي حركة الكيف وهذا
مما احتج به من جوز منهم الحركة فان ارادته لاحداث الشي عندهم حركة والحركة
في الكم مثل امتداد الشي مثل كبر الحيوان بعد صغره وطوله بعد قصره ومثل
امتداد الشجر والنبات وامتداد عروقه في الارض واغصانه في الهوى فهذا حركة
في المقدار والكمية كما ان الاول حركة في الصفات والكيفية واما الحركة في الوضع فمثل
دوران الشي في موضع واحد كدوران الفلك والنجم الذي يسمى الدولاب وحركة
الرحى وغير ذلك فانه لا ينتقل من حيز الى حيز بل حيزه واحد لكن تختلف اوضاعه
فيكون الحيز منه تارة محاذيا للجهة اليسرى العليا فيصير محاذيا للجهة السفلى
او للجهة اليمنى فيصير محاذيا للجهة اليسرى وهذا القول يقولون انه ابن سينا زاده
والرابع الحركة في الاين وهي الحركة الكاينة وهو انتقال من حيز الى حيز
واما عموم اهل اللغة فيطلقون لفظ الحركة على جنس الفعل فكل من فعل
فعلا فقد تحرك عندهم ويسمون احوال النفس حركة فيقولون تحركت فيه المحبة
وتحركت الحمية وتحرك غضبه وتوصف هذه الاحوال بالحركة والسكون فيقال
سكن غضبه قال تعالى ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح فوصف الغضب
بالسكوت وفي قراءة ابن مسعود ومعاوية ابن قرة وعكرمة ولما سكن بالنون
وعلى القراءة المشهورة بالتا قال المفسرون سكت الغضب اي سكن وكذلك
قال اهل اللغة الزجاج وغيره قال الجوهري سكت الغضب مثل سكن فالسكوت
اخفض فكل ساكت ساكن وليس كل ساكن ساكتا واذا وصف بالسكون دل
على انه متحرك وهذا وصف للاعراض النفسانية بالحركة والسكون والاشعري
قد استدل على ان الحركة وانواعها لا تختص بالاجسام بما يوجد من استعمالهم
ذلك في الاعراض قال فانهم يقولون جاءت الحمى وجاء البرد وجاءت العافية و
جاء الشتا وجاء الحر ونحو ذلك مما يوصف بالمجي والاتيان من الاعراض ويجي

هذه الاعراض حدوث وتغير وتحول من حال الى حال فان قيل ما وصف
بالحركة والسكون من هذه الاعراض فانما هو لتحرك المحل الحامل لذلك العرض
والا فالعرض لا يقوم بنفسه ولا يفارق محله فان الحمى والحر والبرد تقوم بالهوى
الذي يحمل الحر والبرد وكذلك الغضب هو غليان دم القلب لطلب الانتقام وهذا
حركة الدم فاذا سكن غليان الدم سكن الغضب قيل ليس الامر كذلك بل هذا
يستعمل فيما يحدث من الاعراض في المحل شيئا فشيئا وان لم يكن هناك جسم ينقل
معه كما تقوم من الحركة في الكيفيات والصفات فان الماء اذا سخن حدثت فيه الحرارة وسخن
الوعا الذي فيه الما من غير انتقال جسم حار اليه واذا وضع الماء في المكان البارد
برد من غير انتقال جسم بارد اليه وكذلك الحمى حرارة او برودة تقوم بالبدن من
من غير ان ينقل الى كل جزء من البدن جسم حار او بارد والغضب وان كان بعض الناس
يقول انه غليان دم القلب فهو صفة تقوم بنفس الغضبان غير غليان دم القلب
وانما ذلك اثره فان حرارة الغضب يسخن الدم حتى يغلي فان مبدا الغضب من النفس
هي التي تتصف به اولا ثم يسري ذلك الى الجسم وكذلك الحزن والفرح وسائر الاحوال
النفسانية والحزن يوجب دخول الدم ولهذا يصفر لون الحزين وهو من الاحوال
النفسانية لكن الحزين يستشعر العجز عن دفع المكروه الذي اصابه وياس
من ذلك فيغور دمه والغضبان يستشعر قدرته على الدفع والعاقبة فينبسط
الدم والحركة والسكون والطمانينة التي توصف بها النفس ليست مماثلة لما
يوصف به الجسم قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب والاطمينان هو السكون
قال الجوهري اطمان الرجل طمئنانا وطمانينة اي سكن قال تعالى يا ايتها النفس
المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية وكذلك للقلوب سكينة مناسبتها قال
تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
وكذلك الريب حركة النفس للشك ومنه الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بظبي حاقف
فقال لا يريبه احد يقال رابني منه ريب ودع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الكذب
ريبة والصدق طمانينة فجعل الطمانينة ضد الريبة وكذلك اليقين ضد الريب

النفسانية م

واليقين

واليقين يتضمن معنى الطمانينة والسكون ومنهما يقويه ولذلك يقال انزعج
وازعجته فانزعج اي اقلقته يقال ذلك لمن قلقت نفسه وبدنه حتى فارق مكانه
ولذلك يقال قلقت نفسه واضطربت نفسه ونحو ذلك من انواع الحركة ويسمى ما
يالفه جنس الانسان ويحبه سكنا لانه يسكن اليه ويقال فلان يسكن الى فلان
ويطمئن اليه ويقال القلب سكن الى فلان ويطمئن اليه اذا كان مامونا معروفا
بالصدق فان الصدق يورث الطمانينة والسكون وقد سميت الزوجة سكنا قال
تعالى هو الذي خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة و
رحمة وقال وجعل منها زوجها ليسكن اليها فتسكن الرجل الى المراة بقلبه وبدنه جميعا
وقد يكون بدن الشخص ساكنا ونفسه متحركة حركة قوية وبالعكس ويسكن قلبه وبدنه
متحرك والمحب للشيء المشتاق اليه يوصف بانه متحرك اليه فلهذا يقال العشق حركة
نفس فارغة فالقلوب تتحرك الى الله بالمحبة والانابة والتوجه وغير ذلك من اعمال
القلوب وان كان البدن لا يتحرك الى فوق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرب ما
يكون العبد من ربه وهو ساجد ومع هذا فبدنه اسفل ما يكون فينبغي ان الحركة
جنس تحته انواع مختلفة باختلاف الموصوفات بذلك وما يوصف به نفس الا
نسان من ارادة ومحبة وكراهة وميل ونحو ذلك كلها فيه تحول النفس من حال
الى حال وعمل للنفس وذلك حركة لها بحسبها ولهذا يعبر عن هذه المعاني
بالفاظ الحركة فيقال فلان يهفو الى فلان كما قيل
يهفو الى البان من قلبي نوازعه • وما بي البان بل من داره البان • وهذا اللفظ
يستعمل في حركة الشيء الخفيف بسرعة كما يقال هفا الطائر بجناحه اي خفق و
طار وهفا الشيء في الهوى اي ذهب كالصوفة ونحوها ومن الظبي يهفو اي
يطفر ومنه قيل للزلة هفوة كما سميت زلة والزلة حركة خفيفة وكذلك الهفوة
ولذلك سمي المحب المشتاق الذي صار صبا اقوى من العلاقة حبا وحاله صبابة وهو
رقة الشوق وحرارته والصب المحب المشتاق وذلك لانصباب قلبه الى المحبوب
كما ينصب الماء الجاري والماء ينصب من الجبل اي ينحدر فلما كان في انحداره متحرك

تعالى م

لا يرده شيء سميت حركة الصب صبابة وهذا يستعمل في المحبة المحمودة والمذمومة
ومنه الحديث ان ابا عبيدة رضي الله عنه لما ارسله النبي صلى الله عليه وسلم في سرية بكى صبابة
وشوقا الى النبي صلى الله عليه وسلم والصبابة والصبا يتفقان في الاشتقاق الاكبر والعرب
تعاقب بين الحرف المعتل والحرف المضعف كما يقولون تقضى البازل وتقضض و
صبا يصبو معناه مال ويسمى الصبي صبيا لسرعة ميله قال الجوهري والصبي ايضا
مشتق من الشوق يقال فيه تصابا وصبا يصبو صبوة وصبوا اي مال الى الجهل
والفتوة واصبت الجارية وقد يستعمل هذا في الميل المحمود على قراءة من قرا ان الذين
امنوا والذين هادوا والصابين بلا همز في قراءة نافع فانه لا يهمز الصابين في
جميع القران وبعضهم قد حمده الله تعالى ولذلك يقال حن اليه حنينا ومن جنسه
في الاشتقاق الاكبر حنوا عليه قال الجوهري هو حنوت عليه عطفت عليه وحنى
عليه اي يعطف مثل يحنن قال الشاعر

تحن عليك النفس من لاعج الهوى . فكيف تحنيها وانت تهينها .

وقال الحنين الشوق وتوقان النفس وقال حن عليه يحن حنينا ومنه قوله تعالى وحنانا
من لدنا والحنان بالتشديد ذو الرحمة وتحنن عليه ترحم والعرب تقول حنانيك
يا رب وحنانك بمعنى واحد اي رحمتك وهذا كلام الجوهري وفي الاثر في تفسير
الحنان المنان ان الحنان هو الذي يقبل على من اعرض عنه والمنان الذي يبدا
النوال قبل السؤال وهذا باب واسع والمقصود هنا ان هذه الكلمة من جنس
نوع جنس الحركة العامة والحركة العامة هي التحول من حال الى حال
ومنه قولنا لا حول ولا قوة الا بالله وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لابي موسى رضي الله عنه الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لا حول ولا قوة
الا بالله وفي صحيح مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قال المؤذن الله اكبر
فقال الرجل الله اكبر فقال اشهد ان لا اله الا الله قال اشهد ان لا اله الا الله ثم قال اشهد ان
محمدا رسول الله قال اشهد ان محمدا رسول الله ثم قال حي على الصلاة فقال لا حول ولا قوة
الا بالله ثم قال حي على الفلاح قال لا حول ولا قوة الا بالله ثم قال الله اكبر الله اكبر فقال الله اكبر الله اكبر

فلفظ

فلفظ الحول يتناول كل تحول من حال الى حال والقوة هي القدرة على ذلك التحول
فدلت هذه الكلمة العظيمة على انه ليس في العالم العلوي والسفلي حركة وتحول
من حال الى حال ولا قدرة على ذلك الا بالله ومن الناس من يفسر ذلك بمعنى خاص فيقول
لا حول من معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بمعونته والصواب الذي
عليه الجمهور التفسير الاول الذي يدل عليه اللفظ فانه لا يختص بالحول عن المعصية
وكذلك القوة لا تختص بالقوة على الطاعة بل لفظ الحول يعم كل تحول ومنه لفظ
الحيلة ووزنها فعلة بالكسر وهي النوع المختص من الحول كما يقال الجلسة والقعدة
واللبسة والاكلة والضجعة ونحو ذلك بالكسر هي النوع الخاص وهو بالفتح المرة
الواحدة فالحيلة اصلها حولة لكن لما جاءت الواو الساكنة بعد كسرة قلبت ياء
كما لفظ ميزان وميقات وميعاد وزنه مفعال وقياسه موزان وموقات وموعاد
لكن لما جاءت الواو الساكنة بعد كسرة قلبت ياء قال وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله
والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة من الحيل فانها
نكرة في سياق النفي فتعم جميع انواع الحيل وكذلك لفظ القوة قال الله تعالى الله
الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا
وشيبة ولفظ القوة قد يراد به ما كان في القدرة اكمل من غيره فهو قدرة ارجح من غيرها
والقدرة التامة ولفظ القوة قد يعم القوى التي في الجمادات بخلاف لفظ القدرة
فلهذا كان النفي بلفظ القوة اشمل واكمل فاذا لم تكن قوة الا به لم تكن قدرة الا به
بطريق الاولى وهذا باب واسع والمقصود هنا ان الناس متنازعون في جنس
الحركة العامة التي تتناول ما يقوم بذات الموصوف من الامور الاختيارية كالغضب
والرضا والفرح وكالدنو والقرب والاستواء والنزول بل الافعال المتعدية كالخلق
والاحسان وغير ذلك على ثلاثة اقوال احدها قول من ينفي ذلك مطلقا وبكل
معنى فلا يجوز ان يقوم بالرب شيء من الامور الاختيارية فلا يرضى على احد بعد
ان لم يكن راضيا عنه ولا يغضب على احد بعد ان لم يكن غضبانا ولا يفرح بالتوبة بعد التوبة
ولا يتكلم بمشيئته وقدرته اذا قيل ان ذلك قائم بذاته وهذا القول اول من عرف به

هم الجهمية والمعتزلة وانتقل عنهم الى الكلابية والاشعرية والسالمية ومن وافقهم
من اتباع الائمة الاربعة كابي الحسن التميمي وابنه ابي الفضل وابن ابنه رزق الله و
القاضي ابي يعلى وابن عقيل وابي الحسن الزعفراني وابي الفرج ابن الجوزي وغير
هؤلاء من اصحاب احمد وان كان الواحد من هؤلاء قد يتناقض كلامه وكابي المعالي
الجويني وامثاله من اصحاب الشافعي وكابي الوليد الباجي وطائفة من اصحاب
مالك وكابي الحسن الكرخي وطائفة من اصحاب ابي حنيفة **والقول الثاني**
اثبات ذلك وهو قول الهشامية وغيرهم من طوائف اهل الكلام الذين صرحوا
بلفظ الحركة واما الذين اثبتوا بالمعنى العام حتى يدخل في ذلك قيام الامور والافعال
الاختيارية بذاته فهذا قول طائفة غير هؤلاء كابي الحسين البصري وهو اختيار
ابي عبد الله ابن الخطيب الرازي وغيره من النظار وذكر طائفة ان هذا القول لازم
لجميع الطوائف وذكر عثمان ابن سعيد الدارمي اثبات لفظ الحركة في كتاب
نقضه على بشر المريسي ونصره على انه قول اهل السنة والحديث وذكره حرب
ابن اسماعيل الكرماني لما ذكر مذهب اهل السنة والاثر عن اهل السنة والحديث
قاطبة وذكر ممن لقي منهم على ذلك احمد ابن حنبل واسحق ابن راهويه وعبد الله ابن
الزبير الحميدي وسعيد ابن منصور وهو قول ابي عبد الله ابن حامد وغيره وكثير
من اهل السنة يقول المعنى صحيح لكن لا نطلق هذا اللفظ لعدم مجيء الاثر به
كما ذكر ذلك ابو عمر ابن عبد البر وغيره في كلامهم على حديث النزول والقول المشهور
عن اهل السنة والحديث هو الاقرار بما ورد به الكتاب والسنة من انه ياتي وينزل وغير
ذلك من الافعال اللازمة قال ابو عمر الطلمنكي اجمعوا يعني اهل السنة
والجماعة على ان الله ياتي يوم القيمة والملائكة صفا صفا لحساب الامم وعرضها
كما شاء وكيف شاء قال الله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من
الغمام والملائكة وقضي الامر وقال تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا قال واجمعوا
على ان الله ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا على ما اتت به الاثار كيف شاء لا يحدون
في ذلك شيئا ثم روى باسناده عن ابي محمد ابن وضاح قال سالت زهير ابن عباد

من انه

قال

قال كل من ادركت من المشايخ مالك ابن انس وعبد الله ابن المبارك ووكيع
ابن الجراح يقولون النزول حق قال ابن وضاح سالت يوسف ابن عدي عن
النزول فقال نعم اقر به ولا احد فيه حدا قال وسالت يحيى بن معين عن النزول
فقال اقر به ولا احد فيه حدا **والقول الثالث** الامساك عن النفي والاثبات
وهو اختيار كثير من اهل الحديث والفقها والصوفية كابن بطة وغيره وهؤلاء
فيهم من يعرض بقلبه عن تقدير احد الامرين ومنهم من يميل بقلبه الى احدهما
لكن لا يتكلم بنفي ولا باثبات والذي يجب القطع به ان الله ليس كمثله شيء في جميع
ما يصف به نفسه فمن وصفه بمثل صفات المخلوقين في شيء من الاشياء فهو مخطئ
قطعا كمن ظن انه ينزل فيتحول وينتقل كما ينزل الانسان من السطح الى اسفل
الدار كقول من يقول انه يخلو منه العرش فيكون نزوله تفريغا لمكان وشغلا
لاخر فهذا باطل يجب تنزيه الرب عنه بالادلة الشرعية والعقلية فان الله سبحانه
وتعالى قد اخبر انه الاعلى فقال سبح اسم ربك الاعلى فان كان لفظ العلو لا يقتضي علو
ذاته فوق العرش لم يلزم ان يكون على العرش وحينئذ فلفظ النزول ونحوه
يتاول قطعا اذ ليس هناك شيء يتصور منه النزول وان كان لفظ العلو يقتضي
علو ذاته فوق العرش فهو سبحانه الاعلى فهو اعلى من كل شيء كما انه اكبر من كل شيء
فلو صار تحت شيء من العالم لكان بعض مخلوقاته اعلى منه ولم يكن هو الاعلى
وهذا خلاف ما وصف به نفسه وايضا فقد اخبر انه خلق السموات والارض في ستة
ايام ثم استوى على العرش فان لم يكن استواؤه على العرش يتضمن انه فوق العرش
لم يكن الاستوا معلوما وجاز حينئذ ان لا يكون فوق العرش فلزم تاويل النزول
وغيره وان كان استواؤه على العرش يتضمن انه فوق العرش فقد اخبر انه استوى
عليه لما خلق السموات والارض في ستة ايام اخبر بذلك عند نزول القران على
محمد صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بالوف من السنين ودل كلامه على انه عند نزول القران
مستو على عرشه فانه قال وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى
على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها

وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير وفي الحديث الذي رواه اهل السنن كابي
داود والترمذي وغيرهما انه مرت سحابة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتدرون ما
هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال السحاب قال والمزن قالوا والمزن وذكرها السموات
وعددها وكم بين كل سمائين ثم قال والله فوق عرشه وهو يعلم ما انتم عليه
وكذلك في حديث جبير ابن مطعم الذي رواه ابو داود وغيره عن جبير ابن مطعم
قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي فقال يا رسول الله جهدت الانفس
وضاع العيال وهلكت الاموال وهلكت الانعام فاستسق لنا ربك فانا نستشفع
بك على الله ونستشفع بالله عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك اتدري
ما تقول فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه
اصحابه ثم قال ويحك انه لا يستشفع بالله على احد من خلقه شان الله اعظم
من ذلك ويحك اتدري ما الله ان الله على عرشه وعرشه على سمواته مثل القبة
واشار بيده وهذا اخبار عن الله انه سبحانه فوق العرش في تلك الحال كما دل
عليه القرآن كما اخبر انه استوى على العرش وانه معنا اينما كنا وكونه معنا امر
خاص فذلك كونه مستويا على العرش وكذلك سائر النصوص تبين وصفه
بالعلو على عرشه في هذا الزمان فعلم ان الرب سبحانه لم يزل عاليا على عرشه فلو كان
في نصف الزمان او كله تحت العرش او تحت بعض المخلوقات لكان هذا
مناقضا لذلك وايضا فقد ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم انت الاول فليس قبلك شيء وانت الاخر
فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء
وهذا نص في ان الله ليس فوقه شيء وكونه الظاهر صفة لازمة له مثل كونه الا
ول والاخر وكذلك الباطن فلا يزال ظاهرا ليس فوقه شيء ولا يزال باطنا ليس
دونه شيء وايضا فحديث ابي ذر وابي هريرة وقتادة المذكور في تفسير هذه
الاسماء الاربعة الذي فيه ذكر الادلا قد ذكرناه في مسئلة الاحاطة وهو مما يبين
انه لا يزال عاليا على المخلوقات مع ظهوره وبطونه في حال نزوله الى السماء الدنيا

وايضا

وايضا فقد قال تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة
والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون فمن هذه عظمته يمتنع ان
يحصره شيء من مخلوقاته وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير هذه الاية
احاديث صحيحة اتفق اهل العلم بالحديث على صحتها وتلقيها بالقبول
والتصديق والله سبحانه وتعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

.... تم الكلام على حديث النزول لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله وعفا عنه
وكان تمام نسخه يوم الاثنين ثاني عشر من شهر جمادى اولى سنة ١٢٧٧ من هجرة
صلى الله عليه وسلم . كتبه عبد ربه . واسير ذنبه عبيده عبد العزيز ابن عبد الله النفيسي
للاخ علي ابن عبد الله ال داود اسبغ الله عليهما الاه . وختم لهما بحسناه . ورحمهما
يوم لقاه . ووالديهما ومشايخهما والمسلمين امين والحمد لله رب العالمين